



المشروع القومي للربيع

الإستراتيجية الأمريكية لقرن الحادى والعشرين

تأليف

أناتولى أونكين

ترجمة

أنور محمد إبراهيم

محمد نصر الدين الجبالي

المشروع القومى للترجمة

الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادى والعشرين

تأليف

أفاتولى أوتكين

ترجمة

أنور محمد إبراهيم و محمد نصر الدين الجبالي



تصميم وتنفيذ: أمال صفووت الأنفى
مطبع للجنس الأعلى للأدلة

المشروع القومى للترجمة
إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٥٥٥ -

- الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادى والعشرين
- أنانولى أونكين
- أنور محمد إبراهيم و محمد نصر الدين الجبالي
- الطبعة الأولى : ٢٠٠٣ -

هذه هي الترجمة الكاملة لكتاب :

А. И. УТКИН
АМЕРИКАНСКАЯ
СТРАТЕГИЯ
ДЛЯ XXI ВЕКА
Москва • «Логос» • 2000

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة
شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٢٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo

Tel : 7352396 Fax : 7358084.

تهدف إصدارات المشروع القومي للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها ، والأفكار التي تتضمنها هي اتجهادات أصحابها في ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

الفهرس

٩	مقدمة
١٧	الفصل الأول : أسس الإستراتيجية
٢٢	إستراتيجية الهيمنة العالمية
٢٦	ثبات الأحادية القطبية
٢٧	مبدأ إثارة الخوف
٢٩	منافسون محتملون
٣٦	البحث عن السياسة الأمثل
٤٩	الفصل الثاني : التوجّه الروسي
٥٤	أولوية الأيديولوجيا
٥٨	أولوية الجيوپليتيكا
٦٢	أولوية التدخل التدريجي
٦٤	الإحباط الروسي
٧١	رد الفعل تجاه الإحباط
٧٤	للمرة الثانية
٧٧	ماذا يتبقى لروسيا ؟
٧٩	آفاق التقارب
٨١	احتمال التصعيد
٨٤	المعوقات
٨٩	الفصل الثالث : أمريكا وروسيا والقضايا الإقليمية
٩٣	المثلث العظيم
٩٤	لعبة قديمة في ظروف جديدة
٩٦	واشنطن والشراكة «ال استراتيجية »، بين موسكو وبكين
١٠٠	تجارة الأسلحة
١٠٢	موضوعية التقارب

١٠٣	تعدد الأوجه
١٠٥	فضاء ما بعد الاتحاد السوفيتى
١٠٧	التعدي على السيادة
١٠٩	بديل توسيع الناتو
١١٠	أمريكا لا تعرف بمفهوم (دول الحوار)
١١١	جنوب الكومونولث
١١٣	عامل البترول
١١٤	آسيا الوسطى
١١٨	ما وراء المثلث الإستراتيجي والكومونولث
١١٩	تجارة الأسلحة
١٢٣	طاقة النووية
١٢٧	الخاتمة
١٣٥	الفصل الرابع : الحلفاء الأطلسيون
١٣٧	أهمية المنطقة
١٤١	الاتجاهات الثلاثة
١٤٦	تحدي الاتحاد الأوروبي
١٥٠	سياسة نحو تبعية أقل
١٥١	عامل الألماني
١٥٤	الشكوك في الإستراتيجية
١٦٠	تحولات القرن الحادى والعشرين
١٦٥	الفصل الخامس : القدرة على مواجهة آسيا
١٦٨	نهضة آسيا
١٧٢	زعيم المنطقة
١٧٤	الوجه المناقض للغرب
١٧٨	الوجه نحو البناء العسكري
١٨٢	التفسير الأمريكي

١٩١	الاختيار
١٩٣	مكانة روسيا
١٩٧	الفصل السادس : القلعة الأمريكية
١٩٩	التقاليد
٢٠١	العودة
٢٠٣	النتائج
٢٠٤	قدر كندا
٢١٠	خصوص النافتا
٢١٣	أهمية النافتا بالنسبة للعالم الخارجي
٢١٥	مصير كندا
٢١٧	سياسة كلينتون
٢٢٣	الفصل السابع : خiar واشنطن : تقرير المصير والسيادة
٢٣٠	شكوك الأمريكيين
٢٣٣	المستقبل : العولمة أم تقرير المصير
٢٣٩	الفصل الثامن : شكوك الدولة العظمى
٢٤١	مذهب الانعزالية الجديدة
٢٥٢	إمكانات أصحاب نزعة التدخل
٢٦١	الموقف الرسمي لواشنطن

مقدمة

لا يمكن التنبؤ دائمًا بما يجلبه تاريخ العالم من أحداث؛ فهذا التاريخ قد قام بانعطافة مدهشة في تسعينيات القرن العشرين . وبعد انقضاء نصف قرن من انفراد القطبين بمواجهته كل منها الآخر، إذا بهذا العالم يفقد ما كان عليه من توازن ، وإذا بالولايات المتحدة الأمريكية تقف على رأس المجتمع الدولي . لقد أصبح فصل يوغسلافيا لحظة حقيقة فارقة في نطور النظام المعاصر للعلاقات الدولية . وبات واضحًا على أي نحو تزيد أكبر وأعظم دولة في عصرنا الحالي أن ترى العالم . لقد فقدت الولايات المتحدة – بانهيار الاتحاد السوفيتي – منافساً في المجال العسكري ، كما أتاحت بطيء النمو الاقتصادي لأوروبا الغربية واليابان تجنب مخاطر تهميشها في مجال الاقتصاد ، كما أتاحت تركز العلوم الأساسية وتطبيقاتها في الشركات والجامعات الأمريكية تبؤها لزعامة الثورة العلمية التقنية . وهكذا اضطر العالم لأن يتواضع – بشكل أو بأخر – مع القوة الأمريكية المطلقة ، والذى يضاعف من قوتها وجودها على رأس حلف شمال الأطلنطي وتحالفها مع اليابان .

لقد انفتحت الدولة التي كانت في حالة عزلة منذ ستين عاماً على العالم اقتصادياً، في مجال الأفكار، وفي مؤشرات القوة . ولا يوجد في الوقت الحالي أي ائتلاف من الدول يمكنه أن يشكل تهديداً للغرب بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية ؛ فأمريكا اليوم تتتفوق في المجال العسكري على الدول العشر التي تليها في ميزان القوة . وفي مجال الاقتصاد حققت فزعة خارقة في التسعينيات ، كما حققت الجامعات الأمريكية الأغلبية الساحقة في عدد الحاصلين على جوائز نوبل ، وعلى ضوء هذه القوة الجبارية يمكن أن نستخلص خبرة المائة عام الماضية .

كانت ألمانيا واليابان هما الدولتان الأكثر أهمية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية في القرن العشرين ، وقد دخلت أمريكا حربين عالميتين بهدف وقف حركتهما نحو السيطرة على العالم . وفي النصف الثاني من القرن الماضي قام العالم الأمريكي على

قاعدتين : الانفاق العسكري الأمريكي والألماني الغربي ، والذي جرى إعداده في فترة الاحتلال ، والمعاهدة المبرمة بين الولايات المتحدة الأمريكية واليابان في عام ١٩٥١ .

وكما يعترف الإستراتيجيون الأمريكيون الآن ، فقد كانت لقوة السوفيتية أهميتها ، ولكنها كانت قوة ثانوية إذا ما قورنت بالقوتين الألمانيتين واليابانية باعتبارهما تمثلان تحدياً للإستراتيجية الأمريكية ؛ فعندما كانت اليابان كلها والجزء الأكبر من ألمانيا يقعان - منذ الخمسينيات - في دائرة تأثير الولايات المتحدة الأمريكية ، كان توازن القوى في غير صالح الاتحاد السوفيتي ؛ حتى إن موسكو لم تكن تمتلك سوى فرص ضئيلة لكسب العرب الباردة ...

والآن عندما نلقى ببصرينا إلى الوراء ، نرى كم كان موقف موسكو حرجاً ، لم يكن على الغرب بالفعل إلا أن يلعب دوره بشكل بالغ السوء ، إذا ما كانت لديه الرغبة في أن يخسر ، وكل أوراق اللعب هذه في يده (١) .

وماذا عن روسيا ؟ منذ فترة قريبة ألقى ستروب تالبوت وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية كلمة في جامعة ستانفورد جاء فيها : يرى الكثيرون أن روسيا تتجه صوب الهاوية . أما الشعوب الأخرى فقد تتحت جانبًا وهي تنظر باندهاش إلى هذا الانهيار المدوى . في عام ١٩٩٨ خصصت الولايات المتحدة الأمريكية مبلغ ٤٥٣ مليون دولار (بالإضافة إلى ١٠٤ مليون دولار خصصها الاتحاد الأوروبي) من أجل مراقبة المنشآت النووية الروسية وتغيير ومعالجة البلوتونيوم المستخدم في الأغراض العسكرية فيها ، كما خصصت أمريكا أيضًا مبلغ ٣٤ مليون دولار لمنع خروج علماء الذرة للعمل في البلاد التي لا تشارك الولايات المتحدة أهدافها (٢) .

تعلق الإيكonomست على هذا الموقف بقولها عندما تعانى دولة ما من نقص في البشر وفي الإدارة وفي القدرة على دعم العمليات الحيوية الرئيسية ، فإن الأجانب - عاجلاً أو آجلاً - سرعان ما يبدءون في ملء الفراغ ؛ فهل يسمى هذا احتلالاً ؟ من السابق لأوانه الحديث عن هذا الأمر تحديداً ، لكن شيئاً شبهاً بهذا قد بدأ يحدث في روسيا (٣) . ها هم الأطباء الأجانب يعملون في مكافحة الأولية ، بينما تعمل الشرطة الغربية مع نظيرتها الروسية في مكافحة الفساد . وبقوم رجل الخير المدعو سوروس

بتقديم المساعدة لأربعة آلاف عالم روسي ، ويمول طباعة الكتب المدرسية ، ويعيد تأهيل العسكريين الذين تركوا الخدمة ، بينما يتعامل كبار رجال الأعمال مع شركات التأمين الغربية ، وفي الوقت نفسه تقوم الحكومة الروسية بتخفيض إمكاناتها بشدة ، ليقترب حجم ميزانيتها من حجم ميزانية أيرلندا .

* * *

لم يكن باستطاعة الأميركيين أن يفكروا منذ عشر سنوات مضت في أن تهبط عليهم هذه النعمة ؛ ففي المذكرات التي نشرت منذ فترة غير بعيدة للرئيس بوش يمكن أن نطالع بأى قدر من الدهشة أدرك الدوائر الرسمية في واشنطن تردى خصمها العالمي على الطريق الذى أدى به فى نهاية الأمر إلى السقوط والضعف . كان الانقلاب الذى قام به جورجيانشوف لتغيير الصورة السياسية والاقتصادية والاجتماعية لبلاده أمرا غير متوقع بالنسبة لواشنطن . وب مجرد انتخاب جورج بوش رئيسا للبلاد عام ١٩٨٩ طلب - وهو ما يزال يشكل إدارته - تقريرا من الخبراء عما يحدث ، وسرعان ما حضر إلى مقر إقامته فى كينينبنك بورت أفال الخبراء المتخصصين فى الشؤون الروسية ليطرحوا وجهة نظرهم بشأن التصدع الذى وقع فى معسكر الخصم العميد سابقا ، والغيبوبة التى سقط فيها النظام السوفيتى واستعداد سدنة الكرملين للتحصية بكل غال ونفيس من أجل الدخول كشركاء مع أمريكا العظمى .

كانت المعلومات القادمة من موسكو والصادمة الثقافية التى أثارها عظيمة للغاية ، إلى حد أن العديد من الخبراء المحذكون بدءا من آدم أولام وحتى برنست ساكوكروفت ساورتهم الشكوك فى أن تكون هذه الأعمال الروسية خدعة تفوق الخيال ومناورة التفاف باللغة الضخامة ؛ بل إن الرئيس بوش نفسه التزم جانب الصمت طوال البضعة أشهر الأولى من رئاسته ، متجنبا أن تتطلّى عليه هذه الحيلة . ربما بدت هذه الاحتياطات الآن سخيفة ، لكنها مفهومة . كان كل شيء يتم على الطريقة الغربية ، وعلى الأخص بالنسبة لتوجيه الولايات المتحدة الأمريكية للسياسة الدولية .

ونتيجة للانتصار فى الحرب الباردة بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية ، فقد أصبح حلف شمال الأطلنطي مهمينا على شمال غرب الجزء الأوروبي الآسيوى من القارة . أما حلفاء الاتحاد السوفيتى النسخ السابعون وثلاث عشرة جمهورية من

جمهوريات الاتحاد السوفيتى ؛ فقد بدا أنهم وقعوا تحت تأثير أمريكا . وفي روسيا ذاتها تجلت خطورة النزعة الانفصالية على سطح الأحداث ، وتلها تفكك الاقتصاد وانهيار المجتمع والتفسخ الأخلاقى للشعب وفقدان الهوية ، لقد أعطى الانتصار الأمريكى المطلق عام ١٩٩١ لواشنطن فرصة الاحتفاظ لسنوات طويلة بالوضع المثالى الراهن دول ما وراء المحيط بفضل استخدامها لاستراتيجية ماهرة .

ما المكانة التى تشغله روسيا فى عالم ما بعد الحرب الباردة ؟

من الواضح أن روسيا - على أقل تقدير - لا تشغل مكانة متقدمة . وفي هذا الصدد كتب الجنرال الأمريكى أودوم قائلًا : على الرغم من أن روسيا ما تزال دولة مهمة ، فإنه لم يعد بمقدورها أن تلعب دوراً قيادياً ؛ فهى لا تملك داخلياً حكومة متماسكة يمكنها التحدث باسم البلاد . ونادرًا ما يمثل زعماؤها المصالح الحقيقية لروسيا الاتحادية أو مواطنبيها ، كما أن معظم الزعماء لا يطمحون إلا إلى الثراء (وللذهب روسيا إلى الجحيم) تماماً ملثماً أصبح مويونتو في زائير وأباتشا في نيجيريا وعدد آخر من الزعماء الأثرياء ، بينما راحت شعوبهم تعانى من الفاقه ؛ فإن روسيا معدة الآن أن تلقى نفس المصير ، فقد افترضت روسيا بداية من عام ١٩٩١ - وفقاً للتقديرات الأخيرة - ٩٩ مليار دولار ، خلال الفترة نفسها خرج من البلاد ما قيمته ١٠٣ مليار دولار . وعلاوة على ذلك فإن الأوليغاركية ورجال الأعمال الناجحين يمارسون أعمالهم بشكل عقلانى من أجل مصالحهم الشخصية (٤) .

ويرى الخبراء الغربيون أن روسيا مصابة بأعراض الدولة الضعيفة ما بعد الكولونيالية المميزة لدول العالم الثالث ، وهى حالة غير شاذة وغير عابرة ، ومن الممكن أن تتدنى لبعض عشرات من السنين (٥) . إن روسيا لا تشبه إطلاقاً ألمانيا فيما بعد الحربين ؛ فهذه - على الأقل - كانت لديها مؤسسات حكومية قوية ونظام قضائى وشرطة استطاعوا أن يثبتوا أمام النظام البيروقراطي ؛ فضلاً عن أن مواطنبيها كانوا من الشباب ، وقد جرى بعث الاقتصاد بسرعة ودون مساعدة أجنبية . أما روسيا فهي دولة ضعيفة ، ليس لديها فى الواقع أى من المؤسسات الضرورية على الإطلاق ، والتى تستطيع توظيف اقتصاد سوق فعال ، دولة ليس لديها نظام للضرائب ، بلا قانون

أو قضاء ، تتناقص فيها معدلات الأعمار بشكل حاد ، ويترافق فيها التعداد العام للسكان على نحو مطرد^(١) .

* * *

أطلق الراديكاليون اليمينيون على السنوات القادمة اسم المعجزة الروسية . يقول بيتر آفين رئيس ألفا - بذلك : لقد اتضح أنه من الممكن خلال ست سنوات فقط إعادة توجيه تاريخ امتد زهاء ألف سنة ، تاريخ لم يكن لا للرأسمالية ولا للديمقراطية مكان فيه^(٢) . على أنه من المستحيل على أي شخص ، عدا الأوليغاركيين ، أن يصف فترة الدوار الذي حدث جراء انهيار إجمالي الناتج القومي ومستوى معيشة السكان وأزمة نظامي الرعاية الصحية والتعليم بأنها فترة رائعة في تاريخ روسيا . لقد اكتمل سقوط الاقتصاد في صيف عام ١٩٩٨ ، عندما تصور رئيس الوزراء الشاب كيرينكو أن القرض الذي تلقته روسيا من صندوق النقد الدولي وتبلغ قيمته ٢٢.٦ مليار دولار بدعم مباشر من الرئيس كلينتون غير كافٍ . (يقول تشوباييس عن زيارته لواشنطن : "لقد طلبنا المساعدة من واشنطن بالטלفون فقدموها لنا ، وهكذا لم يكن بمقدور كيرينكو أن يقود روسيا في طريق التنمية الغربية .

وفي أغسطس عام ١٩٩٨ وبعدما أيقن زعماء روسيا الرأسمالية أنه أمكن تلافي الأزمة غادروا البلاد . (رحل تشوباييس إلى أيرلندا وأفين إلى سردينيا ، وحط روبين رحاله في شمال إيطاليا ، واستقر المقام ببوتانين في فرنسا) وفي روسيا بدأت مرحلة تاريخية جديدة ؛ ففي الثالث عشر من أغسطس ظهرت في الفينانشل تايمز مقالة جورج سوروس ، التي أثبتت فيها ضرورة تخفيض الروبل ، وقد توصل ستانلى فيشر نائب رئيس صندوق النقد الدولي بعد قراءته لهذه المقالة إلى استنتاج رهيب مفاده أن الرقصة انتهت ، بينما وصفت نيوزويك الأمر بأنه بداية لباب حالكة طويلة بالنسبة لروسيا ، التي راحت ضحية زعمائها غير المؤهلين ... لقد انهارت تجربة موسكو في بناء الرأسمالية^(٣) . أما بيتر آفين فقد أوجز العاصفة التي اجتاحت روسيا على مدى ست سنوات بقوله : المعجزة الروسية لم تتحقق ، ولا تنتظروها في المستقبل^(٤) .

ومن الناحية الأيديولوجية فقد رأى غلاة الاقتصاديين الروس - على حد قول ستيفن بلانك الأستاذ بالكلية العربية بالولايات المتحدة الأمريكية - أنه من الممكن استيراد الثورة من الخارج ، دون الاهتمام بتنمية الدولة ، وإنشاء مؤسسات راسخة للسلطة وسيادة القانون... لقد راحت هذه الدولة - التي تكونت على نحو غير طبيعي - تحاول على نحو يائس فرض النظام ، لكن جهودها لم تسفر إلا عن مجرد إصدار المراسيم ... أما تلك الأوهام الجرئية ، التي ترى أن السوق يمكن أن يصبح - بشكل أو باخر - بديلاً عن العملية السياسية ، وأنها ستحقق مملكة المحبة ، فقد ذهبت سدى^(١٠) تاركة لموسكو وواشنطن مشكلة صياغة نظام جديد للعلاقات الدولية .

كانت إدارة كلينتون تنظر إلى علاقاتها مع روسيا من زاوية حل المشكلة الرئيسية للولايات المتحدة الأمريكية ألا وهي خفض القوى النووية الإستراتيجية لروسيا . وكان هذا هو الموضوع الوحيد الذي كان يتثير اهتماماً حيوياً لدى المشاركين الأمريكيين في الحوار . على أنه - وبالتحديد عند هذه النقطة - خبا اهتمام معظم المشاركين الروس في الحوار بشكل مباشر أو غير مباشر . لم ير الأمريكيون - تحديداً الرغبة العارمة في تحقيق شروط معاهدة ستارت - ٢ - سوى أن هذه المعاهدة تعد دليلاً على ضرورة عدم الاستسلام ، ولا بد الأمر جنونا ، كانت هذه المعاهدة هي الورقة الرابحة الأخيرة . يقول ستيفن بلانك : لقد راحت روسيا يدفعها الإحساس بالمهانة والفقر المدقع تتجه صوب رفض معاهدتها ستارت - ٢ وستارت - ١ ، بل وكافة أشكال التسليح العادية في أوروبا . ولو كان الأمر قد استمر على هذا النحو لظهرت علاقات عسكرية جديدة بين الشرق والغرب :^(١١) .

كانت معاهدة ستارت - ٢ ضرورية لروسيا ، على أن بعضها من النقاد الروس رأوا أنها خلقت نوعاً من عدم التوازن لصالح الولايات المتحدة الأمريكية . لقد تنازلت روسيا عن أكثر أسلحتها فعالية وعن أرقى تقنياتها تقدماً ونعني بها الصواريخ الباليستية العابرة للقارات ، في الوقت الذي احتفظت فيه الولايات المتحدة الأمريكية بكامل قدرة ترسانتها من الصواريخ النووية في الغواصات والقاذفات الإستراتيجية . ومن ناحية أخرى فالأمر كان سيصبح بالغ التكلفة بالنسبة لروسيا التي تعاني من

الفقر لو أنها عملت على وقف فعالية الصواريخ الأمريكية العابرة للقارات ، فضلاً عن بناء الغواصات التي تطلق الصواريخ الباليستية ذات المدى الإستراتيجي .

بعد وصوله إلى موسكو في سبتمبر عام 1998 حدد الرئيس كلينتون المرحلة الجديدة القادمة في العلاقات الأمريكية الروسية باعتبارها مرحلة الواقعية الصريرة ، وقد عرضت مادلين أولبرايت وزيرة الخارجية الأمريكية في الثاني من سبتمبر عام 1998 جوهر هذا الموقف في تصريح أدلت به أمام مجلس رجال الأعمال الأمريكي الروسي في شيكاغو ، وكذلك في عدد من تصريحات تالبوت نائب وزير الخارجية . ويتلخص جوهر هذا الموقف الجديد لا في الدعم غير المشروط لعدد من السياسيين الروس ، وإنما في التقييم الخاص للخطوات المحددة التي اتخذتها قيادة روسيا الاتحادية وتقييد المساعدة المالية أو السماح بها تبعاً لبرنامج الإصلاحات واتساع مدى العلاقات القائمة مع القوى السياسية في موسكو .

وفي الثامن عشر من سبتمبر عام 1998 وفي إحدى جلسات الاستماع في لجنة العلاقات الدولية خاطب لي هاميلتون العضو البارز للجنة العلاقات الدولية التابع لمجلس ممثلي الكونجرس الأمريكي أنصار الإصلاحات مدافعاً لأول مرة مباشرة عن الإصلاحات بقوله :

على الإصلاحيين ألا يصمموا آذانهم عن المصير الذي أصاب الشعب الروسي ، والذي دفع ثمناً باهظاً من أجل الإصلاح ... إن علينا أن نعيد النظر في سياستنا تجاه روسيا ، ويخيل إلىَّ أن النموذج الاقتصادي الليبرالي الغربي قد انهار في روسيا ، ومن ثم علينا أن نتعامل مع روسيا بشكل أكثر تلاؤماً مع ظروف روسيا .

وفي هذه الجلسات أيضاً رأى وزير خارجية أمريكا الأسبق جورج شولتز أن من المهم الاعتراف بما يلى :

ينبغى علينا أن ندعم تلك البلاد التي تعد برامجها بنفسها ، وألا نحاول ربطها بأفكارنا . لقد أخطأنا عندما اعتقينا أن الروس سوف ينظرون نظرة طبيعية للعمل بالشروط التي فرضها النقد الدولي ، تلك الشروط التي اعتبروها برنامجاً أمريكياً ،

بينما كان عليهم أن يعملا لتحقيق برنامج روسي . وعندما يعلم الناس في إطار برنامج صندوق النقد الدولي يشعرون أن هذا يمثل إهانة لعمليةهم السياسية، فمن هي هذه الدولة التي تسمح لصندوق النقد الدولي أن يسير أمورها ؟ علينا أن نقول للروس ينبغي عليكم أن تدبروا أموركم ... إن روسيا دولة كبيرة ومهمة ؛ فهي تملك ٢٠ ألف وحدة من السلاح النووي ، وهو أمر لا يمكن ببساطة تجاهله .

* * *

هذا الكتاب مكرس لتقدير الاستراتيجية الأمريكية في القرن الحادى والعشرين . هذا القرن الذى بشرت بدايته بأنه قرن خير بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية . وعلى العكس من ذلك يبدو مستقبل روسيا محنة تاريخية حقيقية ، لكنى تجتازها بأقل الخسائر ولكن تستعيد مكانتها اللائقة بتاريخها ، فعلينا أن نحاول - بوعى ودونما حكم مسبق - أن ننظر إلى المستقبل الذى ستحدد فيه القوة الأمريكية بلا جدال توجهها الإستراتيجي الأمثل .

-
- (1) Odom W .Russia 's several seats at the table ((International Affairs .1998 .?4.P.809-91
 - (2) The Economist .1998.December12.P.35.
 - (3) Ibid.
 - (4) Odom W .Russia 's several seats at the table ((International Affairs .1998 .?4.P.813.
 - (5) Ibid .P.813.
 - (6) Ibid . P. 814 .
 - (7) Newsweek .1999 .January 18 .P. 27.
 - (8) Ibid .P. 24.
 - (9) Ibid .P. 27 .
 - (10) Blank S .Drift and Mastery ((European Security .Autumn 1997 .P.5 ,8.
 - (11) Blank S .Ibid .P.8 .

الفصل الأول

أسس الإستراتيجية

كان الماضي رائعاً بقدر ما كان واصحاً . لقد توصل السيد جورج كينان في نهاية عام ١٩٤٥ وهو يتأمل روعة العمارة في مبنى السفارة الأمريكية الواقع في ميدان مانينجينايا في موسكو إلى استنتاج مفاده أن من المستحيل السماح لثلاثة أماكن على ظهر الأرض أن تقع في أيدي الروس : المملكة المتحدة ، ووادي الراين ، والجزر اليابانية .^(١)

على أن المذهب التفسيري الفعال للسيد كينان قد أصبح في ذمة التاريخ هو وال الحرب الباردة . والآن وقد أسدل الستار على القرن العشرين أصبح من الواضح أنه إذا كانت عدوانية روسيا السوفيتية تحديداً تمثل السبب في حرص أمريكا على القيام بدور المناوب العالمي ، فإن واشنطن - بعد أن تحقق لها النصر في الحرب الباردة - لم تكن لتترك هذه الفرصة فلتلى عن كاهمها هذا العبء . على أن زوال الاتحاد السوفيتي من الوجود لم يخلق لدى الولايات المتحدة الأمريكية تحولات مشابهة ؛ فالولايات المتحدة لم تغلق حلف الناتو ، ولم تسحب وحداتها من ألمانيا أو كوريا أو اليابان ، ولم تعدد إلى سواحلها الأساطيل المتحكمة في بحار العالم ، ولم تخض ميزانيتها العسكرية (عادت هذه الميزانية ، التي كان قد سبق تخصيصها من ٣١٠ إلى ٢٦٠ مليار دولار لتعود تدريجياً إلى مؤشراتها السابقة) . إن الميزانية الفيدرالية التي تم اعتمادها في مايو ١٩٩٧ للنفقات العسكرية لأربعة أعوام لهي أفضل دليل على أن البنتاجون ما يزال يعيش حالة الحرب الباردة (بلغت الأموال المخصصة للنفقات العسكرية في العام المالي ١٩٩٩ إلى ٢٧٠ مليار دولار ، وكان من المخطط زيادتها في العام نفسه بمقدار ٢٥ مليار دولار) .

تقوم الإستراتيجية الأمريكية على وجود ١٠٠ ألف من العسكريين الأمريكيين في أوروبا (حول هذا الأمر يقول السيناتور موبينixin : إنهم موجودون مثلهم مثل الفيلق الروماني) ، ومثل هذا العدد في آسيا (ووفقاً لما يسمى بتقرير ناي فإن هذا المستوى سوف يتم دعمه في آسيا لمدة ٢٠ عاماً كحد أدنى) ، وهناك ٢٥ ألفاً في الشرق الأوسط

وعشرون ألفا في البوسنة . وهناك ١٢ مجموعة من حاملات الطائرات في حالة تأهب عسكري ، دائم وجميعها تقوم بأعمال الطواف الدوري في مستودع بترول العالم ، وتعنى به الخليج الفارسي وفي المضيق الذي يفصل تايوان عن القارة ، وهناك أيضاً دوريات جوية فوق شمال وجنوب العراق وفوق إقليم كوسوفو . إن هذه الدولة التي تعرف نفسها أنه لا يوجد من يهددها ، تمتلك شبكة جباره من القواعد في مختلف أنحاء العالم . وفي العام المالي ١٩٩٧ وحده أنفقت على المشتريات العسكرية ٦٧ مليار دولار ، وهو ما يفوق الميزانية العسكرية لأى دولة أخرى ^(٢) . يصل جوردون آدمز نائب مدير معهد لندن للدراسات الإستراتيجية دون أن يساوره أى تردد إلى استنتاج مفاده أنه لا توجد هناك دولة واحدة بإمكانها أن تمتلك ميزانية عسكرية ولا قوات مسلحة وتكنولوجيا عسكرية مثل ما لدى الولايات المتحدة الأمريكية . وحتى لو جمعنا كل البنية العسكرية الأوروبية معاً لاحتاج الأمر إلى عشرات السنين لتبلغ المستوى الذي بلغته أمريكا ، وتحتاج الصين لوقت أطول لإعادة هيكلة نظامها العسكري ولروسيا لاستعيد قوتها العسكرية السابقة ^(٣) .

من الصعب إعادة تقييم إمكانات القوة لدى الولايات المتحدة الأمريكية ؛ فأمريكا في الوقت الراهن تؤثر تأثيراً بالغاً في السياسة الدولية ، أكثر من أى دولة أخرى في التاريخ . ^(٤) وبعد سبع سنوات من الازدهار الاقتصادي المتواصل ، اقترب إجمالي الناتج القومي لها من ٩ تريليون دولار . أمريكا عضو في أهم الاتحادات ، وتتوفر النافتا لها الحصول على حجم متدام في نصف الكره الغربي . وليس هناك منافس على كوكبنا لحلف شمال الأطلسي (٧,٥ مليون من العسكريين) وتجاوز النفقات الأمريكية على الأبحاث وإنشاء نماذج جديدة من المعدات العسكرية ٣٦ مليار دولار (يليهم أعضاء الناتو الأوروبيون ، وتبلغ نفقاتهم جميعاً على نفس هذه الأغراض ١١,٢ مليار دولار) ^(٥) .

وحتى أكثر المتشائمين تحفظاً يعترف بأن الظروف المواتية على نحو لا يوصف تضمن لأمريكا عشرين عاماً من الزعامة دون جدال . ولا يملك أحد من علماء المستقبليات أن يتنبأ بما سيحدث لاحقاً ، ولكن لا يوجد أساس للشكك في أن القرن الحادى والعشرين وليس الذى قبله ، هو بحق قرن أمريكا .

لا يظهر حتى الآن أى خصوم في الأفق ، كل المخاوف التي سادت الثمانينيات من القرن العشرين من أن اليابان وأوروبا الغربية سوف تنموان على نحو أسرع هي مخاوف عفا عليها الزمن .

ويرى رونالد ستيل أن الولايات المتحدة الأمريكية - من جميع الجوانب العملية - لا تخضع تحت أى تهديد بالتدخل ، وليس هناك ثمة أعداء يرغبون في انهيارها ، كما أنها غير خاضعة لأحد في تجاراتها الخارجية ... لها حلفاؤها ، ولكنها مستقلة بدونهم ، ولم تكن تابعة لأحدthem في يوم من الأيام حتى في سنوات الحرب الباردة . إن الولايات المتحدة الأمريكية هي شبكة واسعة من القواعد العسكرية ، وهي قواعد لم يكن بناؤها لمجرد الدفاع عن النفس ^(١) ، ويكتب تشارلز ماينز قائلا : لم يحدث مطلقا ، منذ روما القديمة ، أن سادت دولة بمفردها النظام العالمي متقدمة على هذا النحو الهائل من التفوق ^(٢) . لقد حالف الولايات المتحدة الأمريكية نجاح استثنائي . وفي هذا الصدد يكتب مارتن ووكر قائلا : بفضل إنفاقها لمائتي وخمسين مليار دولار سنويا فقط أصبح للولايات المتحدة الأمريكية سيادة عسكرية تعادل في مجموعها القوة البحرية للاتفاقية البريطانية ، بالإضافة إلى القوة العسكرية للإمبراطورية الرومانية في أوج ازدهارها ^(٣) .

ترى ما الذى أوجد هذه القوة ؟ لقد ذهب المحللون الأمريكيون - بعد أن سقطت عنهم ورقة توت الحرب الباردة - يصفون جوهر السياسة الخارجية الأمريكية لبلادهم بكل واقعية . وهما أفصل باحث في تاريخ الدبلوماسية المعاصرة ج . ل . جاديس يكتب قائلا : إن الولايات المتحدة الأمريكية كانت لديها النية في الهيمنة على الساحة الدولية بعد الحرب العالمية الثانية ، وذلك بفتره طولية سبقت تحول الاتحاد السوفيتي إلى عدو لدولتها ^(٤) ، كما يصرح ك . لайн مستشار مركز مؤسسة ريند للأبحاث قائلا : لم يكن الاتحاد السوفيتي يمثل العامل الحاسم في تحديد السياسة الأمريكية ، كما كان الأمر سائدا من قبل ، وإنما الواقع أن صناع السياسة الأمريكية سعوا بعد الحرب العالمية الثانية لخلق عالم تقوده الولايات المتحدة الأمريكية ، عالم يقوم على تفوق القدرة السياسية والعسكرية والاقتصادية الأمريكية ، وكذلك على القيم الأمريكية ^(٥) .

إستراتيجية الهيمنة العالمية

أصبح الخبراء الأميركيون في شؤون الأمن القومي مديرين عالميين . لقد تم في الولايات المتحدة الأمريكية إبان سنوات الحرب الباردة إنشاء جيش جرار من المحترفين ضم موظفين في الحكومة وجوايس وعسكريين ساسيين وعلماء في شتى الأفرع العسكرية ومهندسين متخصصين يعملون في الشركات الحربية ، وهؤلاء ارتبطت حياتهم ومستقبلهم المهني بوجود منافس مماثل مضاد لأمريكا . وينسأءل رونالد ستيل : ما الذي تريدون أن نفعله ؟ أن نفكك هذا الجهاز ، أن نوجه ضربة مميتة إلى المجالات الرئيسية في اقتصادنا القومي ، بما في ذلك مجالات التكنولوجيا الرفيعة التي تديرها الدولة وننذر مصدر قوتنا الوطنية ... ؟ أم نبحث عن سبب جديد لاستمرار هذا الجهاز ونجيب ملابين البشر أخطار البطالة ؟ إن الإجابة على هذه الأسئلة بدبيهية تماماً^(١١) .

ويرى المنظرون الأميركيون _ باقتئاع تام _ أنه على الرغم من التلاعيب بالألفاظ واستخدام العبارات البليغة ، فإن التعريف الفضفاض للسياسة الأمريكية تجاه العالم الخارجي يبقى على ما كان عليه في العقود الماضية^(١٢) ؛ فالولايات المتحدة الأمريكية لن ترفض إطلاقاً قانون (الأول بين الأكفاء) في عالم متعدد الأقطاب . ويؤكد دافيد كاليلو هذا الوضع بقوله : شئتم أم أبيتم فسوف تواصل الولايات المتحدة الأمريكية أداء دورها باعتبارها زعيمـاً في أوروبا وفي آسيا^(١٣) ؛ ويرى مايكل أوهانلون مثل معهد بروكينج "أن العالم في وضع بالغ الخطورة لا يمكن تجاهله ، ومن ثم فليس هناك بديل للعلمة^(١٤) .

يمكن القول إن تشارلز كراوتهاـر يقف على رأس معـسـكـرـ أولـاكـ الـذـينـ أـدرـكـواـ أـسرـعـ منـ غـيـرـهـمـ "الأـحـادـيـةـ القـطـبـيـةـ لـعـالـمـ الغـدـ" ، وـهـوـ نـفـسـهـ الـذـيـ نـشـرـ فـيـ شـتـاءـ عـامـ ١٩٩١ـ مـقـالـاـ إـرـشـادـيـاـ فـيـ "فـورـينـ أـفـيرـزـ"ـ جـعـلـ عـنـوانـهـ "مـرـحلـةـ الأـحـادـيـةـ القـطـبـيـةـ"ـ^(١٥)ـ وـفـيـ الـكتـابـ الـذـيـ نـشـرـ فـيـ نفسـ الـفـتـرةـ بـعنـوانـ "حـتـمـيـةـ قـيـادـةـ الـعـالـمـ"ـ (قيـادـةـ الـولـاـيـاتـ المتـحدـةـ بـطـبـيـعـةـ الـحـالـ - أـ.ـ أوـتـكـيـنـ)ـ نـقـرـأـ مـاـ كـتـبـهـ جـوزـيـفـ نـايـ مـؤـلـفـ الـكتـابـ :ـ إنـ زـعـامـةـ الـدـوـلـةـ الـعـظـمـىـ مـنـ شـأنـهـ أـنـ يـدـعـمـ التـرـابـطـ الـعـالـمـىـ ،ـ فـإـذـاـ مـاـ اـعـتـرـىـ الـولـاـيـاتـ

المتحدة الأمريكية البطء في تعبيئة مواردها من أجل الوصول لزعامة العالم ، فسوف تظهر عندها وعلى نحو بالغ السرعة ظاهرة تعدد الزعامات لتترك تأثيرها السلبي . إن إدارة التبعية المتبادلة ستصبح هي الدافع والحفز الرئيسي لاستخدام الموارد الأمريكية ، كما أنها ينبغي أن تكون العنصر الرئيسي في الإستراتيجية الجديدة ، (١٦) ومن وجهة نظره يرى ريتشارد هاس أن الولايات المتحدة الأمريكية «ستظل على المدى البعيد هي السيد الفعال دائم الحضور في عملية التحول العالمي» ، (١٧)

والآن ، وبعدما خمد الجدل الأيديولوجي (من جراء عدم نفعه) أصبح من الواضح - على الصنوء الخافت للواقع المعاصر _ أمر واحد على أقل تقدير ؛ فبداءً من ظهور الولايات المتحدة الأمريكية على العالم بشكل حقيقي في عام ١٩٤٢ لم يكن هناك أحد في هذا العالم بإمكانه بالفعل أن يقف في مواجهتها ، وبالتالي أن يقف في وجه إستراتيجيتها المحددة والحاسمة ، والتي كانت تمتلك مزية البساطة ووضوح الهدف الذي تمثل في : الهيمنة على العالم . لقد استخدمت هذه العبارة بشكل رسمي للمرة الأولى عام ١٩٥٠ في الوثيقة الرئيسية للحرب الباردة والمعروفة باسم HCK . ٦٨ ومنذ هذا التاريخ دأب آخرون - وعلى نحو أكثر دقة - في وصف هذه الإستراتيجية ، التي كانت الحرب الباردة مجرد مشهد من مشاهدها . إن الحديث يدور هنا حول الهيمنة العالمية على أي قوة (وعلى أي مجموعة من القوى) بهدف السيطرة على التطور العالمي .

لن نعل أنفسنا بالأمانى ؛ فأمريكا كانت ستخرج ، سواء في وجود الاتحاد السوفيتى أو بدون وجوده ، إلى الفضاء الجيوپولiticى ، ولم يكن اختفاء هذا الخصم العميد الواضح ليغير من جوهر نظرة أمريكا إلى العالم .

لم يظهر التفسير النظري للجهود الإستراتيجية للولايات المتحدة مباشرة بعد انهيار الاتحاد السوفيتى ؛ فبعد إنتهاء الحرب الباردة ظهر كثير من المنظرين الذين أغراهم انتصار كيان الجديد _ السعي للحصول على نموذج يفسر كل شيء . وفي الوقت نفسه فقد ذهب المنظرون ، الذين يؤكدون أن الثنائية القطبية والتعددية القطبية هي النظام الأكثر رسوحا (١٨) ، ليأتى مكانهم خصومهم الفكريين من المدافعين عن الأحادية القطبية باعتبارها النظام العالمى الأمثل . لقد انطلق منظرو الأحادية القطبية

من أن نظام التعددية القطبية أقل رسوخاً من الأحادية القطبية . وقد تطور النقاش الذي كان من نتيجته فكرة الإمكانية الفريدة للبلاد في استغلال الأحادية القطبية باعتبارها نتيجة الانتصار الذي تحقق في الحرب الباردة^(١٩) .

أصبح التحذير الذي أطلقه الرئيس بوش هو ذروة التعريف اللغوي ، يقول الرئيس : «تعتبر الولايات المتحدة الأمريكية أن اهتمامها الحيوي الضروري يتمثل في منع الهيمنة على مناطق أوراسيا من جانب أي دولة عدوانية أو أي مجموعة دول»^(٢٠) .

وقد كتب جورج بوش في مذكراته : «إن علينا ببساطة أن نقود الآخرين ... وأن نضمن التنبؤ بالمستقبل ، وأن نكفل الاستقرار في العلاقات الدولية ، ذلك لأننا الدولة الوحيدة التي تمتلك الموارد الضرورية والسمعة ... وإذا لم تقم الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة الآخرين ، فلن تكون هناك زعامة في هذا العالم»^(٢١) .

لم يستطع الديمقراطيون من أنصار كلينتون تجاهل حقيقة أن الولايات المتحدة الأمريكية _ أكبر مصدر في العالم _ ترتبط بالتصدير أكثر مما ترتبط به اليابان على سبيل المثال ، وأن فروع الشركات الأمريكية في الخارج تمتلك نصيباً كبيراً من جملة التصدير العالمي ، أكثر مما تمتلك الشركات العاملة على الأراضي الأمريكية ، وأن ربع الناتج القومي الأمريكي مرتبطة بالاقتصاد العالمي . ويوصلوها إلى السلطة أشاعت الإدارة الأمريكية مصطلح توسيع منطقة ديموقراطية السوق . وقد رأى الرئيس كلينتون ، بعد دخوله البيت الأبيض ، أن من الضروري أن يقارن بين نفسه وبين وودرو ويلسون وهارولد ترومان وتيدور رووزفلت وفرنكлин رووزفلت ؛ أي بينه وبين هؤلاء الرؤساء الذين يجسدون النشاط العالمي للسياسة الأمريكية . ووفقاً للوثيقة الإرشادية التي اتخذها الparticipants عام ١٩٩٢ فإن الولايات المتحدة الأمريكية ينبغي أن تقضي على سعي الدول الصناعية الكبرى في تحدي زعامتنا أو محاولة تغيير النظام السياسي أو الاقتصادي القائم^(٢٢) .

ووفقاً لقانون جولد ووتر _ نيكولاوس (١٩٨٦) يلتزم رئيس الولايات المتحدة الأمريكية بالقيام سنوياً بنشر بيان خاص بإستراتيجية الأمن القومي للولايات المتحدة الأمريكية . كان بيان عام ١٩٩٥ يحمل اسم «إستراتيجية التدخل ودفع الأداء

الديمقراطي، . وقد وضعت إدارة كلينتون الثانية على رأس مهامها استراتيجية التدخل ودفع الأداء الديمقراطي، (٢٣). ويعتبر التعبير الذى أطلقته مادلين أولبرايت أمريكا هي الدولة التى لا يمكن الاستغناء عنها، هو الإسهام النظري فى هذا المجال . وقد أضافت أولبرايت «سوف نحتفظ بوجودنا فى كل مكان تقتضى الضرورة الدفاع عن مصالحنا فيه، (٢٤) .

ويفسر كل من ت . كرول (قائد مشاة البحرية الأمريكية) وج . جونسون (قائد العمليات البحرية العسكرية) وكلاهما عضو اللجنة المتحدة لقيادة الأركان مذهب كلينتون بأن «الولايات المتحدة الأمريكية لا يمكن أن تسمح لأى أزمة بأن تتصاعد بحيث تشكل تهديدا لها، (٢٥) . ويصف د . رايمير قائد أركان الجيش الأمريكي بأنه «يمثل قوات الانتشار السريع فى القرية الكونية»، . كما أصبح إصطلاح «الهيمنة الطيبة، اصطلاحاً سائداً . واكتسب الجدل حول ضرورة الاحتفاظ بوضع الدولة العظمى الوحيدة سمة الاستمرار .

ما الأدوات التي يستخدمها الأميركيون من أجل تحقيق أهدافهم ؟ تعدد وزيرة الخارجية الأمريكية أولبرايت هذه الأدوات على النحو التالي : المنطق البسيط ، الحوافز الاقتصادية ، المساعدة الفنية ، المعاهدات الجديدة ، تبادل المعلومات ، استخدام القوة ، التهديد باستخدام العنف ، المقاطعة ، التهديد بالمقاطعة وأى تركيب من الأدوات السابق ذكرها، (٢٦) . أما فيما يتعلق بالمنافسين الأقوياء لأمريكا ، فإن مادلين أولبرايت ترى أن من الضروري تحذيرهم : إن زعماء العالم الذين يصرون على أن العالم ما يزال ... أو يجب أن يستمر ... متعدد الأقطاب ، عليهم أن يراعوا أن دورهم الخاص ينبغي أن يتافق والمسؤوليات الملقاة على عاتقهم ... فالتحالفات الفعالة ليست خيارا ، وإنما تأتى تحقيقا لزعامة الولايات المتحدة الأمريكية، (٢٧) .

تفكير واشنطن فى القرن الحادى والعشرين ، عندما يصبح الصراع على الموارد الطبيعية أشد ضراوة ، وعندما يتحول ٦٠٪ من سكان الأرض إلى سكان للمدن ، وعندما تصبح ٩٠٪ من نسبة زيادة السكان فى العالم بسبب سكان العالم النامى ، الساعى إلى تجاوز التخلف والقضاء على الأولية والانفجار السكاني . تبدو أمريكا كما

لو كانت قد انتهت من حل مشكلات القرن المنصرم ولم يعد هناك شيء يثير فلقها أكثر من القرن الحادى والعشرين ، ولم تعد هناك دولة واحدة في العالم لا يحتمد فيها الجدل حول «المعركة من أجل المستقبل» .

ثبات الأحادية القطبية

تبعداً لنظرية ثبات الأحادية القطبية فإنه كلما زادت الدولة -الزعيم قوة ، كلما ازداد النظام الدولى استقرارا،^(٢٨) ، ولكن لو أظهرت القوى المتميزة رفضها لنظام الأحادية القطبية فإن تغيير هذا النظام سوف يكون أمراً بالغ الصعوبة . يزعم أنصار الأحادية القطبية أن تطوير عمليات العولمة في القرن الحادى والعشرين وتوسيع الديمقراطية وعمليات الأسواق العابرة القومية سوف تضعف من أهمية الحدود القومية كما سوف تسهل من مهمة أمريكا . وهناك رأى شائع - إلى حد كبير، ولكنه يفتقر إلى الدقة- يقول «إن اليابان من بين المرشحين المعاصرين للقب دولة عظمى تتخذ موقفاً معادياً بشدة للعسكرة ، والصين ضعيفة للغاية ، وألمانيا غارقة في القضايا الأوروبية ، وأوروبا مشتتة ، والبرازيل والهند ما يزالاً في دور الفتاة ، أما مسألة بعث جمهورية سوفيتية كبيرة ما أو اتحاد للدول المستقلة ككل فأمر مؤجل للمستقبل ، إلى درجة أنه لا يمكن اعتباره موضوعاً مثيراً للقلق ... ومن وجهة نظر الأمن القومي الأمريكي من الصعب تصور ظهور أي تهديد على امتداد من ١٥ إلى ٢٥ عاماً القادمة على أقل تقدير»^(٢٩) .

ويؤكد منظرو الزعامة الخيرة أولاً أن زعامة الولايات المتحدة يمكن أن تجد قبولاً من المجتمع الدولي ، إذا ما بدت هذه الزعامة غير عدوانية ، ووددة ، واعدة بالخير؛ فإذا عملت الولايات المتحدة الأمريكية ، آخذة في اعتبارها مصالح أعضاء الأسرة الدولية الأخرى ، فإن هذا يؤمنها ضد تجمع الجيران والمنافسين . إن قيم الديمقراطية والليبرالية الأمريكية وتأثيرها الثقافي الواسع يجب أن تضعف من مفعول القانون الثاني لنيوتون ؛ فالطبيعة سوف تقدم الاستثناء ، والفعل هنا لن يكون له رد فعل . وقد أعلنت وزارة الدفاع الأمريكية أن إيماناً العميق بالديمقراطية والحقوق المدنية يعطى للأمم الأخرى الثقة في النوايا الطيبة لقوتنا العسكرية وسعيها نحو العملية الديمقراطية

السلمية . (٣٠) ثانياً : إن عدم التماطل النابع من السيادة الأمريكية سوف يخلق بنية تصاعدية صارمة يصعب خلخلتها . أما الدول الأخرى فإنها لا تستطيع عملياً أن تنشئ نوازنا مضاداً للهيمنة الأمريكية ، وذلك في ضوء عدم التوازن الحاد لقوى ، الأمر الذي يجعل مهمتها باللغة الصعوبة .

ما يزال الخصم المحتملان (المانيا واليابان) في حالة صعب شديد ، وكلاهما مرتبط بالولايات المتحدة الأمريكية بشدة بشبكة من الاتفاقيات والعلاقات . (٣١) وعلى أراضي هاتين الدولتين تنتشر القوات الأمريكية . ولا يمكن – إلا إذا وقع ظرف استثنائي – أن «يتحرر» هذان العملان (الذان حارياً أمريكا في القرن العشرين) ليواجهها زعيم المجتمع الدولي ؛ فاليابان (التي أثارت تلك المخاوف باعتبارها منافساً ناجحاً ومحتملاً وزعيمًا عالمياً) توقفت طوال الثمانينيات عن أن تكون قوة عالمية يخشى بأسها . والأمر لا يقتصر هنا على الأزمة التي أخذت بخناقها ، ولكن لأنها حتى الآن لا تمتلك عقلية الزعامة العدوانية . واليابان مجتمع تجاري مسالم ، غارق بشكل واضح في جمع الثروة ، ولديه إصرار مطلق على ألا يكرر أخطاء الثلاثينيات . واليابان ليس لديها أي طموح أكثر من أن تكون الدائن الأول لأمريكا ، وشريكها التجارى الأول ، المستثمر الأول والمحمية الأولى لها . (٣٢)

وفي هذا السياق فقد ركز الأمريكيون جهودهم على نحو مكثف لوضع نظريات تؤكد أن الدول الديمقراطية لا يحارب بعضها ببعض . (٣٣) فما الذي يدفع الولايات المتحدة الأمريكية لأن تحارب كندا ، طالما أن بإمكانها أن تحصل منها على ما ت يريد وتحت بصرها . (٣٤) لقد اتفق كثير من الخبراء الأمريكيين على إبراز موضوع التبعية المتبادلة مؤكدين أن العالم الذي يسود فيه مبدأ التبعية المتبادلة يصبح القطاول على مكانة الزعامة فيه أمراً – ببساطة – غير ممكن ؛ فجميع أعضاء المجتمع الدولي الفاعلين مرتبطون أشد الارتباط كل بالآخر .

مبدأ إثارة الخوف

على أية حال لا يمكن القول بأن الجميع في الولايات المتحدة الأمريكية يغمرهم الشعور بالرضا ، فالهيمنة الأمريكية لا يمكن أن تستمر بلا نهاية . إن نصيب الولايات

المتحدة في الإنتاج العالمي ، وبالتالي تأثيرها العالمي ، سوف يبدأ في التراجع حتى لو استمر الاقتصاد الأمريكي على حالته من الازدهار . إن مرحلة الأحادية القطبية لا يمكن أن تستمر طويلا . «الافتراض القائل بأن نظام العلاقات الدولية - كما كتب تشارلز كوبتشان - يمكن أن يعتمد إلى الأبد على الهيمنة الأمريكية هو وهم ، كما أنه أمر بالغ الخطورة»^(٣٥) .

لقد عكست المؤسسات الصحفية البارزة التحول الذي أصاب الوسط القومي في اتجاه العذر . ويوجه أ . هايلاند رئيس تحرير مجلة «فورين افييرز» ذات النفوذ خطابه إلى أمريكا باعتبارها رمزاً جديداً للإيمان قائلاً : إذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية ترغب في إقامة نظام عالمي جديد يعكس القيم التقليدية الأمريكية فإن عليها أن تتحققها _ أولاً وقبل كل شيء _ في الحدود القومية ... وعلى ضوء الواقع القائم في السنوات العشر الأخيرة ، فإن شعار «أمريكا أولاً» ليس خطأ في كل جوانبه^(٣٦) . وتکاد مجلة «فورين بوليسي»، الأكثر ليبرالية بعض الشيء أن تتفق مع وجهة النظر هذه ؛ فها هو ش . أ . ماينز يؤكّد أن «على الشعب الأمريكي أن يعي محدودية ما لديه من موارد»^(٣٧) . أما أ . هاريس رئيس تحرير مجلة ناشيونال انترنيست التي تصنف باعتبارها ذات توجه يعنى ؛ فيؤكّد أنه «أن تكون الدولة العظمى الوحيدة الباقية في العالم ... هو وضع غير مناسب على الإطلاق ، كما أنه يكفي القيام بعمليات عسكرية من جانب واحد بحجم «عاصفة الصحراء» مرة واحدة لا أكثر ... ينبغي أن تكون هناك فترة زمنية نتعامل خلالها برفق مع الموارد والطاقة القومية ، ولكن نكسب الوقت فمن الضروري قبل كل شيء أن نرتب بيتنا من الداخل»^(٣٨) .

هناك ظاهرتان تهددان زعيمة العالم - المحظوظة : تعاظم الطامحين إلى نيل لقب الدولة العظمى فقدان الاستقرار (الفوضى) في أهم مناطق العالم ذات الأهمية الإستراتيجية .

بناء على ما سبق فإن الحجة القائلة بعدم وجود النزعة العسكرية لدى الدول الديمقراطية لن يصمد أمام التحليل التاريخي . وكما أن هناك زعماً بأن اقتصاد

السوق لا ينفصل عن الديمقراطية؛ فاليابان وألمانيا لم تكونا في يوم من الأيام دولتين تطبقان اقتصاد السوق على النطط الأمريكي . وهناك حجة أخرى أيضاً لن تصمد للنقد ، وهي إمكانية إنقاذ الاعتماد المتبدال العالمي . ليست المرة الأولى على امتداد القرن العشرين التي يتم الاعتماد فيها على العلاقات الحميمية والتبادل الواسع النطاق للبضائع والمكاسب التجارية المتبدلة واللجوء الاستثنائي للقوة ، مثل هذه الحجج البليغة جرى طرحها عشية نشوب الحرب العالمية الأولى (عندما بلغ الاعتماد المتبدال بالفعل مؤشرات كبيرة الحجم) وبين العربين العالميين . إن الظهور الجديد المدوى لمثل هذه الحجج لا يمكن أن يكون أساساً للرضا .

ويفترض عدد من المتخصصين من أمثال كينيت وولتس ، وميريام إيلمن ، ومايكل براون ، وشين لين- جونسون ، وستيفن مولر ... وغيرهم أنه إذا كان أعضاء المجتمع الدولي يعانون مشاعر الخوف في علاقتهم بعضهم البعض فإن الاعتماد المتبدال إنما يؤدي فقط إلى زيادة احتمالات التصادم^(٣٩) . ويورد المؤرخ بول كنيدل مقوله الاقتصادي الإنجليزي الذي رأى أنه برغم التبادل التجارى المكتف بين بريطانيا وألمانيا في بداية القرن إرهاصات للحرب بين البلدين حيث يقول وهو يتأمل المصانع الألمانية : «إن كل مدخنة من تلك المداخن ، هي فوهة مدفعة موجهة إلى إنجلترا»^(٤٠) . إن أشكال الاقتصاد المنافسة لأمريكا في نهاية القرن العشرين ... أصابها الهلع من هذه المداخن .

منافسون محتملون

هذا سؤال مطروح حول من سيكون بإمكانه مستقبلاً استغلال تشتت القوات الأمريكية . لقد أصبح تحديد هوية المنافسين المحتملين واحدة من المهام الرئيسية المطروحة أمام علم السياسة الأمريكي . وقد لقيت آراء الأمريكيين بشأن القدرات المختلفة للدول تأثيراً متبيناً ؛ فها هو صمويل هنتنجرتون أحد أبرز المواهب الأمريكية يلفت الانتباه إلى صراع الحضارات ، بينما راح بـ . تشويت وأ . لوتفاك يبحثان عن منطقة الصراع في التطور الآسيوي . أما س . إيمeson فقد ركز جهوده على قضية الإسلام الأصولي . وفي الوقت نفسه فقد رأى عدد كبير من المنظرين أن الصين الناهضة تمثل القوة العالمية الموازنة . ورأى ر . هاس أن التهديد لا يمكن في شخص

بذاته ، وإنما في اندفاع الأحداث وعدم القدرة على التنبؤ بالتطور العالمي^(٤١) . ويعتبر برايان إيتونود مدير وكالة التنمية العالمية أن الفوضى السائدة في العالم الثالث قد احتلت مكان الشيوعية باعتبارها التهديد الأكبر للولايات المتحدة الأمريكية^(٤٢) .

يدعو دافيد تاكر للتخلّى عن الصور التقليدية البائدة للعدو ، ويرى أن صورة العدو الآن تتمثل في «المقاتلين الهمج ، الذين لا يحملون أى قدر من الاحترام لقيود الحضارية ، والذين هم على استعداد دائمًا - وبشكل مطلق - للقيام بارتكاب أى عمل من شأنه أن يحقق لهم الانتصار. وهؤلاء الذين نشأوا في ظل الحرمان والفرضى ومناطق الانفجار السكانى والمخاطر البيئية ، متأملين تدنى أحوالهم الثقافية فى البلاد الإسلامية الغنية بالنفط ، هم محاربون مستعدون بكل سرور للجوء إلى العنف»^(٤٣) .

وقد حدد أنتوني ليك مستشار الرئيس كلينتون لشؤون الأمن القومي المرشحين لدور الخصوم المحتملين على النحو التالي : إنهم القوميون المتطرفون والمتعصبون القبيليون والإرهابيون وأصحاب الجريمة المنظمة والمتآمرون ، الذين لا يضعون اعتباراً لغيرائهم من الدول الأخرى ، وكذلك كل من يود لو أن الدول التي نالت استقلالها قرباً عادت إلى ما كانت عليه^(٤٤) . وبناء على هذا التعريف الواسع للعدو المحتمل ، فإن مقاومة هذا العدو واتخاذ إجراءات الضمان الازمة تتطلبان عولمة السياسة الخارجية وفرض الهيمنة على كل مكان في العالم . ويتساءل رونالد ستيل : من الذى لا يمكن اعتباره عدواً للولايات المتحدة الأمريكية على ضوء هذا التعريف الفضفاض للعدو المحتمل ؟^(٤٥) . إن عدداً قليلاً للغاية من أقطاب السياسة العالمية هم الذين يمكنون قوة عسكرية واقتصادية وسياسية مشابهة . وبطبيعة الحال فإنه ليس بمقدور كل منافسى أمريكا أن يصبحوا مرشحين لأداء دور المنافس الحقيقي لها . إن قادة المؤسسة السياسية مقتنعون أن عالم المستقبل سوف يضم بين جنباته أربع دول فقط يمكنها على ضوء ظروفها الملائمة الخروج من دائرة وصاية الولايات المتحدة الأمريكية ، وتوسيع نطاق نفوذها الخاص والتحول بذلك إلى مركز يتمتع بالاكتفاء الذاتى ، وهذه الدول الأربع هي : ألمانيا (وأجمالي إنتاجها ٢٢ تريليون دولار) ، اليابان (٤٣ تريليون دولار) ، الصين (تريليون دولار) ، روسيا (نصف تريليون دولار) .

ذكرنا آنفاً أن الألمان واليابانيين شكلاً مع نهاية القرن العشرين الخصمين الرئيسيين للولايات المتحدة الأمريكية ، وهؤلاء مقيدون بالالتزامات التي يفرضها عليهم تحالفهم مع الولايات المتحدة الأمريكية . ترى هل يمكن اعتبار هذه المعاهدة الرقابية حاجزاً مضموناً ؟ لا يولي كل الأمريكيين ثقتهم لحلفائهم ، كما أنهم غير مطمئنين لمكانة روابط الشراكة القائمة ولا في فعالية نظام الوصاية العسكرية والسياسية على الاتحاد الأوروبي واليابان . ومن هؤلاء ز . خاليداد ، أحد العاملين بمؤسسة ريند ، الذي توصل إلى استنتاج حول هشاشة علاقات التحالف أوجزه في قوله : «إن الإيمان بتحالفات تقوم على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية هو إيمان معرض للانهيار طالما لم يتوصل الحلفاء الرئيسيون فيها ، مثل ألمانيا واليابان ، إلى عقد اتفاق ينص على أن الاتفاques القائمة لا تشكل تهديداً لأمنهما . إن هذا الإيمان يمكن أيضاً أن يصبح عرضة للاهتزاز إذا ما اتسع الحلفاء لزمن طويل متواصل ينظرون إلى الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها دولة لم تعد تمتلك الإرادة والقدرة على الدفاع عن مصالحها »^(٤٦) .

لقد دخلت روسيا - العدو السابق - في خضم الصراعات الداخلية وفقدان الاتجاه والقلق العرقية وفقدان زعمائها إرادتهم ، وأصبح قيامها بدور المصدر للمواد الخام يقلل من شأنها ، في نفس الوقت الذي فقدت فيه دورها تقريباً كمشارك في الثورة التكنولوجية ، كما أفقدتها الانهيار المفاجئ للهيكل الداخلية للدولة وهيكل السياسة الخارجية التمنع بالاستقرار . وما تزال روسيا غير قادرة حتى الآن على أن تجد العالم الداخلي تجاه قضيتين رئيسيتين مثل علاقتها بسبعين عاماً من الشيوعية والهوية القومية للمواطنين الروس : علاقتها بحدودها الجديدة ، وبخمسة وعشرين مليون روسي خارج حدودها . لقد تقادمت أسلحتها الإستراتيجية ، وتقلصت أسواق الصناعة ، وأدار حلفاؤها ظهورهم لها . انخفضت ميزانية الدولة في روسيا لتتصبح أقل من ميزانية فنلندا ولتساوي مع ميزانية أيرلندا . وفي هذا الصدد يصل رونالد ستيل إلى استنتاج مفاده «أن روسيا دولة مصابة ببلفة ... وهي بحاجة إلى عدة عقود لكي تستعيد - ولو ظاهرياً - قدرتها السابقة . وسوف نظل ولزمن طويل «الرجل المريض» على امتداد الحدود الأوروبية ، باعتبارها مشكلة أكثر من كونها مصدراً للتهديد»^(٤٧) .

وحتى أكثر أنصار مبدأ إثارة الخوف تطرفًا في الولايات المتحدة الأمريكية لا يتوقفون أن تتحول هذه الدولة ، التي تستجدى القروض من صندوق النقد الدولي وتحل المساعدات الإنسانية ، إلى منافس كما كان الحال في الماضي . وعلى أية حال فعلى الرغم مما آلت إليه روسيا من ضعف فهي ما تزال الدولة الوحيدة في العالم التي تمتلك قوة نووية قادرة على تهديد الولايات الأمريكية المتحدة . إن النيات الحسنة التي تضمّنها روسيا في الوقت الحالي تجاه الولايات المتحدة الأمريكية يمكن أن تنقلب رأساً على عقب ، والقوة ، المحايدة دائماً ، يمكن أن تتحول إلى سلاح لسياسة التهديد^(٤٨) . يرى د . كاليليان أن «روسيا العدوانية يمكن أن تمثل مشكلة ضخمة ، إذا ما دخلت في تحالف مع الصين»^(٤٩) . وسوف تتضاعف قوة روسيا إذا ما وجدت لها حلفاء أقوىاء . عند هذه المعادلة تؤكد تيريزا ديليش أن مستقبل التعاون بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا والصين ، والذي تعتبر العلاقات بين روسيا والصين - من خلاله - الأكثر تعقيداً ، سوف يصبح تعاوناً حاسماً بالنسبة لقضية الحرب والسلام في المائة عام القادمة،^(٥٠).

إن الحذر البالغ تجاه علاقة التقارب بين القوتين الأعظم فوق أراضي أوراسيا الشاسعة هو أمر تقليدي في مجال الجيوبيوليتيكا الأمريكية . ينبغي لا ننسى هنا أن المفهوم الأكثر تأثيراً في فن الدولة الأنجلوأمريكية يتمثل في فكرة هارتلاند، عن أوراسيا وعن الفضاء المركزي ، وهي فكرة الحيلولة دون قيام دولة مركزية^(٥١) . لا سيما قيام تحالف بين دول مركزية قارية .

من الصعب - بطبيعة الحال - أن يؤمن الجميع بأن وجود مثل هذا التحالف يمكن أن يخفف وشنطنه . يذكّرنا مايكل ماندلباوم «بأن أكبر دولة من حيث تعداد السكان (الصين) وأكبر دولة من حيث المساحة (روسيا) تختلفان عن بعضهما البعض جوهرياً في عدد من الخصائص المهمة . فالاقتصاد والقوة والمكانة الدولية للصين تختلف عن وضع روسيا ، التي دخلت في مرحلة صعبة من تاريخها».

تبدو الصين هي أكثر خصوم الولايات المتحدة الأمريكية المحتملين في القرن الحادى والعشرين ؛ فالصين تمتلك أقصى فرص النجاح كمنافس . ويرى خبراء

السياسة في الغرب أن لدى الصين أكبر إمكانات لكسر الوضع الراهن الأمثل للولايات المتحدة الأمريكية . وتبعاً لتعريف كولين جراي - الذي يتفق عليه الكثيرون - فإن ظهور الصين كدولة عظمى في أوراسيا يمثل ظهور منطقة ساحلية ، شرقية بالنسبة ، للمنطقة المركزية ، التاريخية ، والمنطقة الساحلية الهائلة للصين تطل على خطوط الاتصال البحرية الرئيسية ، وهي طرق عظيمة تمر عبر المحيطات وتسير بمحاذاة خطوط اتصال الإمبراطورية البحرية والصناعية والتجارية لليابان . ومتلك الصين فيها وزناً ومكانة بارزتين ، كما أنها - خلافاً للاتحاد السوفيتي السابق - غير منغلقة في إطار حجمها القاري ، وقد لا يمكن أن تدفعها للانغلاق حتى السياسة الأمريكية الموجهة^(٥٢) . إن اتساع المساحات وطبيعة الأرض ونوع السكان وخصوصية التقاليد الاجتماعية والموقع الجغرافي بالنسبة للعالم يجعل من الصعب المبالغة سلباً أو إيجاباً بشأن قوة تأثير الصين في النظام العالمي ؛ فالصين ستنمو حتماً لتصبح دولة نووية عملاقة وعندها ستضطر الولايات المتحدة الأمريكية لأن تدفع ثمناً باهظاً من أجل توازن هذا التهديد^(٥٣) .

لا تستطيع الولايات المتحدة الأمريكية بكل ما أوتيت من جبروت أن تفعل الكثير ، في حالة ما إذا استمرت جمهورية الصين الشعبية في تأكيد ذاتها بدءاً من شرق آسيا ثم بعد ذلك في كل أنحاء العالم . وهنا ينبغي عدم المبالغة في أهمية عنصر الارتباط بالسوق الأمريكية ، وبفضل الاستثمارات الغربية وتبادل التكنولوجيا مع الغرب ، ولكن الصين إجمالاً موجودة بعيداً عن متناول الولايات المتحدة الأمريكية . إن هذا التصور حول الإمكانيات الضخمة للصين ، وحول سرعة زوال محاولات توجيه نموها ما يزال يكتسب وزناً اجتماعياً أكبر يوماً بعد الآخر . بينما يتكون لدى عدد متزايد من الأميركييين انطباعاً أن أمريكا لن تواجه الآن قوى هائلة لا يمكن السيطرة عليها .

وإذا لم تنزعج بكين عن الطريق المؤدية بها إلى الهيمنة على شرق آسيا ؛ فقد تبرز في الولايات المتحدة الأمريكية قوى تؤكد على أن التوجه الحالي خطير لظهور منافس يبلغ تعداد سكانه 1.5 مليار نسمة ويمتلك اقتصاداً سريعاً النمو . ترى هل يمكن النظر

باطئنان إلى هذا التهديد المتصاعد ؟ هناك تحالف داخل العائلة الأمريكية يرى: أن على الولايات المتحدة الأمريكية أن تقف ضد تحول الصين إلى دولة عظمى ، وذلك بحفر التناقضات الداخلية فيها، فإذا ما تعذر ذلك ، فإن عليها (الولايات المتحدة) اللجوء إلى القيام بحرب وقائية،^(٥٤).

مثل هذه الاستنتاجات المذعورة يمكن التوصل إليها إذا ما جربنا فقط الشكوك القائمة بشأن استمرارية القوة الحالية لحلف شمال الأطلسي دون أدنى أمل في أن يتسم النمو الصيني بمشاعر المودة. يجب أن نذكر هنا أن هذا التحالف الذي لا يستهان به من الصفة الأمريكية ينطلق من افتراضات متشائمة مفادها، أن أوروبا وحلف شمال الأطلسي يفقدان دورهما باعتبارهما بؤرة الأحداث العالمية في القرن الحادى والعشرين ، بينما ستفرض (بدلاً منها) منطقة المحيط الهادى الآسيوية مسيرة الأحداث في العالم بعد انتهاء الحرب الباردة،^(٥٥). وإذا كانت العلاقات السوفيتية الأمريكية هي التي حددت مسيرة الأحداث في النصف الأخير من القرن العشرين ، فإن العلاقات الصينية الأمريكية هي التي ستحدد مسيرة الأحداث في النصف الأول من القرن الحادى والعشرين . إن التاريخ يعلمنا أن الزعامة والهيمنة يولدان حتماً المقاومة . وهناك ثلاثة عوامل بإمكانها أن تجعل من أسس الجبروت الأمريكية أساساً قابلاً للهتزاز .

أولاً : أنه ليس من طبيعة الدول ذات السيادة أن تضع أنها في أيدي غريبة ، وأن وجود قوة عظمى واحدة ، في نهاية الأمر ، يحفر الخوف لدى الدول المحيطة ، وأن أصدقاء اليوم ليسوا بالضرورة هم أصدقاء الغد ؛ فالدول المستقلة تسعى لتأمين مستقبلها لا يعلن نياتها على الملأ ، وإنما بتقدير عوامل القوة الكامنة في الأعمال . وإذا كانت التباينات متقلبة فالقوة تظل دائمة على ما هي عليه.

ثانياً : أن إصرار سكان الولايات المتحدة الأمريكية على دفع ثمن بقائها دولة عظمى (مادياً ويسرياً) يمكن أن ينتابه الصنف . يرى تيري ديبيل أن « الدور العالمي يتطلب انفاقاً ضخماً للموارد ، كما يتطلب تفاولاً وفعالية كبيرة ... والأمريكيون عادة ما يشعرون بعدم الارتياح لكونهم متوحدين مع فكرة أن بلادهم تستغل مكانتها

للتدخل في كل شؤون الدنيا ، بهدف توطيد أنمنها^(٥٦) . وبشكل خاص فإن الحروب في كوريا وفي فيتنام والأعمال العسكرية في الصومال قد أظهرت بالفعل أن الشعب الأمريكي لديه الاستعداد لأن يدفع ثمناً محدوداً فقط من أجل احتفاظه بالقوة المطلقة . وكما يؤكد ديفيد ريف «إن الجنرالات يعلمون أن من المؤكد أن أي عضو في الحكومة لن يتكلم بلهجة قاطعة عن بشاعة الحرب والمصير البائس الذي يلاقيه الجنود إذا ما سقط ولو جندي واحد فيها»^(٥٧) ، بل إن بعض الجنرالات الأمريكيين رفضوا اعتبار «ما وقع في فيتنام نوع من الخيانة»^(٥٨) . كان العالم شاهداً على الانسحاب السريع للأمريكيين من الصومال في عهد الرئيس كلينتون ... أما الأعراض الفيتنامية فلم تدفن في رمال الخليج، (كان جورج بوش قد أكد أنه دفنتها فيها) . هناك ثمن، والمواطن الأمريكي ودافع الضرائب ليسا على استعداد لدفعه حتى ولو من أجل المهيمنة العالمية . لقد ولّى الزمن الذي كان سقوط الضحايا فيه (كل الضحايا تقريباً) كان وراءه ما يبرره . بانتهاء الحرب الباردة لوحظت الرغبة لدى العديد من الأمريكيين في تحويل بؤرة الجهود القومية من الخارج بعيداً لتحسين ظروف الحياة داخل البلاد . وفي خريف عام ١٩٩١ رفع ٧٤٪ من الأمريكيين شعار العودة إلى الوطن^(٥٩) .

ثالثاً : أصبحت بلدان العالم الثالث التحريرية ، وخاصة تلك البلدان التي تمتلك أسلحة الدمار الشامل ، والتي تسمح أحجامها ومؤشراتها الديموجرافية أن تطمح لاحتلال مكانة مهيمنة الخصم الرئيسي للوضع الراهن^(٦٠) .

هناك أرضية واسعة للافتراء أن حدود المصالح المباشرة للولايات المتحدة الأمريكية في القرن الحادى والعشرين سوف تتراجع على نحو أكبر ، حتى بالمقارنة بالتراجع الذي حدث وعلى نحو مباشر بعد فترة الحرب الباردة . يمكن أن نسمع أصواتاً تتساءل : وهل أمريكا مستعدة للدخول في حرب من أجل الحدود الرومانية؟ ومن أجل استقلال تايوان؟ ومن أجلبقاء الوضع كما هو عليه في كشمير والتبت وعلى الحدود بين الدول الأفريقية ، هل ستحارب بسبب جزر سبراطل وسينكار ، أو بسبب الجدل الدائر في آسيا الوسطى؟ وهل سترسل الولايات المتحدة الأمريكية

الوحدات الحاملة للطائرات إلى مضيق تايوان أثناء إجراء الانتخابات القادمة في تايوان؟ هناك من الأسباب ما يدعونا إلى الشك في أنها ستفعل ذلك. أما الصين فستصبح أقوى، وسوف يتضاعل فلق الأمريكي البسيط بشأن تلك الجزيرة الصغيرة. يرى ك. لайн «أن من الأمور بعيدة الاحتمال أن تستطيع الولايات المتحدة الأمريكية أن تدعم الثقة في ضمانات الأمن (إذا ما أعطيت هذه الضمانات) لدول مثل أوكرانيا، ودول بحر البلطيق وحتى تايوان؛ فكل دولة من هذه الدول يمكن أن تقع في نطاق التهديد النwoي لمناسفها»^(١١). إن دافع العزائم الأمريكية لا يرى أي مغزى للبقاء على الوضع الراهن على نحو شامل وعالمي، كما أنه غير مستعد لأية تصحيات مادية، وأفضل دليل على ذلك هو ظهور نزعـة الانعزالية الجديدة في التسعينيات من القرن العشرين.

نلاحظ في هذا الصدد أن عدم الوفاء بالالتزام مرة واحدة من شأنه أن يزعـع الإيمان في القدرة الكاملة للزعـيم، وعندئذ ستأخذ كل الدول ذات السيادة طريقـاً مستقلاً.

البحث عن السياسة الأمثل

تنفق الولايات المتحدة الأمريكية في الوقت الحالى ما نسبته ١٤٪ من إجمالي ثروتها القومية لتحقيق سياستها الخارجية، وهذا المقدار يقل كثيراً عما كانت تنفقه أيام حكم الرئيس ترومان، وهي تحـلـ المكانة الأخيرة بين الدول الصناعية المانحة للمساعدات. وقد انخفضت المساعدات الأمريكية الخارجية إلى ١٧ مليار دولار أي حوالي ١٪ من الميزانية الفيدرالية. كما أنها المدين الرئيسي للأمم المتحدة وللعديد من المنظمات الاقتصادية. وحتى هذه التصحيات بدت لكثـيرـين زائدة عن الحاجة. ولماذا ينبعـى على الولايات المتحدة الأمريكية بالذات أن تنفق مواردها الهائلة لضمان أمن أوروبا الغربية واليابـان؟ يكتب المؤرخ الشهير بـ. كـنـيدـى على سبيل المثال قائلاً: «إن الاستخفاف الإمبراطوري لا يؤدى إلا إلى فقدان الموارد وتعـولـ القوة إلى ضـعـفـ»^(١٢). وقد حققت أمريكا أكبر قدر من زيادة القوة لا في سياق اشتراكـها في المواجهـةـ (كلفـتـ الحربـ الباردةـ العالمـ عشرـةـ تـرـيلـيونـاتـ منـ الدـولـارـاتـ أنـفـقتـ هـباءـ) ،

وإنما في الفترات التي ضعف اهتمام أمريكا فيها بشلون ما وراء المحيطات وذلك في بداية الحربين العالميتين الأولى والثانية ، وفي عشرينيات القرن العشرين . إن الهيمنة على العالم عمل بالغ التكلفة . وفي نهاية الأمر فإنها يمكن أن تمنع الدول الأقل تورطاً في السعي وراء الهيمنة الفرصة لأن تصبح قوية .

تستطيع أمريكا تغيير الوضع الراهن الملائم لها ، وذلك على حساب الاستخدام الموجه للقوى القومية أو على أساس تعليمة التحالف الكبير لهؤلاء الشركاء ، الذين كسبت معهم الحرب الباردة . وهنا يطرح السؤال حول الشكل الذي سيتخذه الردع الإستراتيجي : هل يتحقق عن طريق الأعمال العسكرية المحدودة أم بواسطة التحالف الإستراتيجي ، الهيمنة بلا شريك أم البحث عن توازن القوى ؟

ما يزال المدخل الأول هو السائد في المؤسسة الأمريكية ، هنا لا يوجد أحد على استعداد أن يشاركه الآخرون وظائف الهيمنة ، وهنا يزداد الخوف من النتائج المحتملة نتيجة مغادرة وفقدان الهيمنة على المناطق المهمة . إن المنطق السائد يقتضي الهيمنة على تلك البلاد التي يتحمل أن تصبح قادرة على الوقوف في صف المعارضة . وقد عبر المرشح الجمهوري للرئاسة السناتور دول في كلمته الرئيسية عن السياسة الخارجية ، والتي ألقاها في عام ١٩٩٦ في مركز نيكسون للسلام والحرية عن هذا الاتجاه بشكل واضح ، وكذلك تعهد السناتور دول بالتمسك بسياسة « الإستراتيجية الكبرى » التي تلت عام ١٩٤١ ، وتنصمن الهيمنة على أوروبا وسواحل المحيط الهادئ والخليج الفارسي وضمان حرية البحار والتجارة . وفي سياق ذلك فإن الولايات المتحدة الأمريكية المتحركة من كل قيود الاتفاقيات ، سوف تكون أكثر استقلالاً عن المنظمات الدولية : فمع وجود بوب دول في البيت الأبيض لن يتلقى أى أمريكي أية أوامر من الفيلدمارشال بطرس غالى .

إن مثل هذه السياسة قد تفلح بشرط أن تجد دعما غير مشروط في وطنيها ذاته ؛ فقوة النزعة الأمريكية العالمية تستند على موافقة المواطنين الأمريكيين ، وقد ظلت هذه الموافقة عنصرا ثابتا في أمريكا طوال النصف الثاني من القرن العشرين ؛ ففي عام ١٩٤٧ كان ٦٨ % من الأمريكيين يؤيدون الدور الفعال للولايات المتحدة الأمريكية

في العالم ، بعدها زالت تماماً النزعة الانعزالية التي كانت سائدة من قبل . وعلى امتداد الخمسين عاماً الماضية لم تتراجع إطلاقاً نسبة الأميركيين المتحمسين للدور الأميركي عن ٦٥ % من التعداد العام الأميركي .

على أن التجربة في كل من كوريا وفيتنام لعبت على أية حال دورها ، فقد أصبحت الخسائر الجسيمة في هذه البلاد الثانية أموراً غير مقبولة في الولايات المتحدة الأمريكية .

أما أنصار المدخل الثاني فقد أشاروا - وعلى نحو بالغ الإقناع - إلى أن «مخاطرة الدخول في صراع ونقطة الضعف المحتملة فيما يتعلق بتعرض الأراضي الأمريكية تحديداً لهجوم من الخارج ، مما أمران يبعان - بشكل مباشر - من المسؤوليات الأمريكية فيما وراء المحيط ، تلك المسؤوليات التي يفرضها التعريف الواسع لمفهوم المصالح الأمريكية»^(٦٣) . لا يمكن لأى قوة أن تجعل من الردع العالمي أمراً أبداً ، ناهيك عن أن تجعله مستمراً لفترة طويلة . كل القوى العظمى السابقة كانت تقابل بالمقاومة ، وفي هذا السياق فالتجربة التاريخية خير مقلع . وكما يؤكد تشارلز كوبتشان «إن على الولايات المتحدة الأمريكية أن تكون مستعدة للضعف الحتمي الذي سيعترى هيمنتها ، ولكن تخفف من حدة أثر هذه العملية فعليها أن تساهم في تقوية زعماء الأقاليم في كل من المناطق الثلاث التي تتميز بقدرتها الصناعية والعسكرية ، وهي أمريكا الشمالية وأوروبا وشرق آسيا ... ولا ستزداد سرعة ضعف الهيمنة الأمريكية»^(٦٤) .

وإذا كان تاريخ العالم يعطينا أساساً لإجراء المقارنات ، فإن الجدل الذي لن يكون هناك مفر منه في مستقبل أمريكا مفاده : هل من الأفضل للأمريكا أن تظل تدفع على نحو مستمر ثمناً متتصاعداً من أجل الهيمنة العالمية أم تقيم توازناً للقوى في العالم أقل تكلفة وأكثر رسوحاً ؟ وما تزال تتتصاعد داخل الولايات المتحدة الأمريكية أصوات تؤكد أنه يمكن تصور قليل من الصراعات في عالم ما بعد الحرب يمكنها أن تعرض مصالح الولايات المتحدة الأمريكية لخطر حقيقي»^(٦٥) .

إن النظرة الأحادية من شأنها أن تحطم موارد أي دولة ، حتى ولو كانت دولة في ثراء الولايات المتحدة الأمريكية . يؤكد تشارلز ماينز أنه ، ما لم تعرف واشنطن بقصور وعودها وفي قدرتها على تحقيق الهيمنة فإنها ستدفع البلاد إلى الإفلاس وإلى إثارة تمرد شعبي ضد التزامات أمريكا في كل أنحاء العالم،^(١٦) . وفي الوقت نفسه يوجد إستراتيجيون حذرون من أمثال صمويل هنتنجلتون يخشون «السباحة المنفردة» ، ويفضلون التوازن الراسخ للقوى في العالم^(١٧) .

أليس من الأفضل أن يسمح للقوى المستقلة أن تتعامل بحيادية بعضها مع بعض ؟ فلتتوزن الدول «العظمى» فيما بينها ، وسوف يكون بإمكان الولايات المتحدة الأمريكية توطيد هذا التوازن لتصبح مدعاه للثقة أكثر من كونها دولة عظمى ، وذلك عن طريق الدفاع عن المصالح الأمريكية . ولتنق الدول الأخرى مواردها ، عندئذ ستلقى الولايات المتحدة الأمريكية عن كاملها أحmalًا ثقيلة ، وستضمن قوتها الداخلية وطافة إقتصادها وفكر جامعاتها ، وليس قيامها بالوظائف البوليسية الشاملة – مكانة لها في المستقبل . يزعم د. هاس أن الولايات المتحدة الأمريكية يمكن أن تلعب دور «رجل الشرطة العالمي» ، على أن تساندها دائمًا مجموعة من المساعدين^(١٨) .

ويقترح تشارلز كوبتشان اختيار الزعماء الإقليميين ، الذين لديهم الاستعداد أن يكونوا «مساعدين لرجل الشرطة» . وهذا الأمر غير مطلوب في أمريكا الشمالية ، فالولايات المتحدة الأمريكية ليس لها منافسون هناك ، ومن ثم يصبح بإمكانها أن تؤدي دور الزعيم الإقليمي بالمشاركة . أما في أوروبا ذات التنوع ، فإن هذا الزعيم الذي يلقى التشجيع في أمريكا يجب أن يكون محوراً فرانكو أو ريبيرا ، القلب الصناعي والسياسي للقارة التي عانت كثيراً . (يبلغ نصيب كل من ألمانيا وفرنسا ٨٠٪ من إجمالي الإنتاج الداخلي ، و ٨٥٪ من إجمالي النفقات العسكرية للاتحاد الأوروبي بأكمله)^(١٩) . ويمثل شرق آسيا حالة خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية يفترضون أن آسيا لا تستطيع – رغم أنها – أن تقدم زعيماً إقليمياً مطلقاً الزعامة ومقبولاً من الجميع ، واشنطن ليست في عجلة من أمرها لتبلور هذه العملية . إن الدول الرئيسية في هذه المنطقة تربطها علاقات سياسية وثيقة بالولايات المتحدة

الأمريكية، ولكنها لا تمتلك مثل هذه العلاقات مع بعضها البعض . وفي ضوء ذلك تأتى أهمية الوجود الأمريكى من أجل استقرار المنطقة ... وسوف يتعين على شرق آسيا أن يقطع شوطا طويلا من أجل تحقيق التضامن الإقليمي ...^(٧٠). ظلت اليابان لمدة طويلة هي المرشح لزعامة المنطقة . وفي التسعينيات من القرن العشرين كانت اليابان تنتج ما يزيد عن نصف إجمالي الإنتاج الداخلى للمنطقة ، غير أن اليابان ، أولاً: لا تمتلك إمكانات عسكرية كبيرة ، ثانياً : ليس هناك تضامن يجمع بين دول المنطقة (ويرجع ذلك في جزء منه لما خلفته الحرب العالمية الثانية) وثالثاً : أن نهضة الصين تخفي في طياتها نتائج لا يمكن التنبؤ بها . وحتى الآن فإن أمريكا ليست مستعدة لمواجهة السيادة الصينية في شرق آسيا . وإن كانت تنتظر في آناء وصبر التطورات اللاحقة لأكبر دولة في المنطقة .

وعلى الرغم من أن التكتلات الإقليمية الثلاثة تمتلك إمكانات هائلة للفوقة الكامنة فإن الامركزية داخل هذه التكتلات تحد من قدرتها على تفعيل هذه القوة . أما الوجود العسكري والاقتصادي فيمنحها ضمانات محدودة . وسوف يسعى زعماء المناطق الثلاث لوضع قواعد اللعبة ويفترض ت . كوبتشان أنهم سوف يؤسسون مجلس إدارة عالمي يحل محل «مجموعة الدول السبع» ، وهذه ستكون من الولايات المتحدة الأمريكية واليابان وألمانيا وفرنسا والصين ، وربما أيضا روسيا^(٧١) .

سيبرز في المستقبل أنصار بناء توازن القوى . وبدون تكوين هذا التوازن سوف تضطر أمريكا لحل القضايا التي تستنزفها ؛ فالأهداف الأمريكية ينبغي أن تكون محدودة ، ومن الضروري لأمريكا أن تضع مفهوما جديدا لمكانها في الغرب ولعلاقتها بالعالم الثالث وللعالم الذي كان يعتقد سابقا أفكار لينين^(٧٢) . يذكر أن المرشحين الجمهوريين السناتور فيل جريم والسياسيين بت بيوكينان وستيف فوريس عارضوا النشاط الأحادي الجانب أثناء حملة الرئاسة التي جرت عام ١٩٩٦ .

ويوصي رونالد ستيل أمريكا بالعودة إلى نصف العالم الذي تشغله ، وأن تدعم مواقعها على حدود المحيط وأن تنهج نهج العزلة الرائعة لبريطانيا في القرن الماضي؛ فعلى أمريكا أن تداوى جراحها الداخلية ، وأن تصالح بين الطبقات والأعراق

والآجنس . وإذا كانت أمريكا راغبة عن استنفاد نفسها في خضم تحقيق طموحاتها الهائلة ، فإن عليها أن تستنهض بداخلها شعور الاهتمام بالمكان ؛ إذ إن أكثر ما تحتاجه الولايات المتحدة الأمريكية بالفعل هو الإحساس بالواقعية ، ومن ثم فإن عليها أن تتخلى عن سياسة الهيمنة العسكرية على المستويات العالمية ، وأن ترك لزعماء المناطق المختلفة حل مشكلاتهم الإقليمية ، وأن تتنازل عن ارتباطها المكلف بنفط الخليج ، وأن تبذل كل ما لديها من قوة من أجل رفع الإمكانيات العالمية للمنافسة،^(٧٣).

في ذروة الحرب العالمية الثانية طرح ولتر ليberman صاحب الموهبة الرفيعة على الحكومة الأمريكية القضية الثالثة : «من الضروري أن نوفي بالتزامات الأمة تبعاً لمواردها ، محتفظين في الوقت نفسه بالاحتياطي المهم لقدرتنا» ، وتحت تأثير الإحساس بنشوة القوة الجبارية أعلن الرئيس الأمريكي ترومان رسمياً أن هدفه هو الهيمنة على العالم أي التراجع الحاسم عن قاعدة ليberman ، أي : «التقنيين المبتكر للتحالف الأمريكي» ، على حد قول تيودور دريبير . وقد بلغ الاستعداد للتدخل العالمي ذروته في الكلمات الشهيرة التي صرخ بها الرئيس كينيدي عندما قال : «إن الولايات المتحدة الأمريكية مستعدة لتحمل أي عبء ودفع أي ثمن» .

لقد رأى ليberman في مذهب العولمة الذي طرحته ترومان سرور حملة صليبية أيدиولوجية ليس لها حدود ، حملة لا يمكن وقفها ، كما يستحيل التنبؤ بنتائجها،^(٧٤) . أما جورج كينان ، أبو سياسة العولمة الأمريكية نفسه ، فقد اضطر لأن يعترف - معبراً عن خوفه من استحالة دفع تكلفة الهيمنة على العالم - بأن هناك في هذا العالم مشكلات لا يمكننا أن نحلها ، وكما أن هناك أعماماً لا فائدة من سبر أغوارها وليس لها أثر واقعي ، فإن تلك المعضلات التي تحدث في المناطق النائية ستجد لها حل دون تدخل من جانبنا،^(٧٥) .

يدخل الأمريكيون خفية وعلنا في جدل مع بعضهم البعض ، وهم منعزلون في شلونهم المهنية ، يشاهدون التليفزيون في جو من الوحيدة ، وينسكون عبر مواقع الإنترنت ، يطالعون المقالات في الصحف باعتبارهم يمثلون أمّة من الأنصار الحقيقيين للمذهب الفردي ، وهم قلماً يتوصّلون في بسر إلى اتفاق حول قضية من

القضايا ، ناهيك عن الحديث عن المشكلات الحقيقية بشأن التورط الأمريكي في الشؤون الدولية . وإلى الآن ما تزال الأغلبية تتفق على ضرورةبقاء أمريكا «شرط العالم» ، لكن الإجماع حول التضحيه بالدم وبالثروات القومية من أجل قصة النظام العالمي ، هو إجماع لا يمكن الاتفاق الأبدى حول تعريفه . لا يقتصر الأمر على مجرد أن الهيمنة العالمية عالية التكلفة ، وإنما الأرجح أن هذه الهيمنة سوف تدخل في تناقض مع المستقبل ، وكما يرى ديفيد ريف «فإن السيناريوهات التي تفترض أن معارضته النظام الاقتصادي العابر للقومية سوف تخفي مع الزمن ، هي سيناريوهات مستبعدة للغاية ... فكلما زاد فقدان الناس لوظائفهم بسبب النظام الرأسمالي الجديد والمؤثر ، كلما زاد ميل الناس نحو اتهام النظام العالمي الجديد بأنه وراء ذلك »^(٧٦) . سوف تقابل الهيمنة في طريقها حتماً بالمقاومة ، ليس فقط من جانب العالم الخارجي المستقل ، وإنما من جانب الأمريكيين أنفسهم ، الذين ليس لديهم الاستعداد لدفع ثمن ظلوا يقبلونه طوال الستين عاماً الماضية ، ولكنه أصبح أقل قبولاً في كوريا ، ثم أصبح مرغوباً في كل من فيتنام ولبنان والصومال . إن إحساس المؤسسة العسكرية بالخلياء يمكن أن يؤدي إلى اغتراب أهم الحلفاء وزيادة العنف عند الخصوم ، ويدفع بالقوة إلى غاية توبيخها .

مراجع الفصل الأول

- 1- Gaddis J.L.The Evolution of Containment //T.Diebel and j. Gaddis, Eds. Containing the Soviet Union. Washington .1987.P.1.
- 2-U.S. Budget,fy 1996. Washington.1996.Table 6.1.
- 3-Survival. Winter 1998/99.p.185.
- 4-Kupchan ch. After Pax Americana. Benign Power, Regional Integration, and the Sourses of a Stable Multipolarity//International Security Fall 1998. P .77.
- 5-The Military Balance, 1998/99. P .34 .table 6.
- 6-Steel R. A New Realism //World Policy Journal .1997. P .8.
- 7-Maynes Ch.W.Principled Hegemony//. World Policy Journal. 1998.P .31.
- 8-World Policy Journal. Fall 1996. p . 114-115.
- 9-Addis J.L The Tragedy of Cold War History // Diplomatic History. Winter 1993 P. 3-4.
- 10-Layne Ch. Rethinking American Grand strategy. Hegemony or Balance of Power in the Twenty-First Century? // World Policy Journal.Summer 1998.P.9
- 11-Quolaion from. No: pfaff W. Ronald Steel's post-Cold War America // World Policy Journal.Spring 1998.P.70
- 12-Danner M.Marooned in the Cold War .America, the Alliance , and the Quest for a Vanished World // World Policy Journal .fall 1997.P.3.Wpjf
- 13-Called D.A New Era of Overstretch ? American Policy in Europe and Asia//World Policy Journal .Spring 1998.P.14.
- 14-O'Hanlon M.How to be a Cheap Hawk: The 1999 and 2000 Defense Budgets. Washington, 1998.p.4-5.
- 15-Krauthammer Ch.The Unipolar Moment // Foreign Affairs. America and the World 1990/91.P.23-33.
- 16-Nye J.Bound to Lead.N. Y.,1990.P.258-260.

- 17-Haas R. The Reluctant Sheriff : The United States after the Cold War.N.Y., 1997.
- 18-Walz K. The Stability of a Bipolar World // Daedalus. Summer 1964 .P. 881-909; Deutsch K. and Singer D. Multipolar Power Systems and International Stability // World Politics . April 1964.P.390-406;
- Mearsheimer J. Back to the Future: Instability in Europe after the Cold War // International Security Summer1990 P.5-56.
- 19-Van Evera S. Primed for Peace. Europe after the Cold War // International Security. Winter 1990/91.P.5-57; Mastanduno M. Preserving the Unipolar Moment : Realist Theories and U.S Grand Strategy after the Cold War // International Security . Spring 1997.P.49-88.
- 20-Doyle M. Kant. Liberal Legacies and Foreign Affairs // Philosophy and Public Affairs. Summer 1983.P.205-235.
- 21-Bush G. and Scowcroft B.A World Transformed. N.Y., 1998P.566.
- 22-Tyler P.U.S. Strategy Plan Calls for Ensuring No Rival Develop// New York Times . March 8 . `1992
- 23-A National Security Strategy of Engage and Enlargement Government Printing Office . Washington . Feb . 1996 .
- 24-Albright M. The Testing of American Foreign Policy // Foreign Affairs November - December 1998 . P . 59.
- 25-World Policy Journal . Spring 1998 .P.47 .
- 26- Albright M. The Testing of American Foreign Policy // Foreign Affairs . November - December 1998.P.59
- 27-Albright M. The Testing of American Foreign Policy // Foreign Affairs November - December 1998 .P.61-62
- 28-B:Keohane R. After Hegemony . Princeton , 1984 . P. 31- 32
- 29-Diebel T. Strategies before Containment . Patterns for the Future // M .Lynn-Jones and S. Miller America's Strategy in a Changing Worlds .Cambridge , 1993.P.42

- 30-Cheney R. Defence Strategy For the 1990 's : The Regional Defense Strategy . W . P . 7
- 31-Art R. Why Western Europe Needs the US and NATO // Political Science Quarterly . Spring 1996 . P . 1-40 ; Betts R. Wealth . Power and Instability : East Asia and the US after the War// International Security.Winter 1993 / 94.P. 56-64.
- 32-Steel R.OP.cit P.7.
- 33-Doyle M. Kant. Liberal Legacies and Foreign Affairs // Philosophy and Public Affairs. Summer 1983. P.205-235.
- 34-Jervis R. The Future of World Politics //S.Lynn.Jones and S.Miller,eds.America's strategy in a Changing World.cambridge, 1993.P.17.
- 35-kupchan Ch. After Pax Americana. Benign Power , Regional Integration and the Sources of a Stable Multipolarity // International Security. Fall 1998.P.41.
- 36-Hyland W. The Case for Pragmatism // Foreign Affairs. America and the World 1991-1992.P.52 .
- 37-Maynes Ch. America without the cold w // foreign policy . spring 1990.p.18.
- 38-Harries O. Forteen Points for Realists //The National Interest.winter 1992-1993.P.110-112.
- 39-Waltz K. Theory of International Politics. Reading, 1979.P.151-160; Elman (ed.) Paths to Peace : Is Democracy the Answer? Cambridge, 1997; Brown M., Lynn. Jones S ., Miller S.(eds). Debating the Democratic Peace . Cambridge, 1996.
- 40-Ennedy P. The Rise of Anglo-German Antagonism, 1860-1914. Boston, 1980.p.315.
- 41-Haas R. The Reluctant Sheriff. The United States after the Cold War. N.Y., 1980.P.25; Huntington S. The Clash of Civilizations; Luttwak E. The Enlarged American Dream.N.Y., 1993 Juergensmeyer M. The New Cold War ? Berkeley, 1993; Choate.P Agents of Influence.N.Y.,1990.
- 42-Rieff D. Whose Internationalism, Whose Isolationism? // World Policy Journal. Summer 1996.P.3

- 43-Tuker D. Fighting Parameters. Summer 1998.P.70.
- 44-Steel R.op. cit. P.3.
- 45-Steel R.Op. cit P.3.
- 46-Khalidad Z. US Grand Strategies: Implication for the World // Z. Khalidad (ed). Strategic appraisal, 1996. Santa Monica. P.24.
- 47-Steel R. Op. cit.p.7.
- 48-Colin Gray .Do the Changes Within the Soviet Union Provide a Basis for Easing Soviet-American Relations? A Skeptical View /r. Jervis, S . Bialer (eds.) Soviet-American Relations After the Cold War Durham,1990.P.61-75.
- 49-Calleo D. A New Era of Overstretch? American Policy in Europe and Asia // World Policy Journal . Spring 1998.P.21.
- 50-Delpech Th. Nuclear Weapons and the "new World Order" : Early Warning from Asia?// Survival. Winter 1998-99.p. 74.
- 51-Colin S. Gray.The Continued Primacy of Geography// Orbis . Spring 1997.P.259.
- 52-Colin S. Gray. Op. cit.P.259.
- 53-Calleo D.A New Era of Overstretch? American Policey in europe and Asia // World Policy Journal. Spring 1998.p.19.
- 54-Layne Ch.Op.cit.P.10.
- 55-Haass R.Fatal Distraction: Bill Clinton's Foreign Policy// Foreign Policy.fall 1997.P.120
- 56-Diebel .T. op.cit. 564.
- 57-Rieff D.Whose internationalism, whose isolationism?//world policy journal. Summer 1996.P.6.
- 58-Ibidem.
- 59-Time. October 7, 1991.P .15.

- 60-Chase R., Hill E., Kennedy P. Pivotal States And U.S. Grand Strategy// Foreign Affairs. January-February 1996.P.33-51.
- 61-Layne Ch. Op.cit. P. 20.
- 62-Kennedy P. **The Rise and Fall of Great Powers: Economic Change and Military Conflict from 1500 to 200**.N.Y.,1987.
- 63-Layne Ch. Op. cit. P.22.
- 64-Kupchan Ch. After Pax Americana. Benign Power, Regional Integration, and the Sources of A Stable Multipolarity// International Security. Fall 1998.p.42.
- 65-jarvis R. What Do We Want to Deter and How Do We Want to Deter it? // B. Eder ington, M. mazar (eds) . Turning Point: The Gulf War and US Military Strategy. Boulder, 1994.P 130.
- 66-Maynes Ch. W. "Principled Hegemon // World Policy Journal. P. 35.
- 67-Huntington S. America's Changing Strategic Interests // Survival. January-February 1991. P.3-17.
- 68-Haass R. The Reluctant Sheriff: the United States after the Cold War N.Y.,1980. P.122.
- 69-International Institute of Strategic Studies (IISS). The Military Balance. 1997-1998. P .46-100.
- 70-Kupchan Ch. After Pax Americana . Benign Power , Regional Integrating and the Sources of a Stable Multipolarity// International Security. Fall 1998.P.44.
- 71-Kupchan ch. After Pax Americana .P.74.
- 72-Jovitt k. The Leninist Extinction// Chirot D. (ed). The Crisis of Leninism and the Decline of the Left: the Revolutions of 1989. Seattle,1991.P.94.
- 73-Steel R. A New Realism // World Policy Journal. Summer 1997.P.9.
- 74-World Policy Journal. Fall 1997.P.14.
- 75-World Policy Journal. Summer 1996.p.10.
- 76-Rieff D. Op. cit. P.9.

الفصل الثاني

التوجه انروسي

عندما كتب جورياتشوف عن التفكير السياسي الجديد «من أجل بلادنا ومن أجل العالم بأسره»، فإن التحولات الاستثنائية القائمة استطاعت أن تلقى بطلال كثيفة من الشك . لقد كان الأمين العام للحزب يكتب نثراً حزبياً تقليدياً، لكن أموراً لم يكن من الممكن في السابق تصور حدوثها، كانت تحدث بالفعل في البلاد - المصالحة بين العالم الأول والثاني. روسيا أكبر زعيم في التاريخ لكل التكتلات المعادية للغرب تتخذ خطوات تمثل تصحيحة هائلة من أجل كسر العواجز التي تفصل بينها وبين الغرب باعتباره مركزاً للتكنولوجيا العالمية والتطور الإنساني . وفي الفترة من عام ١٩٨٨ إلى عام ١٩٩٣ لم يجد الغرب أى اعتراض من جانب روسيا تجاه أى من القضايا المهمة المطروحة على الساحة الدولية ؛ إذ أصبح استعداد روسيا الجديدة للتعاون مع الغرب استعداداً مطلقاً تقريباً.

وقد برز على الساحة مشهد تاريخي يندر أن ينكر؛ فبغض النظر عن حالة الارتباط البديهية التي اعتبرت الخصم الغربي، والذي لم يتزحزح قيد أنملة عن الدفاع عن مصالحه القومية، فقد بدأت روسيا بكل نشاط وتفان، دون أن تتعرض لأى قسر مادي ملموس، في نزع سلاحها ذاتياً وعلى نحو يفوق الخيال . وسوف يتوقف مزرخو المستقبل في دهشة بالغة أمام معاهدة خفض الأسلحة التقليدية (١٩٩٠) وانهيار منظمة اتفاق وارسو ومجلس التعاون الاقتصادي . وقد يكون من المحتمل أن النزعة الروسية المناقضة للتاريخ بطبيعتها هي وحدتها التي استطاعت أن تخلق هذه الإرادة الجبارة للتقرب مع الغرب، بعد أن ظلت على مدى أربعين عاماً تنظر إليه باعتباره عدوها اللدود .

وأياً ما كانت التفسيرات التي لم يطرحها بعد العالم الغربي المخادع (على غرار أن سباق التسلح هو الذي أنهك روسيا، وأن الليبرالية انتصرت على الفكر الشمولي، وأن النزعة القومية سحقت الأيديولوجيا الاجتماعية ... إلخ) يظل القبول الطوعي من

جانب المجتمع الروسي كله تقريباً، من اليمين إلى اليسار لفكرة التقارب مع الغرب ومع طليعته الولايات المتحدة الأمريكية حقيقة لا تقبل الجدل. هذا القبول القائم على الأمل في استكمال ما بدأه بطرس الأكبر في أن تصبح روسيا جزءاً من الطليعة العالمية، وأن تشارك على نحو مباشر في الثورة التكنولوجية والمعلوماتية، وأن ترفع من مستوى معيشة أبنائها ، وأن تحقق حرية الانتقال عبر القارات ، وأن تمد بصرها نحو آفاق مجتمع ما بعد التصنيع .

أربعون عاماً ظلت روسيا تنظر على امتدادها إلى أمريكا عبر عدسات أقمار التجسس الصناعية ومناظير الفواصات وشاشات رadar منظومات الدفاع الجوي. وفي التسعينيات من القرن العشرين إذا بندول التاريخ، الذي كان ساكناً، يتحرك حركة هائلة باتجاه الغرب مكتسحاً في طريقه الحزب الشيوعي السوفيتي ، واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية وجمهورية يوغoslavia الاتحادية الاشتراكية ، وجمهورية تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية ومنظمة اتفاق وارسو ومجلس التعاون الاقتصادي (ناهيك عن باقي المؤسسات والمنظمات الأخرى الأقل أهمية). لقد بانت الحاجة ماسة لبناء صياغة جديدة للعلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية أسماءها الوزير كوزيروف بالشراكة الإستراتيجية، على أن وضع تعريف العلاقات الثانية من جانب واحد فقط كان أمراً غريباً، كما كان مراقبة سعي الدوائر الروسية الراديكالية ذات النزعة الغربية لإصدار مرسوم خاص لإدخال روسيا ضمن دول العالم الغربي بدا أمراً غريباً أيضاً، كما كان غريباً فوق هذا وذاك افتراض أن واشنطن سوف تزيد أي نوع من أنواع الثانية القطبية، في الوقت الذي راح فيه هذا القطب الثاني في تدمير ذاته على نحو دراميكي.

إن الأحداث الاستثنائية التي وقعت على تخوم الثمانينيات والتسعينيات قد حسمت المواجهة، لكن بندول التاريخ الروسي لم يبلغ القمـة الثلاث التي كانت روسيا الجديدة تأمل في الوصول إليها وهي: الوصول إلى عرش تكنولوجيا العضارة ، رفع مستوى المعيشة ، حرية انتقال المواطنين الروس عبر دول العالم. على أنه ومهما بلغ نطاق حركة البندول، فلا بد له من العودة في الاتجاه المعاكس. ونحن نعيش الآن في عالم

الحركة العكسية للبندول من «النزعه الإنسانية الكونية»، باتجاه إدراك ما عليه العالم من أنانية، وعدم جدوی مساعی المصالحة، وسذاجة المعتقدات النابعة عن الإيحاء الذاتي، وصلابة المصالح القومية وسيادة المنفعة الذاتية للعالم الخارجي.

اكتشفت روسيا وسرعة فائقة أن الشيوعية لم تكن هي العائق الوحيد في طريق تقاربها مع الغرب؛ فهناك الأرثوذوكسية وأسلوب العمل الجماعي وأخلاقيات العمل وغياب المؤسسات والخبرة التاريخية المختلفة وأسلوب التفكير المختلف عن أسلوب التفكير الغربي وتباین وجهات النظر بين النخبة والجماهير، كل هذا وأكثر منه أربك كل دعوة النزعه الغربية، الذين رأوا مصاعب بناء رأسمالية عقلانية في مجتمع غير عقلاني وإنشاء سوق حرة في مناخ خواء السلطة ومركزية العمل في ظروف الابتعاد عن فلسفة المنافسة.

لماشـك أن القوة الهائلة للتصور الذاتي كان لها دور هنا؛ فـ فى عالم «الأحادية العقلـبية»، استمرت واشنطن تؤدى دورها لمدة طـويلـة كما لو كانت هناك فى أعماق أورـاسـيا نقطـة اـرـتكـازـ آخرـى لـلـنـظـامـ الدـولـىـ، وكـماـ لوـ كـانـ الجـسـرـ المـمـتدـ بـيـنـ القـوـتـينـ العـظـيمـيـنـ لمـ يـسـقطـ بـعـدـ، وكـماـ لوـ أـنـ الـدـيمـوـقـراـطـيـةـ الـرـوـسـيـةـ الـجـدـيـدةـ غـيرـ المـعـرـوفـ ستـظـلـ تـنـظـرـ دـائـماـ وـأـبـداـ نـوـعـ مـعـيـارـ الـدـيمـوـقـراـطـيـةـ فـيـ شـمـالـ أـمـرـيـكاـ بـعـيـونـ كـوـزـيـروفـ. وبـخـروـجـ هـذـاـ الـوـزـيـرـ (الـذـىـ وـصـفـ الـدـيمـوـقـراـطـيـةـ بـأـنـهـاـ أـعـظـمـ قـيـمةـ، بـيـنـماـ رـاحـ يـتـصـرـفـ تـبـعـاـ لـأـفـضلـ تـقـالـيدـ الـوـعـيـ الشـمـولـيـ مـتـقـاـ معـ رـأـيـ وـاحـدـ هوـ رـأـيـ الـكـرـمـلـيـنـ) انـخـفـضـتـ سـرـعـةـ الـقـصـورـ الذـاتـيـ، الـتـىـ كـانـتـ قـدـ اـسـتـمـرـتـ طـوـيلـاـ بـسـبـبـ التـنـازـلـ الدـائـمـ لـأـحـدـ الـطـرـفـيـنـ.

لقد دخلـتـ الـعـلـاقـاتـ الـأـمـرـيـكـيـةـ الـرـوـسـيـةـ مـرـحلـةـ جـديـدةـ . وـفـىـ الـوقـتـ الـحـالـىـ يـتـشـكـلـ فـىـ عـاصـمـتـيـ الدـولـتـيـنـ - واـشـنـطـنـ وـمـوـسـكـوـ - مـعـيـارـ جـديـدـ لـلـعـلـاقـاتـ الثـانـيـةـ سـيـصـبـحـ هوـ الـمـعـيـارـ السـائـدـ فـىـ الـقـرنـ الـحـادـىـ وـالـعـشـرـينـ ، وـحتـىـ نـفـهـمـ السـيـاسـةـ الـأـمـرـيـكـيـةـ تـجـاهـ رـوـسـياـ، يـنـبـغـىـ أـنـ نـنـظـرـ إـلـىـ الـصـرـاعـ الدـائـرـ فـيـ الـلـوـلـاـتـ الـمـتـحـدـةـ الـأـمـرـيـكـيـةـ بـيـنـ ثـلـاثـةـ مـفـاهـيمـ الـظـاهـرـةـ الـرـوـسـيـةـ، سـوـفـ تـشـكـلـ سـيـاسـةـ واـشـنـطـنـ تـجـاهـ رـوـسـياـ مـنـ خـلـالـ تـصـانـمـهـاـ بـعـضـهاـ بـعـضـ .

أولوية الأيديولوجيا

ينطلق المفهوم الأول من رؤية الخصم لا في كونه روسيًا أو الشعب الروسي، وإنما في كونه الشيوعية - العقيدة والتطبيق، اللذين ارتبطت بهما روسيًا بعد سلسلة من الفشل الذي منيت به في أعقاب الحرب العالمية الأولى، وفي حالة الإنهاك التي آلت إليها بحلول عام ١٩١٧ يصف مايكل ماكنول المختص في الشؤون الروسية المعاصرة هذا الوضع قائلاً: «إن النظام الشيوعي السوفيتي - وليس روسيًا باعتبارها دولة أو الروس باعتبارهم شعباً - كان يمثل تهديداً للمصالح القومية لأمريكا إبان الحرب الباردة.. وقد أدى انهيار الشيوعية - وليس براعة الدبلوماسية - إلى تطور هائل في القضايا الخلافية الأساسية».^(١)

يمكنا أن نسلم أن الشيوعية كانت وراء العنف المتبادل ، على أنه في تلك المرحلة كان من الصعب تفسير عدد من الظواهر. فبادئ ذي بدء أدت الدبلوماسية تحديداً، وليس على الإطلاق انهيار الشيوعية (الذى وقع فيما بعد) إلى توحيد ألمانيا وإلى تراجع الاتحاد السوفيتي عن تفوقه في مجال الأسلحة التقليدية، ثم انهيار منظمة اتفاق وارسو وسقوط الاتحاد السوفيتي، وكل هذا لا يمثل الأمر الرئيسي: إن الديمقراطية الروسية الشابة، التي تخلىت من الفكر المسموم لم تشعر بالتغييرات التي وقعت في العلاقة من جانب أولئك الذين كانت الشيوعية تعوق قيام صدافة معهم، ولم تقبل خطة مارشال ، وطلت مرغوبة من جانب المؤسسات الكبرى في الغرب. وبالإضافة إلى هذا بدأت أمريكا، منذ يناير ١٩٤٤ ، في مد حلفها العسكري الرئيسي باتجاه حدود روسيا الديمقراطية لا روسيا الشيوعية؛ فما الذي دفع بأمريكا لاتخاذ هذه الخطوة وقد لفظت الشيوعية أنفاسها بالفعل؟

وفي سياق ذلك فقد أصبح الشيوعيون البولنديون والجرارون شركاء للولايات المتحدة الأمريكية، وأصبح من غير المقبول أن تفرض أمريكا حمايتها على روسيا الديمقراطية (لا على المجر برئيسها الشيوعي)، روسيا الساعية للدخول في الاتحاد الأوروبي والمدعوة للدخول في حلف الناتو ومنظمة التجارة العالمية واتفاقية الجات الجديدة، وكذلك في سياق دخولها كعضو حقيقي في «منظمة الدول الصناعية

السبعين، عشرات المليارات من الدولارات قدمت سابقاً إلى حكومة الاتحاد السوفيتي الشيوعية، بينما تقدم الآن مبالغ متواضعة إلى روسيا الديمقراطية وعلى هيئة قروض. من هنا ندرك لماذا تراود أصحاب التوجه الغربي الثابت في مقوله أن النظام الشيوعي هو الذي كان وراء إعراض الغرب عن روسيا.

لقد راح أصحاب المفهوم الأيديولوجي يلتذرون ما وعدهم به الإصلاحيون الراديكاليون الروس وعلى نحو بالغ التبسيط: تغيير ثقافة المجتمع والتحول الراديكالي عن الفكر الاشتراكي وإدخال علاقات السوق الجبارية. على أن الفشل الذي منيت به هذه السياسة خلق إحباطاً يسهل تفسيره تماماً؛ فالولايات المتحدة الأمريكية ما تزال تشعر بعدم الرضا تجاه أمور ثلاثة على الأقل:

١- لم تنشأ في روسيا ولم ت تكون بها سوق حقيقة وفقاً للقواعد الكلاسيكية للعبة البورصة، سوق يحيطها مناخ من المنافسة القوية والشركات الرأسمالية العملاقة، وتنسخ فيها الملكية الخاصة بشكل فعلي مع افتتاح البلاد على العالم الخارجي، كما لم تصن الت Shivietas الثابتة، التي تضمن المشاركة الكاملة للشركات الأمريكية. كل ما هو قائم الآن ليس هو ما يمكن أن نسميه باقتصاد السوق الناضج، وهو ما تدل عليه المشاركة المتعففة فيه من جانب المنتجين الأمريكيين (وغالبهم من الدرجة الثانية مثل «بيبيسي كولا»، والسائلن، والوجبات السريعة) أما الصناعة الأمريكية العملاقة فلم تدخل بعد إلى الفضاء الروسي بسبب انعدام الت Shivietas المحمونة وعسف البيروقراطية والجريمة السافرة. ومن ثم «فاللوبي الروسي»، في واسطن بات عديم الفعالية (خلافاً «للوي الصيني»، التشيط على سبيل المثال). لم يتحقق الفردوس الاقتصادي، ولم يأتي الغرب بعيداً إلى روسيا، التي انكمشت فيها السوق بدلاً من أن تنسع، ولم يتحقق التبادل المطلوب.

٢- لم ترق الديمقراطية الروسية إلى المعايير الغربية؛ فروسيا لا تمتلك حزباً واحداً على الطراز الغربي، ولم يتم فيها الفصل بين السلطات الثلاث؛ فالسلطة القضائية لا تتمتع بالاستقلال (عن عمد)، بينما تتمتع السلطة التنفيذية - وفقاً لدستور ١٩٩٣ - بصلاحيات واسعة تفوق صلاحيات السلطة التشريعية. إن تجاوزات، مثل

تلك التي وقعت عام ١٩٩٣ ، وانتصار اليسار في انتخابات ديسمبر عام ١٩٩٥ ، والفشل الذريع في التسوية الإقليمية في الشيشان، قد زلزلت النظام السياسي الروسي الجديد، بعد أن أفقدته أشكاله الكاملة سواء على المستوى الإقليمي (اتحاد الدول المستقلة، اتحاد الجمهوريات السوفيتية، معاهدة الدول الأربع) أو على المستوى السياسي (لم يُؤسس الديموقراطيون حزباً جماهيرياً له أيديولوجيته الخاصة) أو على المستوى العسكري (عدم التصديق على معاهدة ستارت -٢). لقد تبين أن آمال ١٩٩١ في التوجه المندفع نحو الديموقراطية وإقامة روسيا معتنقة موالية للغرب لم تكن سوى آمال مبالغ فيها.

٣- بعد عدد من السنوات (١٩٨٨ - ١٩٩٣) رأيت فيها روسيا تقول «نعم، دون انقطاع، أصبحت تقول لأمريكا لا تجاه ما يحدث على الساحة الدولية. لقد برزت عدة نقاط للخلاف حول قضيائنا بعينها؛ فالأمريكيون يرون أن روسيا ما تزال تتبع أسلحتها بشكل أساسى إلى «الدول التي لا يتبعها أن تباع لها»، (محركات التبريد للصواريخ المهدية على سبيل المثال)، كما أنها راحت تخالف الرؤية الأمريكية لنظام انتشار الأسلحة عن طريق عقد صفقات تتلزم بمقتضاها ببناء محطة للطاقة الذرية في إيران، وانفذت موسكو كذلك موقفاً مستقلاً تجاه الأزمة اليوغسلافية، كما أخذت الرياح الودوية لعدد من أصحاب النزعة التكاملية في موسكو في تهديد سيادة «الحدود القريبة»، مبنية عن محاولات لإعادة أسس الدولة العظمى السابقة ذات الرؤية التوسعية في العالم .

وبعدها لتقدير ما يكمل ما كفول فقد ظهرت التناقضات التالية أولاً: «معاهدة العد من التسليح المعروفة باسم ستارت - ٢، توسيع حلف الناتو، التجار مع كل من إيران والعراق، القانون الروسي الجديد الصارم، الذي يفرض عقوبات على نشاط أدیان بعينها. إن هذا البرنامج القديم لا يعبر إلا عن أن محيط الشراكة الإستراتيجية لما بعد العقبة الشيوعية بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا لم يتحدد . ومن جديد تتردد العჯ التي تقول أن الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا مقدر عليهما ببساطة أن يظلا خصميين ، ويفترض مثلك هذا الرأي أن الأزمة الاقتصادية هنا، في روسيا سوف

تدفع إلى سدة الحكم فيها بزعامة روس من المعادين للغرب، الأمر الذي سيضطر العالم الغربي بسببه مرة أخرى أن يعمل على وقف تهديد روسيا للأسوق وللديمقراطية... أما إذا لقيت الديمقراطية والرأسمالية هزيمة هنا فسوف يتضاعف عدده عدد القضايا الجدلية بين روسيا والولايات المتحدة الأمريكية ، وسوف تظهر تهديدات جديدة للأمن الأمريكي^(٢).

إن الأثر التراكمي للعمليات سالفة الذكر قد حطم في واشنطن ما أسماه كوزيروف بخطرسه زائدة بالشركة الإستراتيجية ، لقد انقضت الأوهام المتعلقة بالمرنة المضمونة من جانب روسيا ، وانقضت الحقيقة أمام الإستراتيجيين الأمريكيين أكثر فسدة وفتاظلة مما كان متوقعا. لا يقع الذنب في عدم تشكيل النظام العالمي الجديد على كامل روسيا ، ولكن يرجع السبب إلى أن عدم الاستقرار الروسي قد أضاف الاضطراب إلى مجلل الصورة.

أما ممثلو المدخل الأيديولوجي (ب. رادوى ، ر. ستار ، ر. بايس ، إ. لوفاك ، أ.لاكير) الذين سبق لهم أن دافعوا عن طريقتهم في حل المشكلة الروسية في ظروف هزيمة الشيوعية ، والذين لم يكن لديهم أى خوف من الشيطان الأحمر، فقد راحوا يرجعون السبب إلى الفروق الحضارية (عبارة أخرى أصبح من العسير عليهم تفسير صعوبة التحول الرأسمالي لروسيا) . ومع نهاية التسعينيات أصبحت الفكرة الأساسية والمسلم بها لهذه المدرسة تتلخص في أن هدف الناتو وحلف الأطلنطي لم يكن مجرد الدفاع عن الغرب ضد الاتحاد السوفيتي ، وإنما كان الناتو يمثل أيضا حائط الدفاع عن الغرب ضد الشرق ، أو - إذا شئنا الدقة - عن الحضارة الغربية ضد تخلف الشرق وضد الاستبداد والبربرية . لقد ارتبط تشكيل الناتو بشكل وثيق وبصورة شرعية واضحة بانتشار فكرة الحضارة الغربية ويادخال المذاهب الأكاديمية للجامعات الأمريكية ،^(٣) لقد حاول جيمس كورت أن يربط المثالية بالواقعية ، وقد تحدث عن التفاعل الوثيق بين كل من: ١) فكرة الحضارة الغربية ، ٢) المصالح الحيوية للولايات المتحدة الأمريكية ، ٣) مسألة العضوية في حلف الأطلنطي^(٤) .

نعم، انهارت الشيوعية، ولكن بقى الاختلاف بين الغرب واللاغرب - وهذا الاختلاف هو مفتاح تحديد الإستراتيجية الأمريكية. إن روسيا الحالية التي استدارت ألف كيلو متر باتجاه الشرق ليست على الإطلاق - كما تدل على ذلك خبرة التسعينيات التي لم تتحقق قدرًا كبيرا من الدجاج - جزءاً من الغرب يبشر بالقوة، وإنما البشر هو خصمها.

أولوية الجيوبيوليتika

إذا كانت نهاية الشيوعية لم تجعل من أمريكا وروسيا صديقين، فإننا مضطرون للجوء إلى التفسير الثاني، الذي طرحته المحللون الغربيون للسياسة الروسية في واشنطن. يا لها من غبية ، هذه الجيوبيوليتika ! لقد قام اثنان من أبرز المختصين في الشؤون الروسية (الحجج الإستراتيجية الأمريكية المتعلقة بها) وهما دانيال يرجن وتاين جوستافسون بتحديد المدخل الإستراتيجي الرئيسي لواشنطن بشكل واضح على النحو التالي : إذا ما استعادت روسيا قوتها الاقتصادية والسياسية فسوف تصبح خصماً ومنافساً للولايات المتحدة الأمريكية، ولن تكون هذه المنافسة منافسة أيديولوجية ، وإنما منافسة بين دولتين عظميين^(٥). وإذا كان هناك أحد ما بحاجة إلى تعريف واسع الانتشار لمثل هذه الحجج ؛ فإننا سنعتمد هنا على أفكار كل من وليم أوروم وكولين جرای وإلى الكتاب السادس والثلاثين الذي ألفه بيجينسكي بعنوان «العبة الشطرنج الكبرى» ، والذي أصبح (بفضل سرعة الترجمة) في متناول القارئ الروسي. إن الفكرة الرئيسية التي يستند إليها كل من ينظر إلى روسيا بارتيا - مهما كانت نزعته السياسية - تتلخص في أن الواقع الجيوبيوليتيكي ، وليس الأيديولوجي ، هو الذي أصبح يحدد قواعد السياسة العالمية ؛ فإذا كان أساس سلوك الولايات المتحدة الأمريكية في العالم هو الجيوبيوليتيكا ؛ فلنحاول إذن أن نحل الثوابت الأساسية لها .

لقد تراجعت مكانة روسيا في الترتيب العالمي الجديد للقوى ، ولكن لا إلى حد التبعية لمن هم أكثر قوة دون أمل في استعادة مكانتها؛ فروسيا ما تزال على أية حال تحفظ بالكثير من ميراث الاتحاد السوفييتي. وهي - فالداخل - عضو دائم في مجلس

الأمن التابع لمنظمة الأمم المتحدة، وتمتلك تأثيراً على جيرانها الأقربين، وهي طريق لعقد الصداقة مع الدول الكبرى. أما في الداخل فهى السيف الصاروخى النووى فى يد شعب صبور للغاية ، شعب لم يدلله التاريخ أبدا . كل هذا أتاح لها حرية اختيار الطريق وتكون التحالفات وعقد اتفاقات الشراكة . ومن المستعجل أن يغير أي شكل من أشكال «المرونة»، الموالية للغرب من جانب الصفة الروسية - بين عشية وضحاها - تلك الظروف، التي تعد جزءا لا يتجزأ من التركيبة الوراثية القومية: رفض التبعية على الإطلاق، قبول أي شكل من أشكال التضحيه من أجل الحصول على مكانة مستقلة في التاريخ، من أجل حرية الاختيار في المستقبل، أو من أجل الاحتفاظ بهذا الاختيار للأجيال القادمة. لقد بدأت موسكو على مهل، ولكن بثقة، في التخلص من الأوهام العجيبة. أما ذوى النزعه الغربية _ دون قيد أو شرط - فقد بدأوا في التضحى لهؤلاء الذين لديهم رؤية أوضح للمصالح القومية ؛ فهم لم يروا في الغرب سوى الولايات المتحدة الأمريكية التي تؤكد مكانتها كزعيم .

لقد طرحت عملية توسيع الناتو في آن واحد مع زيادة عدد أعضاء الاتحاد الأوروبي بكل حدة قضية الأوروبيين الذين لا يولون اهتماما كبيرا لهاتين العمليتين، إضافة إلى القضية الخاصة بالمكانة الحقيقة التي تشغلها روسيا داخل أوروبا. ترى ما هذه المكانة ؟ إن الغالبية في الغرب ببساطة لا يمكنهم تجاهل أكبر دولة أوروبية. دعونا نتفق على رأى هذا الإنجليزى الرصين جوناثان هازلم الذى يقول: إن مسألة إبعاد روسيا إلى الفناء الخلفى لأوروبا هي حقيقة لا يمكن إنكارها، مهما حدث من تلاعب بالألفاظ من أجل إخفائها،^(١) .

مع مطلع القرن الحادى والعشرين وقف أصحاب الاتجاه الواقعى - انطلاقاً من الحقائق الجيوپوليتيكية - أمام حقيقة مفادها أنه إلى جانب «العظماء غير المشهورين»، الثلاثة، البعيدين عن سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية وهم: الصين الكونفوشيوسية، وجنوب آسيا الهندوسى ، والعالم الإسلامي (وهؤلاء يتتجاوز تعداد كل منهم مليار نسمة) هناك دولة تقع في شمال القارة الأوروبية الآسيوية، دولة فقدت اثنين من حلفائها: دول اتفاق وارسو ودول الاتحاد السوفيتى السابق، وهذه الدولة هي روسيا.

وبالطبع فإن أي دولة تشعر بالعزلة سرعان ما تسعى لإيجاد مخرج منها . وفي هذا الصدد فإن روسيا ليست أفضل ولا أسوأ من الدول التي جرى إقصاؤها أو تجاهلها. ومن الصعب على المرء إلا يكرر هنا القاعدة القديمة التي تقول إنه لا ينبغي دفع الدول العظمى إلى الزاوية . إن انتقال روسيا إلى طائفة المتبذلين من شأنه أن يضاعف من دلالة أربعة مخاطر محتملة اكتشفتها واشنطن في سياق ترتيبها للقوى العالمية^(٧) .

١) فقدان الهيمنة على أوراسيا؛ بعد خمسة حروب (اثنان منها في أوروبا وثلاثة في آسيا) فقدت الولايات المتحدة قادتها المتأخرة في القرن العشرين ، وإذا بها - على حد تعبير جيمس بيلينجتون، رئيس مكتبة الكونجرس والمتخصص في الشؤون الروسية - أمام جوهر نفس المعضلة التي تغلبت عليها بريطانيا في القرن التاسع عشر أثناء الحروب القرية التي خاضتها منذ عام ١٩٤٩ والمحاور والمثلثات (موسكو - بكين، موسكو - دلهي - بكين) وغيرها، تثير الخوف لدى الأميركيين . من هنا ندرك السبب وراء هذه رد الفعل الأميركي تجاه التقارب بين الدول غير الغربية بعد أن وضعت العرب الباردة أوزارها .

٢) تطوير وانتشار أسلحة الدمار الشامل ؛ فعلى الرغم من أن الحرب الباردة أصبحت في حكم المنتهية . وعلى الرغم من أن الأسلحة الروسية التقليدية قد أصابها الصدف الشديد، فإن روسيا - كما يذكرنا بذلك بيلينجتون - ما تزال تمتلك مع هذا القدرة على توجيه ضربة إلى المراكز السكانية وإلى البنية التحتية لأمريكا الشمالية، ناهيك عن أن الدول غير الخاضعة للقانون الدولي بإمكانها أن تحصل على جزء من الترسانة الروسية^(٨) . يمكن القول إن القوى الإستراتيجية الروسية ما تزال هي الترسانة الوحيدة على ظهر الأرض القادرة على تدمير أقوى دولة في العالم (وعلى تدمير نفسها أيضاً بدأهه)، وعلى هذا فإن عدم التصديق على معاهدة ستارت - ٢ من شأنه أن يجمد عملية الخفض الأميركي الروسي لمستوى المواجهة العسكرية بينهما . ومع الرغبة المتتسعة لدى أمريكا في إنشاء نظام الدفاعات المضادة للصواريخ، تجري إعادة النظر في معاهدة حظر إنشاء دفاعات مضادة للصواريخ

باعتبارها أساساً قوياً للاستقرار بين الدولتين. إن انهيار الاقتصاد الروسي يدفع إلى عدد قليل من الحلول المتاحة أمامها للحصول على العملات القابلة للتحويل. وأحد هذه المصادر هو المساعدة المكلفة للدول الراغبة في زيادة قوتها العسكرية، بعبارة أخرى فإن القيام بتسلح الدول، التي تتيح سيادتها لها إمكانية الإفادة من الوسائل العسكرية على نحو مستقل يوفر لروسيا دعامة من دعامتها قوتها الدبلوماسية.

٣) طبيعة الهوية القومية للدولة الروسية. إذا اعترفت روسيا بأن من يعيش داخل حدودها هم فقط مواطنوها، وسلمت بما آل إليه مصير أصحاب الأرومة الروسية الذين يعيشون خارجها، فإنها بذلك ستصبح - وعلى نحو موضوعي - المحافظ على الوضع القائم STATUS QUO الذي تشكل في التسعينيات ، أما إذا قبلت الوصاية على ٢٥ مليون روسي يعيشون في جمهوريات الاتحاد السوفيتي ، أى إذا ما وضعت نفسها موضع ولى الأمر الفعلى لهم فإنها يمكن أن تحول عدالتها إلى دولة «تعريفية».

٤) يمكن لروسيا أن تعود لأداء دورها الاجتماعي السابق باعتبارها نصيراً للمذللين والمهانين. وعلى صنف الانفجار الديموجرافي العالمي فإن روسيا قد تسعى لاعتلاء موجة الاضطرابات الاجتماعية في الجنوب الذي فقد أو ضاع في سياق مطاردته للحداثة ومواجهته «المليار الذهبي»؛ أى مجموعة دول الشمال الصناعية الغربية. إن هذا التغير يمكن أن يحول المواجهة بين الشرق والغرب إلى تناقض لا يقل عن التناقض القائم بين الشمال والجنوب . وقد تتمكن روسيا من استغلال العطف لدى هذه الدول المهمشة تاريخياً؛ فالكراهية العرقية التي ظهرت بشكل واضح في نهاية القرن العشرين يمكن أيضاً أن تزداد شدة بفضل الكراهية الاجتماعية، التي بدأت في الظهور على خلفية ارتفاع قيمة الموارد الطبيعية العالمية، والتي أصبح احتلاكها سلاحاً في يد الم Harmomien.

إن المخاطر الأربع السابقة تزداد اقتراباً من الواقع، كلما ازداد الوضع الاقتصادي لروسيا بؤساً، وكلما ازداد إحساسها بالمهانة القومية يأساً، وكلما ازدادت سياستها في التأييد العرقي لروس الشتات تهوراً. ومن الناحية التاريخية بهذه ليست بالمرة الأولى التي تبعث فيها روسيا عن طريق للغروب من أزمتها القومية ، وقد كان النجاح حليفاً لمحاولاتها السابقة.

أولوية التدخل التدريجي

المفهوم الثالث (التماهنى)، وينطلق من أن أمريكا لا تخشى روسيا الاتحادية القومية، الواثقة في ذاتها أكثر من خشيتها روسيا الضعيفة التي تحتفظ مع ما يعتريها من تدهور بقوتها الذووية. هنا تصبح الحلول العسكرية غير ذات جدوى . «إن الردع والعزل والاستخفاف بتطور المؤسسات في روسيا إنما هي سياسة من شأنها أن تحول الثورة الروسية إلى تهديد للأمن الأمريكي»^(١) . هذا هو المفهوم الذي يتبنّاه جورج كلينان أكبر المتخصصين الأمريكيين في الشؤون الروسية ويشاركه فيه من العاملين في هذا المجال من أمثال جون لويس جيديس وشارلز كوبتشان . ومن أجل تفادى تحول روسيا إلى دولة منبوذة من المجتمع الدولي وإلى «أرض لا تخص أحداً»، بين شرق آسيا الناهض وغرب أوروبا بتأثيره الممتد حتى الحدود الروسية، يقترح الخبراء الأمريكيون العمل على المحورين الآتيين:

أولاً: من المضروري الأخذ في الاعتبار أنه إذا ما جرى استثناء روسيا من التشكيلات الرئيسية سواء في الشرق أو في الغرب، فإنها سوف تضطر عدئذ وبساطة أن تعكّف على أن تبني مركز القوة الخاص بها^(١٠) ، وعندئذ هل ينبغي التصدّي لها؟ على العكس، فإذا كان الغرب يرفض وجود روسيا داخل الاتحاد الأوروبي وبالتالي، فإن عليه أن يمد يد العون إليها في إعادة بنائها الذاتي، وذلك عن طريق تعميق دور اتحاد الدول المستقلة (الكومونولث) والسماح بتعزيزه اقتصادياً في المقام الأول وعدم إثارة المخاوف في سياق ذلك؛ فالكومونولث سيبقى حتى مع كل جهود أصحاب الدعوة للتكامل مجرد اتحاد كونفيدرالي . عندئذ فإن تقارب الغرب مع روسيا (لا ابعاده عنها) سوف يستمر. وعندئذ أيضاً فإن أوروبا كلها في القرن الحادى والعشرين سوف يمكنها - كما كتب في هذا الشأن كل من ألفين روينشتاين ونيكولاى بترو - أن تتجنب تدريجياً (إذا استمرت حيوية المؤسسات الديمقراطية في روسيا وفي دول غرب الكومونولث) آثار نظام الثانية القطبية والمواجهة بين الشرق والغرب (مع وجود وسط أوروبا باعتباره منطقة عازلة)، كما أنها ستتحول إلى منطقة واحدة للتجارة الحرة والأمن بمقتضى ميثاق أوروبا الجديدة... وهذا علينا ألا نعزل روسيا على نحو مختلف ، بل يجب أن تصبح جزءاً متكاملاً مع أوروبا^(١١) .

إن روسيا - مع كل ما تعاني منه من اضطراب وعدم استقرار - تعد موضوعاً قوياً اقتصادية رئيسية ترتبط بها واردات الغاز (كحد أدنى) كما يرتبط بها التطور الاقتصادي لكل منطقة شرق آسيا (كحد أقصى). إن هذا وحده كفيل - في رأي بترو وروينشتاين - بأن يحفز إعادة التكامل ويصنفي الشرعية على مطالب موسكو، لكي تتم معاملة الروس الذين يعيشون خارج روسيا الاتحادية دون تمييز؛ فمن حق روسيا أن تدافع عن حقوقها^(١٢).

يرى بترو و روينشتاين أن التعداد الحديث للسكان بنهاية القرن العشرين يجب أن يؤكد أو ينفي وجود «عدد ٢٥ مليون روسي يعيشون خارج روسيا، وبهذا فإننا نخطو خطوة تجاه حسم الجدل حول حق موسكو في تجاهل سيادة الدول الأخرى والتدخل في شؤونها لصالح هؤلاء الروس»^(١٣).

سوف يلعب الدعم الاقتصادي لبلدان هذه المنطقة دوراً حاسماً بالإضافة إلى أن الاكتفاء الذاتي فيها سوف يحفز أيضاً عملية الاستقلال السياسي لعدد كبير منها، فروسيا لن تسعى إلى «بعث الإمبراطورية»، وإنما ستكتفى بفرض هيمنتها على المنطقة السوفيتية سابقاً.

ثانياً: يشير أنصار التقارب التدريجي بين روسيا والغرب إلى ضرورة فتح أبواب الاتحاد الأوروبي وحلف شمال الأطلسي - بشكل أو آخر - أمام روسيا، مواجهين بذلك خصومهم الفكريين، الذين يولون اهتمامهم الأكبر للجانب الجيوبيوليتيكي متخصصين تماماً عن الجانب الأيديولوجي. إن انضمام روسيا إلى حلف الناتو قد يفتح السبيل إلى تعويم الحلف من منظمة للدفاع الجماعي إلى منظمة للأمن الجماعي. يفترض تش. كوبتشان أن انضمام روسيا للناتو سوف يخلق في أوروبا مركزين كل منهما يخلق توازناً مع الآخر، أحدهما فرانكفورتاني والثاني روسي، الأمر الذي يحقق نظاماً جيوبيوليتيكياً أكثر استقراراً، من شأنه أن يخفف من حدة اندفاع عدد من الدول نحو النفوذ، وهو ما قد يتبع إمكانية منع تكون توجهات انفصالية جديدة، ويفادي المشاعر العدوانية لدى روسيا إذا هي ظلت خارج الناتو^(١٤).

إن على الدول الكبرى أن تتخلى عن مخاوفها، وإلا أصبحت منفصلة بعضها عن بعض بغازل من هذه الكتلة الأرضية المهمة. إن انضمام روسيا إلى أوروبا لن يؤدي

إلى انهيار الاتحاد الأوروبي، على الرغم من أنه يمكن أن يضعف قليلاً من شأن القوى الجاذبة فيه نحو المركز... إن انضمام روسيا إلى أوروبا يجب أن يصبح الموضوع الرئيسي على جدول الأعمال اليوم؛ فالدول التي يتم استثنائها من مثل هذه العمليات، تظل تسعى دائمًا للتغيير القواعد الجيوسياسيّة،^(١٥). وقد يفهم استثناء روسيا من العمليات التكاملية الجديدة بأنه إعلان للعدوة تجاهها بدرجة خطيرة. إن الدول التحريرية في العالم النامي، خاصة تلك الدول التي تمتلك أسلحة الدمار الشامل وكذلك الدول المهيمنة على مقدرات الأمور في مناطقها بفضل ، مساحتها ونوع السكان فيها، يمكن أن تغير من الوضع الراهن . STATUS QUO^(١٦).

ويعرف أنصار هذا التوجه بأن الاتحاد الأوروبي والناتو ليسا على استعداد في الوقت الحالي لضم أي دولة من خارج أوروبا المركزية إلى صفوفهما أيا كانت هذه الدولة ، وذلك خشية فقدان فعاليتها نتيجة تجريف تفاصيل هذه الصدوق . على أن وسد الأبواب تماماً أمام روسيا قد يعني استفزاز أسوأ التحولات في مسار الأحداث.

الاحباط الروسي

تعتبر التغيرات التي حدثت في موقف موسكو وفي رؤاها وأهوانها في الفترة من ١٩٩١ إلى ١٩٩٣ تجاه الولايات المتحدة الأمريكية، باعتبارها النموذج والمانع والصديق، أكثر حدة من كل العمليات الموضوعية والتغيرات الذاتية التي حدثت في الولايات المتحدة الأمريكية . ويمكننا في هذا الصدد أن نقول - بشيء من التعميم - إن روسيا شعرت بفقدان هيبتها بسبب تصريحاتها في السنوات من ١٩٨٨ إلى ١٩٩١ وأنها أصبحت مرفوضة باعتبارها شريكاً متميزاً ، وأن طموحاتها لإقامة علاقات خاصة مع الولايات المتحدة الأمريكية هي طموحات لا تجد اعترافاً بها. ينبغي أن نحدد هنا خمسة عوامل ملموسة هي :

١) لم تقدم الولايات المتحدة الأمريكية المساعدة المكلفة والهادفة لهذه المنطقة الآخذة في التحول نحو الديموقراطية خلافاً للوضع الذي كان قائماً في الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين. لم تضع «خطة مارشال» (١٧ مليار دولار عام ١٩٥١ أي ما يعادل ١٠٠ مليار دولار بالأسعار الحالية) روسيا ضمن أهدافها؛ فعندما

أنفذ الأميركيون الديمقراطية في أوروبا الغربية كان باستطاعتهم التصرف بمزيد من الكرم . وكانت خطة مارشال تعادل آنذاك ٢٪ من إجمالي الإنتاج الأميركي ، بينما تمثل قيمة المساعدات التي تقدم إلى روسيا ٠٠٥٪ من الإجمالي الحالى للإنتاج الأميركي . من هنا يتضح لنا من الذى لديه الاستعداد للتضحيه وما هو هدف هذه التضحيه . إن تقديم القروض بشكل عرضي غيره دف لا يبدوا معادلا لأحسن إعادة الهيكلة الفعالة للأقتصاد الروسي على النمط الغربي . أصنف إلى ذلك أن أصحاب النيات الحسنة تجاه روسيا لم يعد باستطاعتهم أن يغيروا هذه الرموز الكريمه للعرب الباردة . خذ مثلا تعديلات جاكسون - فانيك التي تقضى بفرض القيود على التجارة مع روسيا ؛ فضلا عن أنه لم يتم التعامل مع موسكو وفقا لقاعدة الدولة الأولى بالرعاية في مجال التجارة . وهو الوضع الذي يتمتع به عدد كبير من شركاء أمريكا في التجارة . لم يؤد سعي روسيا نحو الغرب إلى الانضمام إلى صفوته ، ولم تتحقق عضويتها في الناتو أو نظم التنمية والتعاون الاقتصادي أو صندوق النقد الدولي أو الجات أو منظمة الدول السبع وغيرها من المنظمات الغربية .

(٢) منذ فترة قريبة كانت هناك خطة - بدت جذابة إلى أبعد حد - للجمع بين التكنولوجيا ورؤوس الأموال الأمريكية والموارد الطبيعية والقوى العاملة الرخيصة الروسية ، لكن هذه الخطة مانت في مهدها؛ فبينما يبلغ حجم الاستثمارات في الصين الشيوعية ٦٠ مليار دولار، نجد أن مجموع الاستثمارات الغربية المباشرة في روسيا هو خمسة مليارات دولار متواضعة، وذلك هو أفضل دليل على انهيار الأحلام الاقتصادية عند أصحاب التوجه الغربي من الروس . والأسوأ من هذا أن حجم الأموال المتسرية سنويا من روسيا إلى الغرب يتراوح ما بين ١٥ إلى ٢٠ مليار دولار تغذى الاقتصاد الغربي على حساب استنزاف دماء الاقتصاد الروسي . وهكذا أصبح الروس الجدد سببا للقطيعة مع الغرب بدلا من أن يصبحوا همزة للوصل معه، فرؤوس أموالهم ذهبت لتعلل بعيدا عن الوطن .

(٣) إن ما يثير دهشة المثاليين في موسكو أن حلف شمال الأطلنطي لم يقم بحل نفسه بعد زوال خصمه الرسمي . أصنف إلى هذا أن أمريكا في سياق إعادتها هيكلة

الذاتي باتجاه توسيع الحلف نحو الشرق، تقييم نظاماً للأمن الأوروبي لا تدخل روسيا شريكاً فيه، علماً بأنَّ الأميركيين كانوا قد قطعوا عهداً آخر على أنفسهم.

في خطاب شخصي بعث به الرئيس بوش إلى جورج بوشوف في يوليو ١٩٩٠ وعد الرئيس الأميركي نظيره الروسي بقوله «إنَّ الذاتي مستعد للتعاون معكم في بناء أوروبا جديدة»، وذكر الرئيس الأميركي أنه يفكِّر في التحول التدريجي للذاتي نفسه.^(١٧) ولعلاوة على ذلك فقد وعد الغرب مرتين على الأقل (وعلى نحو لا يقبل الجدل خاصة في دورة ١٩٩١ في كوبنهاغن) ألا يستغل الموقف الراهن بغرض الحصول على ميزات جيوسياسية من جراء انهيار الشرق. وسرعان ما تأكَّدَ أنَّ الوعود في السياسة ما هي إلَّا أمور سريعة الزوال؛ ففي يناير ١٩٩٤ أبدى الرئيس كلينتون عزمه على توسيع الذاتي على حساب الأعضاء السابقين لمنظمة اتفاق وارسو. أما السياسيون الواقعيون في العواصم الغربية فقد لقناها دبلوماسيَّة روسيا الجديدة درساً قاسياً للغاية. لقد تطلب الأمر بضعة شهور حتى يدرك السياسيون في روسيا الانقلاب الذي جرى في الغرب وما طرأ على مشاعرهم. وألَّا مرَّة بعد مرور عدد من السنين يأتي رد فعل موسكو بطيئاً، ولكنه لا يحمل هذه المرة «الموافقة» على المحال بأي حال. ترى هل كان الأمر يستحق تدمير منظمة اتفاق وارسو ومجلس التعاون الاقتصادي وتفكك الاتحاد السوفيتي من أجل الحصول على الدبابات البولندية التي انتشرت في مواجهة روسيا؟

إنَّ حديثنا هنا لا يدور - من المنظور التاريخي الواسع - حول إضافة نصف مليون جندي إلى جيوش الذاتي، ولا حول ثلاثة مطار حديث تقع بالقرب من الحدود الروسية، بل ولا حتى حول السيطرة على تلك المناطق التي تم استخدامها باعتبارها نقاط ارتكاز للهجوم على موسكو في الأعوام ١٦١٢، ١٧٠٩، ١٨١٢، ١٩٢٠ ثم عام ١٩٤١. وإنما يدور الحديث حول فشل الخطة التي بدأها بطرس الأكبر، وسار على هديها - بحماس بالغ - الديمقراطيون الروس أصحاب التوجه نحو الغرب طوال الفترة من عام ١٩٨٨، وحتى عام ١٩٩٣، و حول توسيع الذاتي وما يعنيه توسيع حلف شمال الأطلسي من عزلة جديدة لروسيا. هذه هي المرة الثالثة على امتداد القرن العشرين، القرن الذي كان شديد القسوة على روسيا، التي يحاول فيها الغرب أن

يخرج روسيا من منظومة الأمن الأوروبي الشامل. لقد جرت المحاولة الأولى مع إنشاء منظومة فرساي ثم إنشاء «النطاق الصحي»، على امتداد الحدود الغربية مع روسيا. وقد أدى إقصاء روسيا (وكذلك ألمانيا) إلى قيام حرب عالمية. المحاولة الثانية تميزت بخطوة مارشال، وإنشاء الناتو، وهي المحاولة التي صنعت حرباً باردة دامت أربعين عاماً، وأنفقت في سبيلها موارد خيالية، وولدت قهراً نفسياً طال ثلاثة أجيال. أما المحاولة الثالثة فهي إنشاء منظومة الأمن الأوروبي بدون (بل وضد) روسيا، وهي المحاولة التي تجري الآن أمام أعيننا.

إن توسيع الناتو - تحديداً - ليس سوى أكثر الشواهد بداعه و بشاعة على النهج الجديد للغرب ، وهو من الناحية العملية لا يقل أهمية عن اتفاق شينجن للتحالف الأوروبي ، الذي قيد حرية الاتصال بين المواطنين وضع الستار الحديدي للتأثيرات. على أن توسيع الناتو هو أهم الأعراض جميعاً . لقد عرض على روسيا دون مبالغة أن تتصالح مع حقيقة أن هذا الحلف - الذي أنشأ لأغراض عسكرية - لن يتعرض لها بأى تهديد حتى ولو اقترب من حدودها ببضعة مئات من الكيلومترات.

هل ستتمسك الدول الغربية بهذا المنطق فيما يتعلق بها هي ذاتها ؟ فالولايات الأمريكية - على سبيل المثال - اعترفت رسمياً أنه لا يلوح أمامها في الوقت الحاضر أي تهديد عسكري ، ومع ذلك فإنها لا تنوى تخفيض ، وإنما ستزيد من إنفاقها على القوات المسلحة ، كما أنها لن تحل أخلفها العسكرية ، ما دام هناك سؤال مقنع وشرعني تطرحه على الناس : وما الذي يمكن أن يحدث بعد عشر أو عشرين سنة ؟ أما تلك الدول ، مثل فرنسا ، فإنها تزيد من ميزانيتها العسكرية ؛ فضلاً عن أنها تجري تجارب نووية . وفي سياق ذلك فإن روسيا في الوقت نفسه تظهر قلقها من جراء البناء العسكري ، الذي يتم في الجوار . إن اهتمام الغرب بالأمن هو ضرورة مطلقة ، أما اهتمام روسيا به فهو عمبية مصطنعة وانفعال جامح ، وهو الشعور الغالب لدى دولة فقدت في القرن العشرين ثلث سكانها .

من الناحية الموضوعية فإن توسيع الناتو سوف يؤدي إلى عزل روسيا عن المنظومة الغربية ، وفي هذه الحالة فإن من المنطقي أنها ستسعى من الآن فصاعداً (وهو ما تدركه أو قد لا تدركه واشنطن) للعمل على خلق توازن مضاد . وجزء من

الحل الذى ستلجأ إليه يمكن أن يكون فى تقوية علاقاتها بالدول غير الغربية واللجوء إلى الطريقة التقليدية عند الروس، والتى طال الشيوعية. إليها وهى التعبئة الوطنية. إن إبعاد روسيا عن المنظومة الغربية للأمن سوف يغير من معيار العلاقة الطيبة تجاه الغرب ، والذى انتصر عام ١٩٩١ على النزعة الانعزالية الشيوعية .

٤) هناك أمر آخر مهم لا توليه الولايات المتحدة الأمريكية ما يستحقه من اهتمام، وهو أن عدد المثقفين الروس المؤيدين للغرب أخذ في التراجع، كما أنهم بدأوا يفقدون تأثيرهم ويتوجهون نحو التحلل والاختفاء ، وهؤلاء كان تعاطفهم وحبهم (بل وسخطهم أيضا) لأمريكا يمثل قاعدة لتغيير سياسة العداء لأمريكا في المرحلة الأخيرة من حكم جورباتشوف وبداية حكم ياتسين. إن هؤلاء المثقفين تحديدا هم الذين رسموا في روسيا صورة إنسانية للغرب ، وهم الذين كانوا على استعداد للمخاطرة والدخول في صراع مع الهياكل الحكومية الجبارة من أجل الحفاظ على الروابط مع منطقة معيارية . إن المثقفين الذين كانوا يكثرون مشاعر الحب لأمريكا، و الذين واصلوا الاستماع عشرات السنين لإذاعة صوت أمريكا التي كانت معرضة للتشويش ، والذين علقوا صورة هيمنجواي على الحوائط، وزرعوا في الطلاب القراء حب هذه الجمهورية الواقعة وراء المحيط - ثقافتها وأدبها وموسيقى الجاز بها ... إلخ . هؤلاء المثقفون تحديدا هم الذين أحاطوا يوما ما بجورباتشوف ، وكان من بينهم أهم مستشاريه ، وهم الذين دعموا الأمل في أن أمريكا سوف تقدر مأثره ما قاموا به من تضحيه . كان المثقفون الروس يؤملون إيمانا بلا حدود في تضامن أمريكا الديمقراطي معهم.

على أن السعى وراء الغرب في مسألة خلق علاقات السوق أصبح مفترنا بفقدان كل المكاسب الاجتماعية في مجالات الصحة والتعليم وما إلى ذلك من مكاسب. الآن يتراجع المثقفون عن كونهم أصحاب التأثير في الجماهير . وفي هذه الظروف القاسية التي فرضتها السوق التي دافع عن وجودها الاقتصادي الروسي جايدين فإن المثقفين الروس بلغوا حد الفقر المدقع بكل معنى الكلمة؛ فضلا عن أنهم فقدوا كل المقومات التي وضعتهم في طليعة الأمة ، وجعلتهم عنصرا من عناصر التجديد القومي ، لقد فقدوا الاهتمام بمؤلفي المجالات السمعية ، وجريدة الأدب التي كانت تصدر بعشرات النسخ ، وبالكتب التي كانت تباع تقريبا بالمجان. سقط جزء كبير من المثقفين أصحاب

التوجه إلى الغرب إلى قاع المجتمع وبعضهم غادر البلاد . في عام ١٩٩٣ وحده سافر إلى الخارج أربعون ألف عالم، وتدهرت أحوال الغالبية التي بقيت في البلاد . وانحدرت إلى حد اللجوء للعمل في تجارة التجزئة وإلى أعمال النش والمصاربة . اختفت روح احترام الحضارة الأمريكية ، التي لولا وجودها لكان من المحتمل أن تستمر عمليات القضاء على العرب الباردة لعشرين السنين . إن الأمر يتطلب عدة أجيال حتى تعود لروسيا قوتها الثقافية المهدمة . ترى هل سيظهر هناك مثقفون جدد أكثر صلابة ، فرديون ، مناصرون للقيم الغربية ؟

إن الأحلام حول فضاء ثقافي واحد ، وامكانية شراء تذكرة اليوم والسفر بها غدا إلى برلين أو باريس أو لندن ، قد اصطدمت بحواجز التأشيرات التي حلّت محل «الستار العديدي»، وما يزال الغرب راغباً عن فتح حدوده . لقد اصطدم الغضب العاطفي لدى المثاليين بالواقع الذي بدا أقل ودا وأكثر قسوة . إن الجسر بين الشرق والغرب ، بين روسيا المتفقة والولايات المتحدة الأمريكية المنسكة بالحاجز الجمركي قد فقد أكثر جوانب أسمه صلابة .

٥) لعل الأمر الأهم يتلخص في أن الرؤية لدى النخبة الأمريكية غير مطابقة لرؤيه النخبة الروسية ، كما أن الشخصيات التي تتبوأ قمة السلطة السياسية في البلدين يفهمون بعضهم البعض بصعوبة بالغة - في الواقع الأمر فإن هناك حضارتين مختلفتين تعامل كل منها مع الأخرى ، واحدة غربية والأخرى شرق أوروبية . لقد أصبحت المتابعة التاريخية للمباحثات الخاصة بالأسلحة النووية أو العادمة بين الشرق والغرب أمراً بالغ الصعوبة . وبينما يحدثنا ستروب تالبوت في كتابه الرائع عن المباحثات الخاصة بالعد من الأسلحة الإستراتيجية وكيف جرت بشكل منطقي وعقلاني ، ويصف الغرب اللقاءات الرفيعة المستوى بأنها كانت مزيجاً من اللياقة الغربية والحفاوة الروسية ، نجد أن كل شيء قد سار على نحو بالغ التعقيد .

لم يترك الضغط العاطفي الشرقي أدنى انطباع لدى المحاورين الغربيين . وطفت دهشة باردة من تسرع كل من شيفاردنزه وجورياتشوف بسبب الرغبة الشديدة لدى الرئيس الروسي في الحصول على الإعجاب . ترى من يعنيه في الولايات المتحدة الأمريكية الاهتمام بالذين قاموا على تنظيم احتفالات موسكو بالذكرى الخمسين

للانتصار في الحرب العالمية الثانية؟ وما إذا كان الرئيس الأمريكي سوف يزور الميدان الأحمر أم يكتفى بزيارة بوكلونايا جورا؟ وما تزال موسكو تشعر بقلق دائم بشأن الدعوة لقاء الدوري «للدول السبع». حسبنا هنا أن نقارن فقط بين مذكرات جوريانتشوف ويلتسين ودوبرينين من ناحية، ومذكرات چورج بوش وشولتز وچيمس بکير ومیتلوك - على سبيل المثال - من ناحية أخرى، وجميعها وصفت نفس الأحداث، لنقتصر تماماً إزاء ماذق عقل، وعاطفي يقودنا إليه عدم التطابق فيها. إن ما كان يعتبره أحد الجانبين على جانب كبير من الأهمية (تبادل القبلات وهناف الجماهير والحديث بلا كلفة والعناق الودي وتبادل الأقلام وما إلى ذلك من الأمور المبتدلة) لم يعن أى قدر من الأهمية لدى الجانب الآخر، الذى راح يضع المعاهدات بكل ثبات مستخدماً أعلى درجات المطلق في أساليب تحقيقها، متخذًا جانب الدفاع الصارم تجاه مصالحه القومية. لقد اصطدم شعار التفكير الجديد من أجل بلادنا ومن أجل العالم بأسره بشدة بالواقع الصارم الذي يرى أن الشرعية العملية الوحيدة هي الدفاع عن المصالح القومية. ولعل أكثر ما يثير الحزن في ذلك كله أنه لم يحدث أى تراكم للخبرة؛ فالشرق ما يزال غير عازم على تغيير منطلقاته العاطفية، بينما الغرب لا يخطر بباله أن يستخدم الأسلوب البيروقراطي على مائدة المباحثات.

في هذا السياق فإن الزعماء الأمريكيين أصبحوا يذكرون بكل وضوح أهمية التبعية في روسيا وسعى زعمائها للحصول على الإعجاب. ولعله لهذا السبب توجه الأمريكيون في هلسنكي في فبراير ١٩٩٧ بالسؤال الوحيد الذي كان يورقهم بالفعل والمتعلق باتخاذ حلول تجاه إعداد وتجربة الأنظمة المضادة للصواريخ إلى الرئيس الروسي تعديداً. وعندما أثمر الهجوم الذي استمر يوماً ونصف عن النتائج المرجوة، أظهر الجانب الأمريكي عواطفه بأن فتح زجاجات الشمبانيا، ولهذا اندفعت وزيرة الخارجية الأمريكية في يناير ١٩٩٩ إلى المستشفى المركزي، كانت أول برایت ت يريد أن تحدث ثغرة عند مواجهة معاهدة عام ١٩٧٢ الخاصة بالدفاعات المضادة للصواريخ بطريقة منكهة، لكن القبلات والترحاب كانوا يمثلان مخاطرة قد تحول الأمور إلى الجانب المضاد، إذا ما شعر الجانب الذي قدم تنازلات أن الجانب الآخر قد تلاعب بمشاعره.

رد الفعل تجاه الإحباط

لقد أدى الاختلاف في أسلوب التفكير إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا باتا يدركان - كل بطريقته - الإعصار السياسي الذي وقع في الثمانينيات والتسعينيات. وقد أثارت النزعة العملية الباردة لدى واشنطن أول إحساس قومي حقيقي بأن نقص الخبرة والرغبة القومية في التفاخر، وعدم الرغبة في إظهار التشدد، أمور أدت كلها في النهاية إلى نتائج مؤلمة من منظور روسيا، كما طرحت أمامها قضية دوافع الغرب، الذي تعهد منذ زمن غير بعيد «ألا يستغل الظروف الراهنة»، وهذا ظهر على الفور موقفان متعارضان ، وبذا وكأن التفكير «الجديد» قد دخل في صراع مع التفكير «الجديد القديم» .

لقد راح النصف الأول من الطيف السياسي لروسيا (الآخذ في التلاشى) يدعو إلى بقاء سياسة كوزيروف والحفاظ على التقارب مع أمريكا، والذي يأتي من حيث الأهمية على رأس الأوليات الأخرى، ثم الخضوع لما يبدو أنه أمر حتمي ومحاولة الخروج من الموقف بشيء إيجابى، وتقدير ما تتمتع به الولايات المتحدة الأمريكية من قدره على ردع الصراعات القائمة بين الدول أعضاء الناتو وفرض الاستقرار في منطقة وسط أوقيانوسيا دائمة الاضطرابات. والاعتراف بوجود قوة مستعدة للتصديق ماديا وبشريا ومعنويا من أجل تجميد الصراعات الإقليمية، مثل البوسنة أو كوسوفو ، والتقارب مع حلف شمال الأطلنطي برئاسة أمريكا ، حتى ولو فاقت سرعة مجموعة المدن الكبرى في هذا الاتجاه سرعة موسكو .

لكن ذروة التأثير الكبير لموجات الراديكالية الديموقراطية الموالية للغرب قد زالت. ويرجع السبب في انحسار أصحاب هذا التوجه من الساحة الروسية إلى أنهم لم يخلعوا الوضع الأساسي والحاصل بالنسبة للحكومة الروسية ؛ فالراديكاليون ذوى التوجه الغربي لم يحققوا تحالفاً وثيقاً مع الغرب، فالحصول على عضوية الاتحاد الأوروبي وحلف شمال الأطلنطي كان من الممكن أن يكون علامة فارقة. فمهلاً راحوا يرجعون قبولهم في الاتحاد الأوروبي (وأحياناً على نحو مباشر للغاية كما فعل رئيس الوزراء تشيرنوميردين) لكن طلبهم قوي بالرفض. ونتيجة لتعسف الغرب والسياسة المدمرة

التي عرفت باسم الإصلاحات ذات التوجه الغربي، انهار تأثير أول حكومة روسية لها هذا التوجه على مدى ثمانين عاماً انهياراً حاداً، واضطررت هذه الحكومة أن تسلم دفة السلطة لقوى أكثر اعتدالاً، مهتمة بالوضع الغربي للبلاد بعد مرور عشر سنوات من الإصلاحات التي باركتها أمريكا.

أما الجزء الثاني من الطيف السياسي الروسي الذي انتشر تأثيره حتى نهاية القرن العشرين كالنار في الهشيم، وذلك بفضل النتائج الشحيحة لنزعة التوجه للغرب في روسيا، فقد وصل إلى استنتاج مفاده أن من المستحيل اتباع سياسة «التوجه نحو الغرب تحت أي ظرف». لقد أثارت مسألة قبول الناتو لحلفاء الانتحاد السوفييتي السابقين حالة حقيقة من الاضطراب الشديد لدى القوى السياسية في روسيا ، ودفعتهم إلى مراجعة موجعة للقيم والتحول نحو الواقعية ، وذلك على ضوء التوجه الواقعي الذي كان أمراً مؤلماً بالنسبة لروسيا . إن حرجاً على شاكلة «لقد دعوتم الغرب ،وها هو قد جاء إلى حدودكم»، قد فقدت قوتها؛ فمع اقتراب القرن العشرين من نهايته ظهر الإجماع القومي بصورة عملية في مراجعة ما يقوم به الغرب من أفعال بعد انتهاء الحرب الباردة. وسادت الحياة السياسية في روسيا مقوله: لقد قدمنا أكبر التنازلات في سياستنا الخارجية، بينما استغل الغرب «ثقة أهل موسكو»، فاندفع إلى مواقعنا الأمامية، ثم إذا به يجذب حلفاء روسيا في أوروبا الشرقية إلى مداره؛ فضلا عن الجزء الشرقي من ألمانيا. وهكذا سرعان ما أثارت طريقة التفكير التقليدية عند الروس ، والتي تتميز بالتباهي الشديد «رد الفعل الوطني» ، ومن ثم فقد تحولت مشكلة السياسة الخارجية بخصوصيتها لتصبح رهينة لكل الأهواء السياسية الحادة .

لقد تكونت صورة غير جذابة للإحباط الذي تشعر به روسيا تجاه حليفها عبر المحيط. ترى هل كانت روسيا «متعدنة للغاية»، عندما راحت تتحدث عن ضرورة مد يد العون لديمقراطيتها ولاقتصاد السوق النامي لديها ، وللهياكل الجديدة التي تقترب بها من النموذج الغربي؟ حسناً، يمكن القول إن وجهة النظر هذه متداولة في أنحاء روسيا. ولعله من العدل أن نشير هنا إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تقطع على نفسها أى عهد بتقديم هذا العون، ومن المستحيل أن يكون لدى الأميركيين أى شعور بوخذ الضمير في هذا الشأن.

إننا نتناول هنا قضية تخرج في جوهرها عن إطار العلاقات الأمريكية الروسية إلى رحاب العلاقات الدولية وأيضا الإنسانية الأكثر رحابة. إن الأغنياء ليسوا مغضوبين لمساعدة الفقراء والتضحيه بأى شيء من أجل جيرانهم. ومن حق الغرب - فلسفياً - أن يرافق الفشل الذي منيت به الإصلاحات الروسية، ولكن عندئذ فإن الغرب - وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية - عليه أن يتقبل شرطاً واحداً ، وهو أن يكون مستعداً لمواجهة عواقب ذلك .

الفقراء لديهم سلاح وحيد يواجهون به لامبالاة الأغنياء وهو الاتحاد. ولعل أكثر الأمثلة إقناعاً في القرن العشرين كان هذا الاتحاد الذي جرى إبان الهزيمة العسكرية والسقوط الفعلى لروسيا عام ١٩١٧ ، عندما أعلن البلاشفة بالفعل روسيا وطننا لكل المذلين والمهانين ، وشكلوا تهديداً للغرب، هذا التهديد الذي فاق في النهاية كافة أشكال التهديد .

إن تكرار المدخل الاجتماعي الدارويني الذي يعطي روسيا مصيرًا خاصاً، يمكن أن يحدث اليوم بشرط أن تفقد الولايات المتحدة الأمريكية ذاكرتها التاريخية. إن روسيا المدفونة تحت ركام مشاكلها الخاصة، والتي هبّطت الغالبية من سكانها نتيجة للتحديث الفج لتصبح دولة من دول العالم الثالث ليس لديها من الأمتنة سوى تسليحها الجبار.

يعلم الأميركيون جيداً مدى الأهمية الحيوية للتضامن الاجتماعي بدرجة أو بأخرى. وإذا كانوا يتراجعون الآن على الساحة الدولية عن التضامن مع هذه الدولة التي تسعى لمشاركةهم القيم العامة واستيعاب المبادئ الحضارية المشتركة؛ فسوف تدفع الولايات المتحدة ثمناً باهظاً نتيجة استخفافها بالمصالب التي تعانى منها روسيا، التي تسير فيها عمليات التحديث ببطء ملحوظ.

(في ضوء ذلك فإن فرط الحساسية في السياسة يبدو أمراً منحكماً. إن روسيا التي تجرعت الظلم حتى الثمالة من جراء علاقات الآخرين بها، وأعريت عن تذمرها بسبب عدم كمال العالم، ومن قسوة الحلول التي اتخذت دون مشاركتها، مثلاً حدثاً مثلًا بالنسبة للذاتي والبوسنة وكوسوفو أو العراق، سوف تقف وحدها في مواجهة

جرحها المعنى . ينبغي أن ندرك هنا أن تطور السياسة الأمريكية لم يحدث انطلاقاً من أمزجة واشنطن المعادية لروسيا ، وإنما - ويدرجة كبيرة - بسبب أن القيادة الروسية لم تستطع أن تعبّر بوضوح عن مصالحها الشخصية ، وأن تعرّض نفسها كشريك يتمتع بالاستقرار . لقد تراوح نشاط الدبلوماسية الروسية بين الهدوء تارة والتهديدات المفاجلة لدول البلطيق وتركيا وكل من طالته يداها تارة أخرى . وإذا كانت سفينه الدولة الروسية قد فقدت بعضاً من حجمها ، فإن الأهم هو أن يكون لديها بوصلة مضمونة وخارطة وخطه عمل محددة وأهداف واضحة ، وعندها فقط قد تستطيع روسيا أن تقييم الادعاء على الذين يعوقون حركتها نحو المستقبل) .

للمرة الثانية

ارتكب الغرب وللمرة الثانية خطأ فادحاً في علاقته بجارة روسيا . حدث ذلك للمرة الأولى إبان الحرب العالمية الأولى عندما فقدت روسيا بمؤسساتها الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية توازنها ، وأصبح استمرار الحرب يهدد بخسائر فادحة وأنهيار لبنيتها الاجتماعية . وقد قام الغرب بدفعه لروسيا لخوض حرب يائسة في عام ١٩١٧ إلى زيادة روح الثورة في المجتمع الروسي وتحويل روسيا إلى دولة معادية للغرب ، ولم يستطع كل من الإمبراطور نيقولاى ومن تلاه من لفوف وكيرنسكى أن يتراجعوا في وعدهم بتشكيل اتحاد مع الغرب أملأ منهم في المحافظة على هذا الاتحاد المهم ، إلا أن المتحالفين الغربيين كانوا يمتلكون في روسيا دبلوماسيين متعلمين ومراقبين استطاعوا إثارة الشك وبشكل قوى في قدراتها العسكرية . لقد لاحظوا ضعفها وأنهيارها الاقتصادي وغياب الرجال في القرى والطوابير الطويلة في المدن وغياب الأهداف الواضحة في العرب . كل هذا فجر الثورة الوطنية وبعد واحدة من الأحاديث الساخنة التي ألقاها مثل عن دول الغرب الحليفة لروسيا التي دعا فيها لعدم خداع الغرب (في الوقت الذي كانت فيها روسيا قد فقدت مليون مقاتل) قام وزير الحكومة المؤقتة بمخاطبة وكيل الأمين العام للولايات المتحدة الأمريكية للشلون الروسية أ. روت فائلاً «سيدي ، ألم تتفصل بإخبار هؤلاء الأمريكيين بأننا تعينا من هذه

العرب . اشرح لهم أنه قد أصابنا الإعياء من تلك الحرب الطويلة والدموية .
وبتفصيل التحالف مع الغرب على مصالحها الذاتية غرفت روسيا في هجوم
1916 - 1917 .

وفيما بعد اعترف الغرب بخطئه هذا حين ضغط بشكل زائد على روسيا . ويقول رئيس الوزراء السابق لويد جورج «لقد تمسك أركان الحرب بمشاريعهم وتشبّثوا بها بشكل أعمى راقضين التراجع أو مناقشة خطط بديلة . ولقد أوكلوا إلى روسيا مهمة تفوق إمكاناتها فلم تستطع القيام بها ؛ حيث كانت قد انهارت تماماً مع نهاية عام 1916 . وكان الجندي الروسي مثل الشعب الروسي بأكمله قد تعب من الحرب ، وكانت موافقة الحرب بالنسبة لهم تعني استمراراً للمعاناة»^(١٨) .

ونتيجة لذلك فإن الطبقة الحاكمة الغنية في روسيا صديقة الغرب المعقود عليها الآمال ، والتي ترتبط به اختفت من الساحة الاجتماعية الروسية إلى مجھول التاريخ . كانت ثورة أكتوبر نتيجة مباشرة لأحوال الحرب وإصرار الغرب على توريط روسيا وإرغامها على الاشتراك بها . ولقد كلف أوروبا تعاملها هذا غالباً عندما اصطدمت بالنظام المتطرف في كل من روسيا وألمانيا بين الحريين .

والمأساة الثانية نعيشها بأنفسنا حالياً ، فمنذ سنوات تخلت روسيا عن الشيوعية ، وسارت نحو المستقبل المجهول . وكانت نقطتي الرؤيا لديها هما السوق والديمقراطية ، إلا أنه وبعد سعي دعوب لشخصية الممتلكات العامة فقدت سفينته التغيير وجهتها ، حيث اصطدمت بمشكلات كان يمكن التنبؤ بها في بلد لم تنه بعد المسائل الأساسية . مذظومة حكومية مستقرة ، مشاكل الملكية الخاصة في الأراضي ، قيادة والسيطرة على قطاع رأس المال الحكومي ومبادئ وأسس فرض الضرائب ، كما أنه لم يتم الاهتمام بالحفاظ على الصناعات التي أنشأها أجيال وأجيال ، وكذلك لم يتم الحفاظ على البنية التعليمية الأساسية والنهج السياسي في اتحاد الدول المستقلة . وسادت حالة مأساوية في السوق من التضخم وتحويل الروبل ، ولم يتم إجراء إصلاحات أساسية ، ووصل الأمر إلى أن مفهوم «الإصلاح» فقد معناه ، وأصبح يطلق على أي تغيير تافه في البرنامج الاقتصادي أو تعديل وظيفي مما نزع الثقة ، وأفقد هذا المفهوم اعتباره حتى إنه ارتبط

حالياً بهبوط الإنتاج وانهيار العلم والفوضى الاجتماعية . وهذا -وفى هذا الوضع وللمرة الثانية فى خلال هذا القرن - لا يحاول الغرب ملاحظة المشاكل الرئيسية فى روسيا، بل ويطلب بشكل صارم منها التقدم والتحرك للأمام ، ولكن فى هذه المرة فى اتجاه أكثر خطورة ، وكما حدث فى عام ١٩١٧ البعيد بعد الغرب بالولاء والإخلاص مقابل مواصلة التحرك فى اتجاه رفض التصنيع وتحرير الشخصية الاقتصادية وتطویر الإنتاج الحيواني ذلك التحرک الذى بدأ فى عام ١٩٩٢ . ومن المثير للفضول أن نعرف كيف كان رد فعل الغرب لو كانت روسيا هي التي اقترحت عليه هذه التغيرات التي من شأنها أن تفقد نصف إجمالي الناتج القومى ، وتقلص متوسط عمر الفرد فيه بمعدل عشر سنوات والمستوى الاقتصادي بمعدل الثلثين ، والتي من شأنها أيضاً أن تفرض عليه مشكلات تعرض الملايين للبطالة وانفراط المجتمع وأنحطاطه بشكل فوضوي وانخفاض المستوى العلمي والمهارى لملايين المتخصصين الذين انهاروا إلى أدنى مستوى اجتماعى ؛ فهل يمكن أن نصف هذا الطريق جيداً بكل وعورته وفجواته التي جعلت الشعب الروسي مع كل حبه للثقافة الأوروبية يكره الغرب ، ويكره هؤلاء الذين جعلوا مأساة إنسانية لشعب بأكمله ثمناً للعبة شخصية ؟ وكما حدث في عام ١٩١٧ فإن الشعب لا يفهم معنى وجوب ما يحدث ، وما يساعد على ذلك صمت القادة . وتبداً مرحلة من التراجع عن التحديث والتطوير ، والتي يتحدث عنها العالم الأمريكي المهم بالشلون الروسية س . كوبن .

كان يمكن تفهم وجهة نظر كليمانصو ولون جورج . لقد سحب لوديندورف قواه من الجبهة الشرقية في منواحي باريس ، والتي كانت تتعرض لهجوم يومي ، واليوم من الصعب أن نفهم قادة الغرب المعاصرين ، فلا أحد ينوي أن يتعدى على حدود حلف الأطلسي ومناطق نفوذه .

وقد قام الغرب «الذى لم يتعلم من درس عزل روسيا وخطورته»، بتوجيه ضربته إلى حليفه الأسasى فى روسيا ، وفي هذه المرة إلى الطبقة المثقفة من الشعب الروسي ، والتي أخذت على عاتقها على مدى سنين طويلة مهمة غرس مشاعر الحب والاحترام تجاه إنسانية وعقلانية الغرب فى الشعب الروسي ، والذي يعد «أكثر الشعوب قراءة فى العالم» .

وعلى مدى ثلاثة عشر عام من التقارب مع الغرب سعت روسيا للتخلص من الفتنية أو عبادة الرقى بما في ذلك الرقى الكلامي . إن الإصلاحات هي الطريقة المأمولة لتطور المجتمع ، إلا أن مفهوم الإصلاح بدون فك رموزه أو باعتباره رمزاً للتوافق مع الخليفة يعتبر شكلاً من أشكال السير بأعين مفعمنة ، والذي ينطوي على مخاطرة كبيرة كذلك التي حدثت إبان الانفجار الشيوعي الأول .

ماذا يتبقى لروسيا ؟

ماذا يتبقى لروسيا ؟ يجيب على هذا السؤال أستاذ الدراسات الاستراتيجية بكلية الجيش في الولايات المتحدة الأمريكية ستيفين بلانك قائلاً إن روسيا التي تفتقد إلى المساعدات الدولية التي وعدت بها سابقاً والمتأثرة بعدم اكتمال الإصلاحات الداخلية ليست على استعداد للاستمرار في عالم اقتصاد السوق الذي سيقودها للانتحار . لقد تخلت روسيا - بفضل التطورات الداخلية - عن مكانتها في النظام العالمي الجديد ، وهي بذلك تكون قد جعلت من استراتيجية الغرب محل شك^(١٩) ، وإذا كان الغرب لا يستطيع أن يشعر بمخاطر العنف الروسي فإن موازين القوى في العالم يمكنها إفراز قوى معادية للغرب . فضلاً عن ذلك فإن كل أحلام الروس ذوى العيول الغربية تنهاي بالكامل . إن حالة الصدف والقلق في روسيا ستمر ، وستتمكن روسيا من تصحيح أوضاعها ، وستأخذ دورها في نفس اللعبة التي يفرضها الغرب عليها الآن . ولذلك فإن الولايات المتحدة تتبع باهتمام شديد العوار الصيني الروسي ، وتحدد أهمية الأدوار في محور موسكو- بكين ، كما تثير مقترنات رئيس الوزراء السابق بريماكوف حول حدوث تقارب مثلثي بين روسيا والصين والهند إحساساً بالصدمة لدى الأميركيين . وسيأتي الوقت عندما تعود الاستثمارات (وليس الدبابات) الروسية إلى أوروبا الشرقية . هذا الطرح يفتح التقارب مع أوروبا الثانية ، مع دول أوروبا الشرقية التي ستقتصر بسرعة أن دول أوروبا الأولى لا تنتظرون ، وأن التنافس الاقتصادي مسألة خطيرة وجادة ، وأن أسواقهم ومصادرهم لا تثير إعجاب وانبهار الغرب . فلامفر عن التراجع للوراء ؛ فالمنتجات المجرية وسيارة «سكودا»، التشيكية مطلوبة في سوق واحد فقط هو السوق الروسي . والصفقات ذات المنفعة لا يمكن إلا تعطى نتائج إيجابية . وفي النهاية فإن

العامل الحضاري والتاريخي لأوريا الشرقية يلعب دوره المهم وال العلاقات التي تأصلت على مدى نصف قرن لا يمكن أن تنسى بهذه السهولة . إن روسيا وأوريا الشرقية يجمعهما المستوى التكنولوجي المتتساوى ، وفي نفس الوقت فإن كلاهما قد تأخر وتخلف عن الاتحاد الأوروبي بدرجة متتساوية أيضاً . إن روسيا يمكنها إمداد أوريا الشرقية بالنفط والغاز وتقديم أسواقها لها . إن الماضي لا يمكن إعادته ، ولكنه لن يمضى دون أي أثر .

وحيث ذلك فإن الذات وسيبدو وكأنه ديناصور من العصور الغابرة . الآن يحاول الأمريكان - بعد فشلهم في إيجاد لغة مشتركة مع روسيا - أن يركزوا جل اهتمامهم في السيطرة على نفط بحر قزوين والهدف من ذلك كما تعتقد مجلة «الفايينا نشال نايمز» التي تصدر في لندن هو «تأسيس منطقة نفوذ أمريكية في القوقاز وبحر القزوين للسيطرة على النفط»^(٢٠) .

ومن ناحيتها فإن روسيا ببيعها البترول إلى دول أوريا الغربية يمكنها أن تضعف بشكل كبير وحاسم تبعية هذه الدول لأمريكا التي تسيطر على نفط الشرق الأوسط . ويتحدث عن ذلك اليوم الأوروبيون أنفسهم^(٢١) .

فإن دع الحديث عن الآفاق جانبها ؛ فأمامنا حالة خاصة ؛ فقد خسر مساعد وزير الخارجية الأمريكي ستروب تالبوت ، والذى كان على قناعة بأهمية تدعيم العلاقات مع روسيا أمام ريتشارد هولبروك المسؤول عن السياسة الأوروبية والمعتنق الرئيسي لفكرة توسيع حلف الناتو في أوريا الشرقية ، خسر الأول أمام الثاني معركة ضد روسيا للغرب ، إلا أن تالبوت (ومعه قطاع مهم من المؤسسة الأمريكية) يواصل التأكيد على أن اضم روسيا للمنظومة الغربية ذو أهمية ملحة للسياسة الأمريكية الخارجية بشكل عام ويجب أن يصبح هذا الموضوع العنصر المحوري للسياسة الأمريكية بالنسبة لروسيا حيث أن تحقيق أمريكا لأهدافها المهمة سيعتمد بشكل أساسى على موافقة روسيا الاشتراك في النظام العالمي الجديد^(٢٢) هذا يمثل اعترافاً بأن المهمة الأساسية لأمريكا لم تجد الحل النهائي بعد . وإذا توانت الولايات المتحدة عن حلها فإنها بذلك تخاطر باستغاثة العالم في وقت ما بتأسيس تحالف تجاري مكتفٍ ذاتياً من المحيط الأطلنطي وحتى المحيط الهادئ^(٢٣) .

أفاق التقارب

إن عالمنا معقد للغاية، ولكن نفهم أفاق التقارب يجب أن نحدد كل النقاط وكل الاتجاهات حتى المتطرفة منها . إن الشكل الأول لتطوير العلاقات بين روسيا والغرب، والذي ترأسه الولايات المتحدة الأمريكية ينظر إليه على أنه نصر لمناصري روسيا في الغرب وأمريكا ومناصري الغرب في روسيا. هذا الشكل يفترض أن روسيا لا تبالي بالتدبر والتراجع الحاصل في مواقفها الجيوپوليتيكية ، وهي لا تتخذ أى مبادرات معادية للغرب، كما أنها توافق على الخط الأساسي لمواقف أمريكا بوصفها زعيمة العالم ، وتولي ثقتها الآخرين حتى فيما يخص أنها القومى . وهذا الأسلوب أو الطريقة في أداء روسيا السياسية تم استبعادها إبان فترة حكم شيفرنادزه وكوزيروف وتلائم هذه الطريقة فكر وأحلام مناصري الغرب في روسيا فهي لا تتطلب أى جهود إضافية أو نفقات وأعباء زائدة، كما أن هذه الطريقة يمكن اعتبارها مناسبة لطريقة تفكير جزء من المجتمع الروسي ، فبناء على توصيات أمريكا يتم دعوة روسيا إلى الانضمام لحلف الأطلنطي وتنح حقوق العضوية في الاتحاد الأوروبي ، كما أنها تقبل الانضمام لمنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (نادي الدول الثلاثين الأكثر نموا في العالم) كما يتم دعوتها لحضور قمة «المانية» . بالإضافة إلى ذلك فإن مشاكل تأشيرات الدخول بين روسيا والدول الغربية انخفضت إلى الحد الأدنى، ويمكن القول إنها وصلت إلى المستوى الذي كانت عليه عام ١٩١٤ ، ويمكن أن يتم صياغة إطار محدد للتفاهم الجمركي المتبادل ، والذي يسمح لبعض قطاعات الصناعة الروسية أن تملأ الفجوة الحاصلة في السوق الغربي الغني ، كما أن أهم ما كان يعلم به الغربيون الروس أعوام ١٩٨٨ - ١٩٩٣ يتحقق الآن، ألا وهو التلامم والاندماج بين رأس المال الغربي والأيدي العاملة والمواد الخام الروسية .

ونتيجة لذلك فإن متوسط الدخل في روسيا يرتفع (يمثل حالياً عشر ما هو عليه في الولايات المتحدة الأمريكية) كما أن الطبقة المثقفة تتمتع بهامش حرية يساوى ما هو عليه في اتحاد العالم المتقدم. ولأول مرة في روسيا يظهر لدى المواطن الشعور بالحماية ، وكذلك الاندماج والتواصل مع العالم والانغراط في الزعامة العالمية (وهذا لا يقدر بثمن في دولة مثل روسيا) . وهكذا تتحقق أحلام بطرس الأكبر ويستل

وتشاديف ومبليوكوف ساخاروف ؛ فها هي روسيا تندمج في عالم أمستردام ليس بصفتها ضيّفا ، بل بكونها حليفاً يتمتع بكافة الحقوق ومساهمًا رئيسياً في تأسيس أوروبا العظمى الممتدة من فلاديفوستوك وحتى سان فرانسيسكو. وبهدف تحقيق حلم أكبر وهو تجنب حدوث حروب عالمية وتوحيد العالم المسيحي وحلم أن تقوم الثورة الأوروبية ، والتي امتدت لخمسة عقود وتزعمتها أمريكا في القرن العشرين تقوم بعض روسيا التي تحلم حالياً بالانضمام للاستعمار العالمي ، الأمر الذي تجنبته طوال القرون من ١٦-١٨ .

إن موسكو يجب عليها أن تقرر ماذا يمكنها أن تتحقق مع واشنطن ، وما هو صعب تحقيقه ؛ فإذا لم يكن في الإمكان تحقيق شراكة إستراتيجية بشكل كامل فيجب تحديد أي عناصر هذه الشراكة يمكن تنفيذها. وفي السياسة من المفيد دائمًا أن تسبح مع الزعيم وليس صنده ، ولذا سيتضح سعي موسكو لتحقيق وفاق مع واشنطن حتى ولو للحد الأدنى ؛ فهناك الكثير الذي يربط الدولتين . يجب العودة إلى الحوار البناء حتى ولو في حدود معينة : تأكيد أهمية الأمم المتحدة للدولتين ، مسألة عدم نشر الأسلحة الدوائية وكذلك التشابه في مواقف الدولتين تجاه بعض المشاكل الإقليمية . وأسوأ ما كان يمكن أن يحدث هو نزاع مجنون بين روسيا والغرب يفقد روسيا وزنها في الغرب كما تخسر روسيا نتيجة له إمكانية تحديث التكنولوجيا الروسية بمساعدة الغرب ويفقدها الاستثمار الأوروبي والقروض على اعتبار أن انضمام بولندا والتشيك والمجر لحلف الأطلسي سيحدث لا محالة وبشكل ذاتي وبغض النظر عن رد فعل موسكو ، ولكن هل من الواجب الحديث تفصيلاً عن صعوبات تحقيق هذا المشروع أو هذا الطرح ؟ لقد أحس هذه الصعوبة كل من ذكرناهم سابقاً من رجالات التاريخ الروسي من القيصر بطرس الكبير وحتى العالم الأكاديمي ساخاروف . لن نتحدث عن الثروة البشرية ذات الشخصية المنفردة في روسيا أو الثقافة المختلفة أو الدين أو التقاليد أو الحضارة ، ولكن نستطيع القول بأنه من المستبعد تماماً أن يقوم الغرب بدعوة روسيا للاشتراك في حلف الناتو أو منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية أو الاتحاد الأوروبي ولا غيرها ؛ فهذا لا يريده الغرب مهما حلم بذلك مناصرو الغرب في روسيا وحتى نظام التأشيرات لن يتم تغييره لجذب العمالة الروسية المدرية والماهرة ؛ فأوروبا تعاني من

معدل بطالة مرتفع يصل إلى ١٨ مليون عاطل ، كما أن استثمارات الشركات الغربية في روسيا لن تغامر بالدخول إلى السوق الروسي الذي مازال يحكمه عالم إجرامي لا يحترم القانون.

احتمال التصعيد

لنحدد معالم الطرح الآخر ، والذي يقف على الجانب الآخر تماماً عن الطرح السابق. إن الصيغة الثانية المفترضة لتطور العلاقات الروسية الأمريكية والروسية الغربية تفترض أن تنسليخ روسيا ، وتندمج مع آسيا الأوربية الشمالية والشمالية الشرقية. إن الناتو والعوائق الجمركية والمشكلات التي تواجه منع التأشيرات كل هذا يقف عائقاً أمام اندماج روسيا للعالم الغربي ، وعلى ذلك سيتحتم عليها أن تقرر مصيرها وتبني مستقبلها بنفسها ، وذلك عن طريق احتكار التفود المتبقى لها في إطار دول الكومونولث المستقلة والبحث عن حلفاء جدد خارج أعضاء نادي الدول المتقدمة الأوروبية ، ويمكن البحث عن هؤلاء الحلفاء في المقام الأول في آسيا وفي العالم الإسلامي والهنودسي والبودي والكونفوشيوسي. وفي هذه الحالة ستقوم روسيا بتجديد الإجراءات الجمركية حتى تحمى صناعتها المحلية ولنفس الهدف ستكون بكل بساطة مضطراً للخروج إلى أسواق دول الاتحاد السوفياتي السابق في آسيا الوسطى والقرقاز ويقدر الإمكان دول الشرق السلافي ، وهي الدول المستهلكة السابقة للمنتجات الروسية.

وستفقد الانفاقات العسكرية المبرمة مع الغرب سابقاً قوتها ، وسيتم النظر إلى اتفاق باريس ١٩٩٠ حول تقليص الأسلحة التقليدية على أنه حماقة عظمى لكل القرون.(فقد وقع عليه جوريا نشوف تحت ضغط يلتسين الذي يلاحقه في سباق على السلطة. والأهم أنه وقع عليه وعلى المنضدة خريطة لأوروبا الجديدة الحرة والخالية من التكالبات والساعية للوحدة . فأين هذه الخريطة ؟ ولماذا يبقى حلف الناتو حتى الآن بل ويتسع ؟) . ستقوم روسيا بإعادة إنتاج الصواريخ الإستراتيجية ذات الرءوس المنفصلة ، وستبني مدنًا جديدة مغلقة ، وستحتكر العلم . وكل دعوة إلى اتحاد فيدرالي ستُخبو وستقوى وتعزز من نفسها الدولة الموحدة ذات البنية الأساسية الصارمة ، الأمر الذي سيؤثر على مصير الطبقة المثقفة الموالية للغرب .

ويفترض سيناريو المواجهة تعليمة كل موارد الدولة بالرغم من أنه لا يمكن تجهيز الدولة لتعليمة جديدة، إلا أن هذا هو حال روسيا في القرن العشرين. يجب تحقيق الاكتفاء الذاتي والنظام الداخلي والاقتصاد المخطط (حتى لو كان ذلك في المجالات الدفاعية) والتوزيع العادل والهادف للموارد. إن التعامل مع العالم الخارجي يجب تدعيم القدرة العسكرية للدولة ، وذلك عن طريق:

- الانسحاب من اتفاقية الحد من الأسلحة التقليدية وإلغاء اتفاقية تقليص الأسلحة الإستراتيجية (ستارت - ١) ورفض الإسراع بتنفيذ اتفاقية (ستارت - ٢) وإلغاء المعاهدة الخاصة بالأسلحة الكيميائية والبيولوجية وتشكيل جيش عالمي ومضاعفة عدد الصواريخ المزودة برموز محمولة ومنفصلة.
- تصنيع صواريخ متوسطة وقصيرة المدى وإعادة الإنتاج الجماعي للصواريخ المحمولة متوسطة المدى إس إس - ٢٠ .
- يتم إعلان دول المجر وبولندا والتشيك أهدافاً للقوات التوفيقية الروسية إذا قاموا بتوجيه منظوماتهم العسكرية نحو الشرق .
- تبذل كل الجهود القصوى لتشكيل تحالف مؤلف من الدول الأعضاء في تحالف كومونولث الدول المستقلة حتى ولو على نطاق محدود في البداية ، ويتم التنسيق بين جميع الدول التي تقع خارج نطاق حلف الأطلنطي بما فيها تلك التي تتنتمي لدول كومونولث الدول المستقلة ، وسيكون هناك نشاط ومساعي في اتجاه أوروبا الغربية من حيث استغلال الاهتمام النشط من جانب ألمانيا بالسياسة الروسية ، وكذلك مخاوف فرنسا وإنجلترا من تزايد النفوذ الألماني في أوروبا. إن تنسيط السياسة الأوروبية لا يمكن ألا يعطي نتائجه ، فهي تعد طریقاً مدروساً للدبلوماسية الروسية: لقد وجد بطرس الأكبر بها حلفاء ضد السويديين ، وقادت الإمبراطورة أیکترینا بتأسیس جامعة شمالية ، وطوال القرن ١٩ كانت روسيا صديقة حميمة لبروسيا - جيرمانيا ، وفي القرن العشرين كانت ضمن دول الائتلاف.

إن المنطقة المجاورة لروسيا لم تكن أبداً كتلة صخرية ، والكلام هنا ليس عن اختلاف أطراف عن أخرى ، إلا أنه في السياسة كما في الحياة ليس هناك إستاتيكا.

أما ما يحدث من متغيرات فإنها لا محالة تولد إمكانيات جديدة والإفادة من هذه الإمكانيات هو ضرورة وواجب الدبلوماسية الروسية تجاه شعبها.

إن الهدف الأساسي من كل هذه الجهود يتمثل في إظهار جدية فلق الدولة التي تم الاعتداء على سيادتها أكثر من مرة على مدى التاريخ بما في ذلك القرن العشرين؛ فليقيس الغرب الجوانب الإيجابية والسلبية في صنه إلى أحضانه ثلاث أو أربع دول من العيار المتوسط الذين يقعون أصلاً منذ زمن في منطقة نفوذه (الغرب). فإذا قلنا إن فرنسا لا تعتبر عضويتها في حلف الناتو ضمانة كافية لأمنها ، وتواصل لذلك تطوير قدراتها الدخورية ؛ فلماذا يجب على روسيا - التي أنفدت فرنسا مرتين في القرن العشرين – أن تستسلم لمصيرها والذي خذلها أكثر من مرة ؟

إن روسيا المنسلخة دون رغبتها عن العالم الغربي تدعم علاقاتها مع الدول المتعطشة للتعاون العسكري معها مثل إيران والعراق ولبيبا ، إلا أنها بشكل أشمل ستبني اتحاداً مع الصين بالسماح للصناعات الخفيفة الصينية بالمرور إلى الأسواق الروسية وتحديث الصناعة العسكرية والثقيلة لدى هذه الدولة الضخمة المجاورة ، والتي سينتخصي إجمالى الناتج القومى لديها خلال خمسة عشر عاماً نظيرهالأمريكى ، كما أظهرت الهند اهتماماً واضحاً بالتنسيق مع روسيا في المجال السياسي ، وهي دولة ستكون من عمالقة القرن الواحد والعشرين. هذا التقارب بين العالمين الثاني والثالث سيرسم خريطة جديدة للقطبية العالمية على اعتبار أن أكثر من نصف الناتج العالمي سيتحقق على شواطئ المحيط الهادى وليس فى شمال الأطلسى ؛ فهل من المهم الإشارة إلى أن هذا النموذج يتطلب من روسيا التنظيم العلمى للإنتاج الصناعى وإعادة تأسيس الهيئات العقابية والتأدبية وتشكيل أيديولوجية مؤسسة على مواجهة الجنوب المستغل لهيمنة الغرب زعيم التطور العلمى والتكنولوجي . إن عقلنة المواجهة لن تشفل وقتاً طويلاً ، كما أن حالة التعبئة الوطنية والإيمان بفكرة المعسكر الذى يتعرض للحصار - هو سمة مميزة لروسيا القرن العشرين . وسيتحول الاهتمام بعيداً عن دول آسيا الأوربية فيما سينمو الاهتمام بتنمية العلاقات مع دول المحيط الهادى حيث سيزداد باطراد هذا التوجه وكذلك الاهتمام بالمنظومة الآسيوية وليس بالفردية الغربية . إن روسيا يجب أن توجه نظرها نحو الشرق وتمعن النظر بشكل غير سطحي

في التجربة الصينية، ونكتشف جوهر الاهتمامات التي تجمعها من تلك الدولة التي تلتحق الغرب ، وتببدأ في التحول بالتوازي ؛ فمشكلة جزر الكوريل الجنوبية سيتم حلها من خلال إدارة مشاركة روسية يابانية ، وفي المقابل تنشر مصانع تجميع المنتجات اليابانية في روسيا ، وستصبح كوريا الصديق المفضل لروسيا ، وستعمم الصين بحرية في إطلاق يدها في بحر الصين الجنوبي . وستترجم الشركxات الروسية والصينية واليابانية والكورية الجنوبية إلى منطقة سيبيريا باعتبارها المستودع الأخير في العالم، كما ستقوى العلاقات مع أمريكا اللاتينية كواحدة من صناعيا الغرب .

إن عدم الرضى والرفض الروسي الواضح سيكون برهانا على فلق الدولة التي أخذت الغرب مرتين طوال هذا القرن . وليس هناك أى شك في أن روسيا في حالة تمكنا من التأثير بشدة على الدول الغربية وإثارة أفكار جديدة وشكوك وقلق وخوف بل ورعب لدى هذه الدول واجبارها على أن تزن جيدا مواقفها وتحدد متى تقول نعم، أو لا..

العوائق

إن العقبة الرئيسية في سبيل تنفيذ هذا المشروع تتمثل في الإحساس السائد بالانتقام لأوروبا ، وهو الإحساس الذي يسيطر على عقلية الدوائر المثقفة ليس فقط في روسيا وجنوب شرق أوروبا بل وفي القوقاز وحتى آسيا الوسطى . ولن يكون من السهل على موسكو أن تهدم روسيا بطرس الأكبر، وأن تبني عالم شرقي على طريقة سكوبيليف وكورياتكين ؛ فقد كان ستوليبين وقيئي يحلمان بأن يجعلوا من إمبراطورية الشرق دعامة إضافية لوزن روسيا ومكانتها في أوروبا . إن نقل مركز الثقل سيتطلب أيديولوجية عناصرها الأساسية تتمثل إما في محور اجتماعي (الشيوعية) وإما رفض المبتدئ ، إلا أن الثقافة والحضارة الروسية برمتها ستقف في وجهة أى اتجاه معاد للغرب ، وسيخبو أى حلم بمجرد رؤية الحملة الأخيرة للسلاف الشرقيين على بحر أوكوتسك كمشهد آخر في دراما التهجير العظيم للشعوب . ولتحقيق هذا السيناريو وتحويله إلى واقع يتطلب إرادة سياسية قوية وصارمة واستعداد شعبي وتضحيات مادية وموارد بشرية مناسبة . وهذا الأخير - على وجه التحديد - يجعل من المستحيل

استخدام مبدأ القوة كرد فعل على توسيع الناتو. إن الأزمة الاقتصادية التي تتعرض لها روسيا في العقد الأخير تضع حدوداً لاستخدام هذا المبدأ. فخلال هذه الفترة القصيرة انخفض إجمالي الناتج القومي لروسيا بمعدل ٥٥٪ كما انخفض معدل الاستثمار في الاقتصاد الروسي بمعدل ٧٣٪ والإنفاق على الصناعات العسكرية ٨٤٪. وفي عام ١٩٩٠ بلغ حجم إجمالي الناتج القومي لروسيا ٥٪ من إجمالي الناتج العالمي في حين بلغ ٢٪ /٨١ لدول الاتحاد السوفيتي السابق جماء. والآن يبلغ نصيب دول الناتو ٤٥٪ من إجمالي الناتج القومي فيما يبلغ نصيب روسيا ٢،٤٪ فقط ، وتبلغ النفقات العسكرية للناتو في ١٩٩٨ - ٤٦٪ من حجم الإنفاق العسكري العالمي ما يعني عشرة أمثال الإنفاق الروسي لنفس الغرض وبلغ عدد أفراد القوات المسلحة في حف الناتو ٧،٣ مليون جندي في حين يبلغ ١،٧ مليون فقط في روسيا. وتتجدر الإشارة والتذكير بتفرد وزعامة الولايات المتحدة في الثورة التكنولوجية ، وأن روسيا الحديثة تجني ٢٠٪ من إجمالي الناتج القومي الذي تحقق في الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩٠ و٥٪ من إجمالي الناتج القومي الأمريكي . إن كلا الطرفين أمريكا وروسيا يتبعان بشكل مطرد كل في اتجاه . وما زالت قوة الجاذبية التي اخترعها نيوتن تبعث من كليهما ، وتجذب إليها الآخر ، وكلاهما يمكنه التأثير على الآخر ببعض الوقت كما لو أن عالم القطبين ما زال كائنا ، إلا أن هذا لن يستمر طويلا ، فالاحتباك - المصطلح الفيزيائي - سيغوص ذلك الاحتباك السياسي والاقتصادي والحضاري لا مفر منه ، وفي ظروف يفقد فيها التفاهم المتبادل والمنافع المادية فإن الاغتراب والابتعاد يحدث بشكل أكثر سرعة ، وإذا وضعنا في اعتبارنا هذا التباين في قوة المعسكرين فإن أي رد فعل روسي يستخدم فيه مبدأ القوة لا يبشر بنجاح ، إلا أن الإبطاء بالنمو التكنولوجي وتجميد الصناعة الروسية له مخاطر أعظم بكثير؛ فالآفاق المستقبلية في هذا الاتجاه غير مبشرة . وإذا استثارت روسيا الآخنة في الضغط هذه المنطقة القوية والمهيمنة من العالم صدتها فإن في هذه الحالة لن يكون هناك أيأمل في مستقبل جيد. إن الظروف الموضوعية تفرض على روسيا التصرف بشكل مختلف وتوجب الاستعداد للتوصل لسيناريو الحل الوسط.

إن روسيا - كونها لا تمتلك أيديولوجية واضحة وثاقبة وتتفقد للقادة الأقوياء ذروا الكاريزما ولخطر تحقق إعادة الاندماج مع دول كومونولوث الدول المستقلة في فضاء واحد - ستفرق في الجدل والنزاعات ، وسترى أسباب فشلها دائمًا في غيرها وليس في نفسها. إن نثر الحياة والمنطق يقول بأن الناتو سيتوسع إلى أقصى حد بغض النظر عن اعتراض روسيا وشكواها المستمرة ، إلا أن الغرب يرفض ضم روسيا إلى معسكره ، وسيواصل منحها مهدئات في شكل قروض صندوق النقد الدولي وفي شكل السماح لها بالمشاركة النصف كاملة في أعمال قمة « الدول الصناعية السبع » ، وفي شكل منتدى دافوس « الاستعراضي » وفي شكل الصناديق المانحة للتسهيلات وغير ذلك. وستصبح أوروبا الشرقية منطقة خاصة للتنفيذ الغربي ، أما أوكرانيا فستصبح ساحة لصراع محتمم وشرس فيما ستصبح البلطيق برجاً محصداً تابع للمعسكر الغربي. أما الصناعة الروسية الثقيلة فستنحدر نحو الحضيض ، وستبقى الأنابيب الضخمة التي تحمل النفط والغاز عبر القارات وموارد العملة الصعبة نتيجة بيع النفط والغاز لتخفف قسوة الحياة في آسيا الأوربية ، وستنهاي الطبقة المثقفة في روسيا أو ستهاجر ، وسيصبح المتخصصون في التسويق هم أرباب العقول وсадة الفكر ، إلا أن هذا سيستمر لفترة غير طويلة ثم يسيطر شكل من أشكال التفلسف على المجتمع ، وتتصبح مشكلة الفوارق المادية والثقافية بين عاصمتى روسيا وبين الريف هي الموضوع الرئيسي والمشكلة الرئيسية.

إن روسيا المتداعية والأذلة في الاحتضار منذ ١٩٩٢ ستتفقد - على نحو تدريجي - أسواقها في الدول المجاورة ونفوذها الدولي وحتى حب ٢٥ مليون روسي مهاجر يعاملون بشكل مهين في دول إقامتهم ، كما أن روسيا لن تصبح قلعة من قلاع العلم في العالم بل ستتحول مستهلكاً فقيراً لمنتجات الاتجاه الأوربي من الدرجة الثانية ، وبذلك تتتحول من صانع وفاعل للسياسة العالمية إلى مفعول به . وعلى الأرجح لن يكون هناك شهود لهذه المأساة ؛ فالانهيار سيحدث ببطء شديد ، وسيخف من قبل الغرب وبفضل المنح والمعونات الغربية ، إلا أنه من المؤكد أن فصل روسيا بطرس الأكبر سيطوى من التاريخ الروسي.

مراجع الفصل الثاني

- 1-McFaul M. Russia's Summer of Discontent // Current History. October 1998 .P.311.
- 2-McFaul M. Russia's Summer of Discontent //current History. October 1998.P.311.
- 3-Kurth J.NATO Expansion and the Idea of the West // Orbis. Fall 1997.P. 561.
- 4-Kurth J.Op. cit. P. 563.
- 5-Yergin D., Gustafson th. Russia 2010 and What It Means for the World. N.Y.,1995.p.256.
- 6-Haslam J. Russia's seat at the table:a place denied or a place delayed? //International Affairs, 1998.No1.P 122.
- 7-Billington J. The west's stake in Russia's future// orbis. Fall 1997.p.546.
- 8-Billington. Op. cit. P. 545.
- 9-McFaul M. Op. cit.P. 312.
- 10.Kupchan Ch. After Pax Americana. Benign Power, Regional Integration, and the Sources of a Stable Multipolarity // International Security. Fall 1998. P. 76.
- 11-Petro N., Rubinstin A. Russian Foreign Policy: Form Empire to Nation - State. N.Y., 1997.p.188.
- 12-Petro N., Rubinstein A. Op.cit.P.123.
- 13-Billinsky Y. Russian Foreign policy in Search of a Nation // Orbis . Fall 1997.P.648.
- 14-Goodby J. Europe Undivided: The New Logic of Peace in U.S-Russian Relations. Washington, 1998.
- 15-Kupchan Ch. Op. cit. P. 76-77.
- 16-Hill E., Kennedy P. Pivotal States and U.S Grand Strategy // Foreign Affairs. January- February 1996.P.33-51.
- 17-Dobrynin A. In Confidence N.Y., 1995 .P.635.

لويد جورج د. مذكريات عسكرية . موسكو ، ١٩٣٥ ، المجلد الرابع ، ص ١٣٢-١٨

19-Blank S. Drift and Mastery // European Security. Autumn 1997.P.2.

20-Financil Times. September 19,1997.

21-Haslam J. Russia's seat at the table: a place denied Or a place delayed? // Interna-tional Affairs. 1998 No 1.P.129.

22-Talbott S. The Battle for Russia's future // Wall Street Journal. September 29, 1997.

23-Haslam J. Op. cit.P. 130.

الفصل الثالث

أمريكا وروسيا والقضايا الإقليمية

اختلفت أمريكا مع الاتحاد السوفيتي في جملة عامة من المشكلات في الفترة التي سبقت أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات . ولقد وضع هذا الدولتين في إطار خالفا لغيرهم من الدول ذات السيادة ولاعبي الأدوار على الساحة العالمية ؛ حيث إن الفجوة بين كلتا الدولتين وغيرهما من دول العالم يعترف بها الفاصل والداني .

لقد صيغت كل العلاقات الدولية بوجهها الودي والعدائي انطلاقا من هذه المواجهة العالمية بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي ؛ ففي أي مكان من العالم كانت أي دولة تتعرض للإهانة أو الانتقاد من جانب حلفاء إحدى الدولتين العظميين تسارع بطلب العون الاقتصادي والسياسي والعسكري من الجانب الآخر . وهذه السياسة التي تقوم على إشعال المواجهة مع أصدقاء العدو أوضحت بشكل كبير الصورة العامة للعلاقات الدولية ، وجعلت من السهل التنبؤ بتصرف أي من الدولتين إزاء مواقف إقليمية معينة .

إلا أن انهيار الاتحاد السوفيتي قد غير بشكل جذري من الواقع الإستراتيجي والجغرافي ... فقد أصبح على الولايات المتحدة أن تعيد النظر في منظومة علاقاتها الدولية بعد أن أصبحت تحتل مركز الزعامة العالمية في الظروف العالمية الجديدة؛ فمن ناحية تمتلك الولايات المتحدة كل المقومات كى تصبح الدولة العظمى الأول وانبثقت أمامها إمكانيات هائلة جديدة فلم يعد يُورقها منافس أو عدو ذو وزن ، كما أنها تتمتع بالتفوق على كل منافسيها الرئيسيين في القارات جميعها في المجال العسكري وفي معدل النمو الاقتصادي . ومن ناحية أخرى ، اختلفت لدى الولايات المتحدة ميزة الحصول على عملاء وحلفاء جدد ، وفي مقابل ذلك اهتمت بقبول أصدقاء روسيا السابقين تحت وصايتها ، واختفى بشكل عام نظام الثانية القطبية الذي سيطر على العالم لفترة من الزمن .

إن مفهوم السباق بين القطبين اختلف بسرعة وبشكل جذري ، وظهر بدلا منه ما يسمى بـ «فرض النظام» في هذا العالم الذي صار أكثر فوضى ، واختفت إمكانية

حدوث تهديدات بأزمات عالمية على غرار أزمة الكاريبي ، إلا أن الأزمات الإقليمية توالت تباعا : الخليج العربي ، والصومال ، وهaiti ، ورواندا ، والبوسنة ، وحول تايوان ، وفي كوسوفو .

وترى الولايات المتحدة الأمريكية أن الصفة الرئيسية والجديدة التي تميز هذه الأزمات أن المعاكس الرئيسي لها في كل أنحاء العالم وهي روسيا ، فقد خسرت في حقيقة الأمر مع مطلع القرن الحادى والعشرين كل حلفائها الإقليميين ، وأصبح من العسير - بل ومن المستحيل - أن تقوم روسيا بدور ونشاط سياسى فعال في المناطق البعيدة ، ليس فقط بسبب الضعف الشديد الذى تتعرض له بل لأن طاقتها الأكبر يجب أن تنفق في إطار كومونولث الدول المستقلة ؛ حيث تبحث خمس عشرة دولة ذات طابع حضارى شرق أوروبى عن طريق للبقاء على قيد الحياة في خضم التحولات الجذرية التي تمر بها . ولأول مرة منذ عام 1917 يطرح التساؤل التالي نفسه: هل وحدة الشرق السلافي حقيقة واقعة فعلا ؟ وإلى أى حد تحققت هذه الوحدة ؟ وما هي قدرات أوراسيا ؟

والأرقام والإحصاءات بهذه الصدد لا تبعث على الأمل ؛ ففي عام 1900 كان عدد معتنقى المذهب الأرثوذوكسى يقارب 8,5٪ من سكان العالم ، في حين بلغ هذا العدد 6,1٪ عام 1995 وطبقاً للتنبؤات فإنه من المتوقع أن يهبط هذا العدد إلى 4,9٪ مع حلول عام 2025 . وفي عام 1980 بلغ حصيلة ما تنتجه دول الفضاء الأرثوذوكسى 16,4٪ من إجمالي الناتج العالمي ، وهبطت هذه النسبة إلى 6,2٪ عام 1992 . وقد بلغ تعداد قوات هذه الدول مجتمعة في بداية التسعينيات 15٪ من تعداد قوات دول العالم أجمع ومع مطلع القرن الحادى والعشرين فقدت دول حلف وارسو والاتحاد السوفيتى تفوقهما على الغرب في مجال الأسلحة التقليدية فيما أخذت القوات النووية الإستراتيجية في روسيا تتعرض للشيخوخة أمام أعين الجميع يوماً بعد يوم ؛ إذ لم يتم تحديث القوات النووية الإستراتيجية الروسية سوى مرة واحدة فقط خلال التسعينيات وتحديداً عام 1998 بمجموعة من الصواريخ النووية المحمولة .

إلا أن روسيا في حقيقة الأمر ما تزال تتزعم هذه المنطقة وما تزال تقودها على الرغم من افتقاد هذه المنطقة لنظام داخلي قوى . وبالرغم من الضعف والانهيار الواضح فإن روسيا تحاول أن تتحاور وتتفاوض مع الولايات المتحدة نيابة عن تلك الدول التي تجمعها بها أواصر حضارية تماما كما ترى الولايات المتحدة في نفسها زعيمة للحضارة الغربية ، وتحدث وبالتالي نيابة عنها .

ومع مطلع الألفية الجديدة خرجت روسيا وأمريكا على العالم بثلاثة أنواع من المشكلات الإقليمية أو ثلاث حلقات من العلاقات الجديدة التي تشكلت بعد الحرب الباردة . الحلقة الأولى تمثل سلسة معقدة من المشكلات حول الدور الجديد للصين والمرتبطة بشكل أو باخر بمسألة ضرورة التكيف والتآقلم مع الزعيم الاقتصادي والسياسي الجديد في قارة آسيا . والحلقة الثانية من المشكلات تتناول ماهية الاتجاهات الخاصة بإمكانية حركة الجذب والطرد داخل حدود كومونولث الدول المستقلة ؛ حيث تخسر روسيا مواقعها ، وتحاول واشنطن أن تحل محلها .

والحلقة الثالثة والأخيرة من المشكلات وتمثل في الصدام الدورى بين روسيا وأمريكا ، والذي يحدث بين فترة وأخرى في مناطق العالم النامي . وستتناول الأشكال الثلاثة للصدامات الإقليمية بالشرح والتحليل على التوالي .

المثلث العظيم

هناك أمران على الساحة السياسية الخارجية يشغلان اهتمام روسيا في مطلع القرن الحادى والعشرين وهما: أولا: سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية على العالم ولمدة عشرين عاما على أقل تقدير ، وثانيا: النمو المفاجئ والجذري للجار الآسيوى الكبير الصين ، وذلك على جميع المستويات السياسية والاقتصادية والعسكرية . وبالتالي فقد كتب على روسيا أن تعيش فى عالم يؤثر فيه عداءها لإحدى القوتين (أو لكليهما) سلبيا على الظروف الخارجية للتطور الروسي . وفي نفس الوقت فإن تمنى الخير والنجاح لكلا القوتين سواء للقوة المسيطرة (أمريكا) أو للأخرى الآخذة فى النمو (الصين) أصبح أكثر صعوبة لا سيما أن أهداف كل من أمريكا والصين آخذة فى التباعد والتنافر أكثر فأكثر ؛ فأمريكا عازمة على عدم السماح بترك زعامة شرق آسيا

في يد الصين، كما أن الصين ترى نفسها الزعيم الأوحد في هذه المنطقة ، ولا ترى نفسها مستقبلا خارج هذا الإطار .

ونتيجة لذلك فقد وجدت روسيا نفسها بين فكي هاتين القوتين ، والتي سيلعب التفاهم أو التباعد بينهما دوراً محورياً وعاملأً مهماً في منظومة العلاقات الدولية في العقود الأولى من القرن الحادى والعشرين . وعلى ذلك فلزاماً على روسيا أن تلعب دوراً مزدوج الأهداف : عدم التعامل بعنف مع أى من القوتين ومحاولة الإفادة من التناقضات الحاصلة بينهما وضمان مقعد «السعيد الثالث» ، الذى يملك تصريح مرور للإفادة من مصادر التقدم التكنولوجى ورءوس الأموال الحرة وأغنى الأسواق العالمية .

ومهمة أمريكا أيضاً محددة وتمثل في عدم السماح بأى تقارب يحدث بين عملاقى أوراسيا ، وتحاى أى اتحاد يمكن أن يقوم بين العملاق السكاني الصيني وروسيا الدولة ذات القدرة الإستراتيجية الهائلة . وفي نفس الوقت عدم التخلى عن مواقفها وقواعدها في شرق آسيا ، حيث مركز ومستقبل النهضة الاقتصادية العالمية .

لعبة قديمة في ظروف جديدة

بدأت اللعبة الدبلوماسية في إطار هذا المثلث عندما نجح هنرى كيسينجر في إعادة العلاقات الدبلوماسية بين أمريكا والصين ، وحقق بذلك نجاحاً سياسياً هائلاً؛ حيث جاءت هذه الخطوة في وقت كانت فيه واشنطن وبكين على اعتاب مواجهة عنيفة . وفي الفترة من ١٩٧٢ - ١٩٨٩ قامت الإدارات الأمريكية على التوالى بالتقرب مع جمهورية الصين الشعبية مستغلة ذلك للتأثير سلباً على مواقف الاتحاد السوفيتي المنافس الرئيسي آنذاك . وبدأ الموقف يتغير مع نهاية الثمانينيات ، عندما أخذ التوتر بين الاتحاد السوفيتي والغرب يذوب بسرعة فانقة ، في الوقت الذي وجه الشيوعيون الصينيون دباباتهم لمحاصرة الطلاب وضرب ثورتهم في ميدان تيانانمين (السلام السماوى) . وحدث التقارب بين واشنطن وموسكو في هذه الفترة التاريخية عندما أصبحت سرعة واطراد التطور الاقتصادي العسكري الصيني تثير مخاوف متزايدة لدى الغرب : مما عساه يكون برنامج السياسة الخارجية لتلك الإمبراطورية الجديدة . أصبح هذا السؤال يورق الغرب أكثر فأكثر .

لقد تكشفت أمام الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا حقيقة مهمة مفادها أن العالم الكونفوشيوسي لتلك الدولة القارة والمجتمعات الصينية في الدول البعيدة وكذلك الثقافات وثيقة الصلة في كوريا وفيتنام بـأ عمليه بناء شرق آسيا على أساس الجوهر الحضاري (مذهب كونفوشيوس في فهم الحياة والتعامل معها) وذلك خلافاً للأساس الذي قامـت عليه الرأسمالية والشيوعية؛ فـهـذه المنطقة تمثل مزيجاً عجيباً في استخدام التكنولوجيا الحديثة والأيديـالـعـاملـةـ الكـادـحةـ مع احـترـامـ التقـاليـدـ والنـموـ المـطـردـ للـوعـىـ والـفـكـرـ .

ويحاول المحللون الأمريكيون حالياً مقارنة نهضة الصين بالنهضة الألمانية التي حدثت في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، تلك النهضة التي أدىـتـ إلىـ عدمـ استقرارـ النظامـ العالميـ كـكلـ . وـتـرىـ الـولـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ الـأـمـرـيـكـيـةـ منـ وـاجـبـهاـ تـدعـيمـ وـتعـزـيزـ وـالـإـبـقاءـ عـلـىـ حـالـةـ التـعـدـديـةـ الـقـطـبـيـةـ السـانـدـةـ فـيـ أـورـاسـياـ ، وـهـىـ الـمـنـطـقـةـ الـوـحـيدـةـ الـتـىـ تـفـوقـ قـدـرـاتـهاـ مجـمـعـهـ الـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ الـأـمـرـيـكـيـةـ ، وـيـسـكـنـهـاـ ٧٥ـ%ـ مـنـ سـكـانـ الـعـالـمـ وـتـنـتـنـعـ ٦٠ـ%ـ مـنـ إـجـمـالـىـ النـاتـجـ الـعـالـمـىـ وـ٧٥ـ%ـ مـنـ مـصـادـرـ الطـاقـةـ الـعـالـمـيـةـ . وـعـلـىـ المـدـىـ القـصـيرـ وـفـيـ إـطـارـ مـلـثـ الصـينـ -ـ أـمـريـكاـ -ـ رـوـسـياـ ، فـبـانـ مـهـمـةـ واـشـنـطـنـ الـأـسـاسـيـةـ أـمـسـبـحـتـ تـنـمـيـةـ فـيـ تـحـاشـىـ ظـهـورـ أـىـ تـحـالـفـاتـ مـعـادـيـةـ مـنـ شـائـنـهاـ أـنـ تـبـعـثـ عـنـ شـراـكـةـ مـعـ تـلـكـ الدـوـلـ الـتـىـ تـتـصـفـ بـوـزـنـ وـنـهـجـ سـيـاسـيـيـنـ يـمـكـنـ الإـفـادـةـ مـنـهـاـ لـلـحـيلـلـةـ دـوـنـ قـيـامـ أـىـ اـتـحـادـ أـوـ تـحـالـفـ روـسـيـ صـينـيـ متـوقـعـ _ـ أـماـ عـلـىـ المـدـىـ الطـوـلـيـ فإنـ واـشـنـطـنـ سـتـحـاـلـ تـحـاشـىـ قـيـامـ وـحـدهـ آـسـيـوـيـةـ أـورـيـةـ تـكـونـ عـلـىـ حـسابـ شـراـكـةـ أـمـريـكـيـةـ مـأـمـوـلـةـ مـعـ الصـينـ زـعـيمـ الـقـدـمـ الـاـقـتـصـادـيـ فـيـ أـورـاسـياـ .

ولـكـ ماـ الـذـىـ يـمـكـنـ أـنـ يـؤـثـرـ سـلـبـاـ عـلـىـ مـوـاـقـفـ وـمـكـانـةـ الـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ فـيـ هـذـاـ المـلـثـ الـعـالـمـ ؟ـ إـنـ أـمـ شـيءـ فـيـ الـوقـتـ الـعـالـىـ يـمـكـنـهـ التـأـثـيرـ سـلـبـاـ عـلـىـ مـكـانـةـ وـمـوـقـعـ واـشـنـطـنـ هوـ إـمـكـانـيـةـ انـهـيـارـ الـعـلـاقـاتـ مـعـ الصـينـ ، وـهـوـ أـمـرـ وـارـدـ خـصـوصـاـ عـلـدـمـاـ يـتـعـرـقـ الـحـدـيثـ إـلـىـ الـمـحاـورـ التـالـيـةـ :

- ١- أزمة تايوان .
- ٢- مشاعر الغضب الداخلى فى الصين تجاه الغرب ، والتى تصل إلى حد الثورة ضد كل ما هو غربى .
- ٣- الخلاف اليابانى الأمريكى ، والذى يمكن أن يؤدى إلى تقارب صيني - يابانى .
- ٤- سعى روسيا الغاضبة المفتقدة لأسلوب مناسب مقبول للتعامل مع الغرب للبحث عن شراكة جيوبوليتيكية مع علماق آسيا النامى .

والفكرة كلها تكمن في أن روسيا والصين على وجه التحديد يعلنان صراحة ودون مواربة شكوكهم حول جدوى نظام الأحادية القطبية وسياسته التي تود الولايات المتحدة فرضها. علاوة على ذلك فإن روسيا والصين وحدهما لديهما الإمكانيات التي تعوق استقرار وبقاء نظام من هذا القبيل . ومرجع هذا التفاهم المتبدال بين روسيا والصين تاريخيا يعود إلى تجربة الفترة من ١٩٤٩ - ١٩٥٨ ، تلك الحقبة التي شهدت إنشاء مجمع الحديد والصلب في مدينة أوهان وأول مصانع سيارات صينية . لقد قامت روسيا بتقديم المساعدة القصوى لبناء الصناعة الصينية وخبرة الخمسينيات بين الأخوة في الصين وروسيا عندما تحدوا حلف الأطلسي ، وأوقفوا الولايات المتحدة عند حدتها في الهند الصينية وكوريا ، وهذه التجربة يمكن أن يعاد الإفادة منها من جديد . وتتابع واشنطن بمثابة ردأى تطورات وعمليات تتلاقى فيها مصالح تلك الدولتين العظيمتين ، الأمر الذى يمكن أن يؤدى إلى تنام مطرد ومتوازن في كل منهما؛ فليس من مصلحة روسيا أن ترى انهيار الصين ، وليس من مصلحة الصين رؤية انهيار اتحاد كومونولث الدول المستقلة ، بل على العكس فعندما يصبح هؤلاء الجيران أقوىاء بإنجاز التحديث الشامل يكون باستطاعتهم دعم التحديث في الصين على أساس عامل الجوار .

واشنطن والشراكة الإستراتيجية بين موسكو وبكين

في مايو ١٩٩٧ قام الرئيس الروسي بوريس يلسين بإعلان دعم العلاقات مع الصين كإجراء مضاد لخطة توسيع حلف الناتو تجاه الشرق ، وقام الرئيس الصيني

زيان زيمين بزيارة موسكو في سبتمبر ١٩٩٤ ومايو ١٩٩٥ وأبريل ١٩٩٧ وديسمبر ١٩٩٨ ، كما قام رئيس الوزراء الصيني لي بين بزيارة موسكو في يونيو ١٩٩٥ وديسمبر ١٩٩٦ ، وقام تشو جوانزى الذى تولى رئاسة الوزارة بعد لي بين، بزيارة أيضاً إلى روسيا في عام ١٩٩٨ . وأجرى عدد كبير من اللقاءات بين وزراء من البلدين في مختلف المجالات ، وأعرب الجانبان عن تمسكهما « بشراكة استراتيجية تقوم على المساواة والثقة المتبادلة والتنسيق الدائم كما تم حل مشكلة ترسيم الحدود بين البلدين ، وأعلنت الصين رسمياً أن الأحداث في الشيشان تعد شأنًا داخلياً روسيًا ، ولم ترحب بتوسيع الناتو ، وأيدت فكرة انضمام روسيا إلى اتفاقية التعاون الاقتصادي لدول آسيا والمحيط الهادئ . ومن ناحيتها لم تقم روسيا أى علاقات رسمية مع جزيرة تايوان ، كما اعترفت بأحقية الصين في إقليم التبت وأقرت أنه جزء لا يتجزأ من الدولة الصينية . وتم توقيع اتفاقية تعاون عسكري بين البلدين ، كما تضاعف حجم التبادل التجارى بين البلدين ، من ٣,٨ مليار دولار عام ١٩٩٤ ووصل إلى ٨ مليارات دولار في عام ١٩٩٧ ، وأصبحت روسيا تحتل المرتبة الثالثة في الشراكة التجارية مع الصين بعد أمريكا وألمانيا ^(٢) ، والمستهدف حالياً الوصول بحجم التبادل التجارى بين البلدين في العامين القادمين إلى ٢٠ مليار دولار .

إن فكرة التحالف بين عملاقى أوروبا وأسيا تلقى في الصين تأثيراً متزايداً في أوساط ذوى النفوذ والتأثير . وفي الوثائق السرية الصينية نقرأ أن روسيا بالرغم من المصاعب المؤقتة التي تتعرض لها فإنها ستظل كما كانت في السابق قوة عظمى صاروخية ونووية ، وواحدة من القلائل الذين يستطيعون معارضنة الولايات المتحدة في السياسة العالمية . وينظر الصينيون إلى العامل الروسي على أنه شرط أساسى لتحقيق الصين أهدافها الإستراتيجية على الساحة الدولية . ويرى مركز الصين للأبحاث الإستراتيجية أن « تطوير التعاون السياسي والعسكري والتكنولوجي مع روسيا سيدعم ويعضد المواقف الصينية الدولية على امتداد القرن القادم ويعندها القدرة على النصر ». ولقد قامت كل من الصين وروسيا بالعمل معاً لصياغة سياسة مشتركة فيما يتعلق بقضية كوسوفو والعراق .

ويعتقد مؤلف كتاب «الصين والإستراتيجية الكبرى» - والذي صدر في عام ١٩٩٧، وحظى باهتمام كبير - أن الصين يجب عليها أن تمضي قدماً لتحقيق تعاون مع روسيا في كل المجالات (بما فيها العسكرية) ، ويرى أنه على المستوى السياسي تتطابق مواقف كلتا الدولتين فيما يتعلق بجميع القضايا الدولية الكبرى . ويصل مؤلف الكتاب إلى نتيجة مفادها أن تدعيم الصين للتعاون والتقارب مع روسيا من شأنه أن يؤدي إلى دعم مواقف الصين ونجاحها في صراعها مع منافسيها العالميين . ويصف السيد لو نانتسيوان نائب مدير مركز الدراسات الروسية التابع لأكاديمية العلوم الصينية الموقف قائلاً : «إذا تعرضت العلاقات الإستراتيجية التي تقوم على الشركة بين الدولتين لأى تأثير خارجي بفعل التغيرات على الساحة الدولية . كأن تقوم الولايات المتحدة - على سبيل المثال - بالضغط الشديد على كل من الصين وروسيا فإن هذه العلاقات ستزداد قوة . أما إذا لم تقم أمريكا بالضغط على أى من البلدين أو قامت بالضغط على إحداهما منفردة فإن هذه العلاقات ستعرض للضعف» .

إن واشنطن تستشعر الأهمية التاريخية لما يحدث بين البلدين ، وترى صحيفة واشنطن تايمز أن التقارب بين روسيا والصين هو الطريقة الرخيصة وغير المكلفة لبث مشاعر الخوف لدى الولايات المتحدة ... أما الهيمنة الأمريكية العالمية فعلى الرغم من أنها تعوق التقارب الشامل بينهما إلا أنها في الوقت ذاته تجبرهم على التعاون في مجالات وقضايا معينة ذات الاهتمام المشترك ^(٢) .

وتضع الولايات المتحدة كلاً من الصين وروسيا في طليعة الدول ذات النفوذ الإقليمي والتي تحظى بالأولوية والأسبقية في سياستها ؛ فقد أعلن وزير الخارجية الأمريكية الأسبق وارين كريستوفر في نوفمبر ١٩٩٣ وأمام لجنة العلاقات الدولية بمجلس الشيوخ أن «منطقة شرق آسيا والمحيط الهادئ تمثل بالنسبة للمصالح الأمريكية أهمية لا تحظى بها أى منطقة أخرى في العالم» ^(٤) ، ويريد هذه الفكرة في جامعة جون هوبكينز المستشار الأسبق للرئيس بيل كلينتون في حملته الانتخابية؛ حيث يرى «أنه بعد انتهاء الحرب الباردة أصبحت كل من الصين وروسيا هما الدولتان الأهم بالنسبة للولايات المتحدة . وتكمن عوامل هذه الأهمية في مساحة كل منهما

وقدراتهما الاقتصادية والعسكرية . ولا يقل عن ذلك أهمية بالنسبة للسياسة الخارجية لأمريكا ، وإن كان أقل وضوحاً حقيقة ، وبغض النظر عن التناقضات المهمة بين كلتا الدولتين فإن كلاً منها بثقله النwoي وتاريخهما الشيوعي والأرثذوكسي يمثل تحدياً قوياً بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية^(٥) . ولقد رحبت الولايات المتحدة بتحسين العلاقات بين الصين وروسيا إبان أول زيارة رسمية يقوم بها وزير الخارجية الروسي كوزيريف إلى الصين في مارس ١٩٩٢ . وقد قام الرئيس الصيني زيان زيمين بعد ستة لقاءات شخصية مع الرئيس الروسي بوريس يلتسين أسفرت جميعها عن نتيجة أساسية مضمونها أن التعددية القطبية في العالم تنمو وعلى نحو سريع ، إلا أنه وبعد الإعلان عن الصفقات العسكرية الضخمة بين البلدين في ١٩٩٤ بدأت واشنطن في الإعلان عن مخاوفها . وبعد الزيارة الرسمية التي قام بها إلى موسكو الرئيس الصيني في سبتمبر ١٩٩٤ وتطوير فكرة الشراكة الإستراتيجية بين موسكو وبكين بدأ بعض موظفى الحكومة الأمريكية في إظهار مخاوفهم إزاء جوهر وأهداف السياسة الصينية تجاه روسيا ، تلك المخاوف التي أخذت تتنامي مع مرور أعوام على إقامة هذه الشراكة ومع تطورها^(٦) .

ورداً على سياسة الصين التوسعية في حدود جيرانها المحبيطين بها يقترح الخبراء الأمريكيون الالتزام بسياسة ضبط النفس في العلاقة بالصين^(٧) ، كما أنهم يدرسون إمكانية الالتزام بنفس السياسة وفي نفس الوقت تجاه روسيا المريضة ؟ فمن ناحية من المنطقى عدم مواجهة علماً في مثل هذا الحجم وفي وقت واحد ، إلا أنه ومن ناحية أخرى فإن هذا سيعطى أساساً عقلياً ومبرراً لسياسة الهيمنة العسكرية الأمريكية على العالم ، وهو الأمر الضروري لتشكيل رأى عام وتمرير الميزانية العسكرية في الكونجرس الأمريكي .

وفي الوقت الحالى فإن هناك ثلاثة عوامل أو ثلاثة ظروف تعوق ترجيح روسيا لخيار أوراسيا على خيار الجنوح نحو الغرب .

أولاً : أن الحكومة الروسية تعلم تماماً حجم التضحيات التي يمكن أن تتكبدها إذا قامت بكين بتفصيل واشنطن يوماً ما ؛ ففي سنة ١٩٩٦ كان حجم التبادل التجارى

بين روسيا والصين يمثل ٦,٥ مليار دولار في حين بلغ حجم التجارة بين روسيا ودول منظمة التنمية والتعاون الاقتصادي ٧٠ مليار دولار^(٨). وشملت صادرات الغرب إلى روسيا منتجات معقدة تكنولوجيا وضرورية لروسيا. إن الغرب على وجه التحديد وليس الصين أو الهند يمكنه أن يقدم لروسيا قروضاً ومنحها استثمارات كما أن تحويل التوجه نحو الصين أو الهند يمكن أن يكلف الاقتصاد الروسي الضعيف ثمناً غالباً. ولأن من السهل على روسيا الإعلان عن خطط خيالية وذلك دون تحقيق أي منها .

وثانياً : فإن البنوك ورؤساء كبريات الشركات الروسية أسسوا لوبىًّا غربيًّا من نوع خاص في روسيا من الصعب على مناصري التوجه الاستراتيجي نحو آسيا أن يتتجاوزه أو أن يقضوا عليه . إن اللوبي الروسي من الموظفين ورجال الأعمال المناصرين للتوجه الغربي يؤمن التحرك لمصلحة اندماج روسيا للمنظمة الاقتصادية التي تدار من قبل الولايات المتحدة الأمريكية^(٩) .

وثالثاً : إصرار الولايات المتحدة الأمريكية والغرب بشكل عام على عدم السماح للمصالح الروسية بالتلغلل في آسيا . وأمريكا ما زالت لديها الكثير من الوسائل التي لم تستنفذ بعد؛ فواشنطن تتذكر جيداً ما حدث عام ١٩٤٩ ، وهي على استعداد لعمل أي شيء لتحاشي تكرار ذلك . على أنه لو بدأت الظروف الاقتصادية في روسيا في التحسن وبدأ الشعب يرى وعياناً من الأمل ، فإن قادة روسيا سيكون لديهم عندئذ فرصة لتحقيق سياسة خارجية متوازنة مع الجانبيين في إطار التحرك المستمر نحو الغرب أما إذا لم يتمكن الاقتصاد الروسي من التعافي واستمر انخفاض مستوى المعيشة في روسيا فإن تحقيق هذه الدرجة من السياسة المتوازنة مستبعد تماماً^(١٠) .

تجارة الأسلحة

يعد محور روسيا الصين واحداً من محاور المثلث الاستراتيجي العظيم ، ولقد وجد هذا المحور الأساس الموضوعي للتعاون العسكري المتبادل ؛ ففي فترة التسعينيات أصبحت الصين السوق الرئيسي للأسلحة الروسية ؛ حيث بلغت نسبة الواردات العسكرية الصينية من الأسلحة الروسية ما يعادل ٢٦٪ فمن ناحية تعتبر الصين

الصناعة العسكرية الروسية الصناعة الرئيسية بالنسبة لها وامتلاكها ١٤٠ مليار دولار من الاحتياطي القومي النقدي فإن الصين بقدرتها شراء أي تكنولوجيا توافق روسيا على بيعها . ومن ناحية أخرى (وكما يعتقد السفير الأمريكي الأسبق في بكين جيمس ليلي) فإن شراء الصين من روسيا أسلحة بهذه الجودة وتلك السهولة «تعد فرصة لا تتكرر إلا مرة كل مئة عام» . وقد بلغ حجم صادرات الأسلحة الروسية إلى الصين في ألف ١٩٩٤ - ١٩٩٨ رقماً هائلاً بلغ ٦.٥ مليار دولار . فقد تلقت الصين من روسيا ٧٢ مقاتلة من طراز سوخوي - ٢٧ وخمسين دبابة تي - ٧٢ وثلاثمائة صاروخ من طراز «أرض جو»، اس - ٣٠٠ وست غواصات ، كما أن الاتفاقية التي وقعت في عام ١٩٩٦ تشتمل على قرارات بنقل تكنولوجيا أكثر حداة إلى الصين ، جزء منها لم يتم استخدامه في تسليح الجيش الروسي نفسه . إن بيع روسيا للصين طائرات وغواصات وصواريخ «أرض جو» وعدد من الدبابات سيحول الصين إلى زعيم عسكري إقليمي لا يمكن تحديه . إن المساعدات العسكرية والاقتصادية الروسية ستسمح للصين في خلال عشر سنوات بانتاج ١٥٠ طائرة سو - ٢٧ خاصة بها ، وهي طائرة صممت خصيصاً لمواجهة المقاتلات الأمريكية من طراز اف - ١٥ واف - ١٦ والتي باعتها أمريكا لไตابوان .

لقد تطابقت المصالح الروسية الصينية في هذا المجال فقد استغلت روسيا الفرصة لإنقاذ صناعتها العسكرية الضخمة والجبارية . وفي الوقت الذي تعثرت فيه روسيا بدت الصين دولة قوية . تستغل خبراتها في اختراق الأسواق الغنية في العالم (أمريكا واليابان في المقام الأول) فضلاً عن استغلالها لقدراتها وخبراتها في الاقتباس والتقليد . وروسيا يمكنها الإفادة واقتباس الكثير أيضاً وامتلاك القدرة على تصنيع الأجهزة الإلكترونية والمنزلية والآلات البصرية . إن كل المنتوجات الصينية لقيت انتشاراً واعترافاً في السوق الروسية ؛ فإذا أصبحت الصين العملاق الاقتصادي - وحالياً العسكري الأكبر في أوراسيا فإن هذا سينعكس بشكل جذري على ميزان القوى العام في العالم .

موضوعية التقارب

ليس هناك من شك في أن التقارب الروسي الصيني يكتسب أهمية ضخمة بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية . وليس هذا بمستغرب أن تسعى أمريكا بشكل حثيث للتأثير على التفاهم الروسي الصيني في المجال العسكري ، وأن تحاول الإبطاء من عملية تسليح روسيا للصين وجذب اهتمام روسيا بعيداً عن سياسة تشكيل عالم متعدد الأقطاب في مواجهة عالم القطب الأمريكي الواحد .

إن التقارب مع الصين تعد القضية الإقليمية الرئيسية التي تباعد بين روسيا وأمريكا ؛ فالجانب الأمريكي لا يعترف بحق الصين في السيادة على جزيرة تايوان والتبت في حين أن روسيا تعترف بهذا الحق . والولايات المتحدة مستعدة ل القيام بعمل عسكري في سبيل الحفاظ على سيادة تايوان ، وهي تخشى التنازع السياسي والعسكري العطّرد للصين في منطقة شرق آسيا ، في حين أن روسيا تدعم هذا النمو .

ويرى السيد أم . ماند يلباوم «أن التناقضات والخلافات الحادثة بين الولايات المتحدة من ناحية روسيا والصين من ناحية أخرى تتبع من حقيقة أن كلتا الدولتين روسيا والصين تنتهيان إلى الدول التي تتحوى قوميات كثيرة مختلفة ، وفي كل منها هناك مجموعة عرقية غالبة ، وتمثل الأقليات نسبة قليلة من العدد الكلي للسكان ، إلا أن هذه الأقليات تملك من الوعى القدر الكافى للتعبير عن عدم رضاها بل والتمرد على الحاكم»^(١١) . على سبيل المثال الشيشان فى روسيا وسكان التبت فى الصين . وهؤلاء جميعهم يلجأون إلى الولايات المتحدة التى لا تعترف حكومتها باستقلال هاتين المنطقتين - وهو الأمر الذى تسعى إليه تلك الشعوب الصغيرة . إلا أن أمريكا لا يمكنها تجاهل ما يحدث ، وهذا يمثل أهم عامل من عوامل الضيق والإثارة داخل المثلث الإستراتيجي العظيم : أمريكا - روسيا - الصين .

والجديد في هذا المثلث أن حكومات كل من روسيا والصين - والذين اشتهروا بالقوة والمركزية - أصبحوا أقل تأثيراً وأضعف نفوذاً ، وهذا التحول الذى طرأ على تقليد ساد لأمد طويل سيخلق بين الولايات المتحدة وكل من روسيا والصين موقفاً يمكن أن يسمى «نحن وهم» . وعندئذ لن يكون من السهل على الوعى الأمريكي أن

يقبل بفكرة أن أعداء الأمس يهددون حاليا ووضع أمريكا المستقر ليس من منطق القوة بل من منطق ضعفهم . و بتعبير آخر فإن ضعف السيطرة على الأسلحة النووية يمثل خطورة بالنسبة لروسيا ليست أقل منها بالنسبة لأمريكا ، إلا أن الأمريكيين الذين يعيشون ظروفًا جيدة يشعرون بهذه المشكلة على نحو أكثر حدة .

إن الكثير من الأمريكيين يعتقدون أن الصين لن تصبح دولة عظمى في القريب مهما بلغت مؤشراتها الاقتصادية في الارتفاع . وقد يكونون قد أخطأوا في هذا التقدير، وبذلك يكونو قد منحوا فرصـة كبيرة لموسكو . فالأغلبية العظمى من الطبقة العليا في أمريكا ليست مستعدـة لاعتبار التحرر الاقتصادي الداخلى في الصين شأنـا صينـيا داخلـيا وليسـت مستـعدـة أيضاً لتسليم تـايوـان، كما أنها ليست مستـعدـة لهـيمنـة الصينـ علىـ المـنـطـقـة أوـ لـأـى دورـ وـسـيـط تـلـعـبـه دـولـة اليـابـانـ القـوـيـةـ وهـيـ الـقـوىـ الـمـحـمـيـةـ الـأـمـريـكـيـةـ فـيـ المـنـطـقـةـ . إنـ هـذـاـ سـيـلـزـمـ بـكـيـنـ تـبـحـثـ عـنـ دـعـمـ ماـ يـعـطـيـ فـرـصـهـ لـرـوسـياـ وـيـجـعـلـ التـعاـونـ الـرـوـسـيـ الـصـينـيـ صـنـدـ عـالـمـ الـقـطـبـ الـأـوـحـدـ أـمـراـ وـاجـبـاـ وـطـبـيعـاـ ،ـ وكـماـ يـعـقـدـ الـبـاحـثـ الـأـمـريـكـيـ «ـفـإـنـ رـوـسـياـ وـالـصـينـ قـدـ تـعـبـاـ مـنـ اـعـدـاءـ الـلـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ عـلـىـ مـنـاطـقـ نـفـوذـ كـلـ مـنـهـماـ»⁽¹²⁾ـ.

تعدد الأوجه

غير أن الموقف في إطار المثلث الصيني الروسي الأمريكي هو موقف ذو دلالات متعددة ، وكما يرى العديد من السياسيين الأمريكيين - بجزينسكي على سبيل المثال - فإن التأثير الصيني المتزايد في آسيا الوسطى سيضعف من إمكانات روسيا في تلك المنطقة . وفيما يتعلق بهذا الموضوع فإن هناك مجموعة من التناقضات الكبيرة بين الطرفين يمكن أن تجد فيها الولايات المتحدة والصين منطـقاـ لـسـيـاسـةـ متـشـائـمـينـ جـداـ فـيـ هـذـاـ الصـدـدـ وـمـنـهـ السـيـدـ جـونـ هـيلـلـينـ الـذـيـ يـعـملـ فـيـ مـجـلـسـ الـعـلـاقـاتـ الـدـولـيـةـ ؛ـ حـيـثـ يـقـولـ «ـأـحـيـاناـ تـجـرـىـ رـوـسـياـ وـالـصـينـ نـقـاءـتـ عـلـىـ أـعـلـىـ مـسـتـوىـ تـحـتـ شـعـارـ (ـالـشـرـاكـةـ الإـسـترـاتـيجـيـةـ)ـ إـلاـ أـنـ هـذـهـ اللـقـاءـتـ إـمـاـ أـنـهاـ لـاـ تـؤـتـيـ بـأـىـ ثـمارـ وـامـاـ أـنـهاـ تـؤـتـيـ بـنـتـائـجـ غـيرـ ذاتـ معـنىـ»⁽¹³⁾ـ.ـ إنـ الـصـينـ الـمـتـنـاـعـةـ الـقـوـيـةـ مـنـ الـمـمـكـنـ أـنـ تـرـىـ

في المستقبل في أمريكا شريكاً إستراتيجياً طبيعياً حتى لو كان ذلك نابعاً من تصور أنه (خلافاً للإبان وروسيا) فإن الولايات المتحدة الأمريكية لا تملك أى خلافات إقليمية مع الصين . وفي الصين يدركون جيداً أنه بدون واشنطن لن يتتوفر تدفق الاستثمارات الضروري للاقتصاد الصيني .

ومن المميز أيضاً تأثير الهند العملاق الآسيوي الثاني على هذا المثلث الإستراتيجي ، فالقوات المسلحة الهندية مدعة بأسلحة روسية بما نسبته ٧٥٪ وقد استوردت الهند في الفترة من ١٩٩٠ وحتى ١٩٩٦ من روسيا ما قيمته ٣,٥ مليار دولار من الأسلحة . (بمعدل سنوي ٨٠٠ مليون دولار) وقد اعتمدت الهند خطة لشراء أسلحة روسية حتى عام ٢٠١٠ . ويولى الأمريكيون اهتماماً خاصاً بعلاقة الهند مع دول المثلث العظيم ؛ فبدون المساعدة السياسية من جانب روسيا تبدو الهند محاصرة بالتعاون الصيني الباكستاني . وتأمل واشنطن - وهي تضع في الاعتبار هذا التوجه الروسي نحو الهند - المحافظة على الهند كعنصر معارض للصين (في حالة احتدام العلاقة بين الولايات المتحدة الأمريكية وباكستان) . ويخلق هذا النهج تربة جيدة لاحتدام التنافس بين روسيا وأمريكا على بسط النفوذ في الهند . وحتى الآن فإن موقف روسيا بالنسبة للهند يبقى هو الأفضل ، إلا أنه في ضوء استمرار حالة الضعف الروسي فإن الموقف يمكن أن يتغير ضد مصلحة موسكو . وقد تحدث الأمريكيون عن إقامة علاقة عسكرية دائمة مع الهند وتحويل جيشها نحو التسليح الأمريكي في الوقت الذي قامت فيه التجارب النووية الهندية بإعادة مفهوم الحظر الأمريكي للحياة الأمريكية التي كان لها تأثيراً سلبياً على التقارب بين البلدين . وفي هذه المرحلة العرجاء للهند على وجه التحديد قدمت موسكو عوناً حقيقياً وملماساً لها ، وهو الأمر الذي أعطى دفعه قوية للعلاقات بين موسكو ودلهي . وتتنوع الهند شراء وحدات دفاع جوى من طراز اس- ٣٠٠ ومقاتلات سو- MK ٣٠ ودبابات تو- ٧٢ وثلاث فرقاطات وغواصة، وذلك في إطار خطة تعاون عسكري طويلة الأمد مع روسيا تستمر حتى عام ٢٠١٠ .

غير أن أمريكا تأمل على وجه التحديد في أن لا يتحقق تحالف أوراسيا الوسطى والشرقية ، والتي تمثل العدو الرئيسي لها ، وتؤكد - بكل رضا - أن الصين لم تندم

روسيا بشكل مباشر في مواجهة مشروع توسيع الناتو؛ حيث إن الدعم الصريح لروسيا كان سيعني مواجهة مباشرة مع الولايات المتحدة الأمريكية، وهو ما لا يريد الصينيون. إن بكين التي تسعى لانتهاج سياسة خارجية متوازنة في علاقاتها الدولية لا يمكنها أن تقوم بهذه الخطوة التي من شأنها أن تعقد علاقاتها مع أمريكا، كما أنه ليس واضحًا ما إذا تلقت الصين في مقابل ذلك من روسيا. وفي سياق ذلك فإن الظروف التالية ذكرها واضحة للجميع؛ فالصين كانت تود لو تتمكن من الحصول على التكنولوجيا الأمريكية المتقدمة والضرورية لتحقيق القفزة الاقتصادية الهائلة المتوقعة والانضمام إلى قائمة الدول الرائدة في العالم، كما أن روسيا تسعى للانضمام إلى نفس القائمة، ولذلك فإنها تفهم تماماً التحفظ الصيني.

وباختصار شديد يمكن القول إن المحور الصيني يبدو الأهم في دائرة التناقضات الإقليمية بين روسيا وأمريكا؛ حيث يتمتع هذا المحور بأهمية عظمى وآفاق تاريخية. ويتوقف التعاون أو التنافس بين أمريكا وروسيا في القرن الحادى والعشرين على حل هذه القضية؛ إذ يشهد هذا القرن - وبعد انهيار الشيوعية العالمية - عودة العالم إلى منابعه الحضارية.

وتأمل روسيا في تفهم الصين للعمل على مواجهة سياسة الأحادية القطبية. وفي الوقت نفسه فإن أمريكا لم تفقد الأمل في أن ترى في روسيا حليفاً لها في مواجهتها المستقبلية مع منطقة شرق آسيا، وكل من واشنطن وموسكو يرى المخاطر المحتملة. وفي المرحلة الحالية فإن كلتا الدولتين يأملان في تحاشي المواجهة حتى لو استمر كل منهما في اتباع سياسة مختلفة في علاقته بدولة الصين الآخذة في النمو.

فضاء ما بعد الاتحاد السوفييتي

انطلاقاً من وجهة نظر مؤسسة السياسة الخارجية الأمريكية فإن روسيا وحدها لن تستطيع في المستقبل المرئي أن تستعيد لقب القطب الاقتصادي والإستراتيجي المستقل، إلا أن فرص موسكو في استعادة بعض الواقع المهمة تلوح في الأفق إذا أخذنا في الاعتبار عنصر العلاقات الروسية الخاصة مع جمهوريات كومونولث الدول المستقلة.

والحلقة الثانية (بعد حلقة العلاقات الصينية الروسية الأمريكية) من الخلافات الإقليمية بين روسيا وأمريكا تمت إلى فضاء الاتحاد السوفيتي السابق . وهذا النوع من المشاكل ظهر فقط في التسعينيات مع انهيار الاتحاد السوفيتي ؛ حيث قامت الولايات المتحدة بإجراء تحول كبير في سياساتها نتيجة للتحول التاريخي غير المسبوق والمفاجئ الذي حدث في موسكو في ديسمبر 1991 (تفكك الاتحاد السوفيتي إلى جمهوريات مستقلة) . وقبل ذلك وفي يوليو 1991 دعا الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش الأب الأوكرانيين إلى عدم تقسيم الدولة وعدم إعطاء فرصة لقوى الانفصالي لانتصار على الديمقراطية ، وأن لا يهدموا دولة عظمى جمعها من أجل مصالح جزئية ، وفيما بعد وفي عامي 1992 و 1993 قامت الإدارة الأمريكية بدفع الخوف من الترسانة النووية في أوكرانيا وروسيا البيضاء وكازاخستان بالعمل على تدعيم موقف روسيا في استرداد هذا السلاح الاستراتيجي ، والذي تركته روسيا بشكل ساذج في حوزة تلك الدول حديثة العهد بالاستقلال . لقد انتصرت غربية حفظ الذات ، وانتهت كل من روسيا وأمريكا سياسة متوازية في علاقاتها بدول الكومونولث ، وكل منهما لا يأمل في أن يصبح مصيره مرهوناً بإرادة ورغبة قوى سياسية جديدة وغير ناضجة .

إلا أن هذا النهج سرعان ما انتهى وأصبحت الجمهوريات السوفيتية السابقة ساحة للتنافس والصراع بين روسيا وأمريكا . وهذا التحول لم يكن قdraً تاريخياً ، إلا أنه كان هناك اتجاهان غير مرغوب فيهما قد فرضنا تأثيرهما بشكل كبير : أولهما : القوى القومية النامية في الجمهوريات الجديدة ، والتي بدأت تبحث عن وصى وداعم خارجي في مواجهة الهيمنة الروسية ، وثانيهما : ظهور قوى سياسية في أمريكا تعارض فكرة إعادة توحيد دول الاتحاد السوفيتي السابق ، حيث تعتبر ذلك تهديداً لمكانة أمريكا الجيوibliتية الفريدة كدولة عظمى وحيدة في العالم .

لقد جرى تقسيم الحدود الروسية إلى أربعة قطاعات كبرى : أوكرانيا ، ودول البلطيق ، والقوقاز ، وأسيا الوسطى . ومع بداية القرن الجديد كان قطاع القوقاز مثاراً مباشراً للتوتر والصراعات .

ولا يقل أهمية عن هذا القطاع قطاعان آخران هما آسيا الوسطى وأوكرانيا ؛ حيث إنها يعدان منطقتين كبريتين تتسنم كل منهما بالتوحد ، كما أنها لا ينشغلان بأى صراعات داخلية . إن أي بروز في العلاقات مع هاتين المنطقتين من شأنه أن يغير المكانة الجيوسياسيية لروسيا إلى الأسوأ . وإذا تناولنا روسيا وأوكرانيا على وجه التحديد و هؤلاء يمكن وصفهما بأنهما دولتين صناعيتين سابقتين من الحجم المتوسط . ويمثلان معا تكتلا قويا ينمو وزنه بصورة سريعة في منطقة وسط وشرق أوريا وكذلك في أوراسيا الشمالية بشكل عام . وسوف يكون من المحتم على أوريا الغربية التوجه للولايات المتحدة ودعونها للتعاون والدعم ، وذلك لإحداث توازن مع تكتل بهذا الحجم يجذب نحوه دولا عديدة منها روسيا البيضاء وكازاخستان وكرجستان ومولدوفيا وأرمينيا وطاجيكستان ، وفي المستقبل القريب جورجيا وبقية دول آسيا الوسطى ، ولهذا السبب فإن واشنطن تولي اهتماما خاصا بأوكرانيا من بين كل دول الكومونولث .

التعدي على السيادة

اعتبر إفجيني بريماكوف توسيع حلف الناتو والصعوبات التي تحول دون تحقيق تكامل بين دول الكومونولث أكبر معوقين على طريق تحسين العلاقات مع الغرب وأمريكا في المقام الأول (يوليو 1996) . وتحدد بريماكوف الذي تولى مستقبلا منصب رئيس وزراء روسيا عندئذ عن «قرابة الدم» بين دول الكومونولث ، والتي يعتبرها الأمريكية عدواً على سيادة دول مستقلة . وكانت أولى زيارات بريماكوف إثر توليه منصب وزير الخارجية قد شملت أوكرانيا وكازاخستان وروسيا البيضاء وأوزبكستان . ويقول المتشائمون من الساسة الأمريكيين إن الحديث في هذا المقام يدور حول أهداف خاصة مستقبلية وعن رموز ايمانية وليس عن استراتيجية محددة لدولة روسيا الضعيفة . إن روسيا لا تستطيع أن تسمح لنفسها باتباع خططنفذت وصممت للاتحاد السوفيتي المنقرض ولا يمتلك العسكريون الروس قوات يملأون بها القواعد الروسية القائمة ولا توجد أموال لتمويل مشروع الوحدة الجمركية أو قوات الحدود الموحدة أو القواعد العسكرية أو منظومة الدفاع الجوى المشتركة أو العملة الموحدة .

أضف إلى هذا أن محاولة تدعيم العلاقات مع روسيا البيضاء وكازاخستان وكيرجستان لا تمثل نموذجاً تحتذى به بقية الدول المستقلة الأخرى مثل أوكرانيا وأوزبكستان حيث ستزيد من تباعدهم عن اتحاد الكومونولث^(١٤). غير أن المتشائمين بين الأمريكيين يتفقون مع حقيقة أن روسيا بقوتها الآخذه في الضعف قادره رغم ذلك على التأثير بشدة على دول الكومونولث بشكل عام وعلى دول حديثه لم تستقر بعد مثل طاجكستان بشكل خاص . وفي هذا السياق فإن هناك فناعة في أمريكا بأن من غير الممكن مقارنة دول مثل طاجكستان بدول أكثر قوه وامكانيات مثل أوكرانيا وأوزبكستان وأذربيجان ؛ فهذه الدول تمتلك الإدارة والمصادر الكافية للتطور المستقل كما يعتقد ويؤكد المتخصصون الأمريكيان ، إلا أن تلك القوه لا تأتى من تلقاء نفسها ؛ فعلى سبيل المثال يؤكد السيد بجيزنسكي «أن قدرة أوكرانيا وكازاخستان على الحياة ستكون هشة جداً إذا لم تقدم لهم الولايات المتحدة المساعدة الضروريه في مجال الوحدة الوطنية»^(١٥) .

ومن خلال كل من الدراسات السياسية والمقالات والأبحاث التي قام بها الباحثون الأمريكيون ترسم لوحة تبدو فيها الولايات المتحدة دون قدرة على التدخل النشط في الدول المحيطه بروسيا ، ومن ثم فقد حددت أمريكا ثلاثة دول بدلاً من مفصلة بالنسبة لها ، وهى أوكرانيا (الدعم الأمريكي الأقصى) وكازاخستان (الاستثمارات القصوى) وأذربيجان (النشاط الأقصى للشركات الأمريكية) وبهذه الطريقة نفسها تكون قد وضعت حدًا للتفوز الروسي في تلك المنطقة التي تمثل ثلاثة محاور أساسية : محور البلقان (أوكرانيا) ومحور القوقاز (أذربيجان) ومحور آسيا الوسطى (казاخستان) ، ويضع المتخصصون الأمريكيون هذا الهدف نصب أعينهم مبررين ذلك بأن أوراسيا ستكون أكثر رضا بجيран مزدهرين وبمحيط دولي أكثر استقراراً . إن الدول المجاورة النامية - بشكل سريع وناجح - سيساعدون المناطق الروسيه القريبة، وسيحولون روسيا إلى «دولة قانعة» ، دولة حاميه للوضع الراهن ، ونتيجه لذلك فإن انعدام الحالة المركزية في دول أوراسيا ستساعد الولايات المتحدة على حل القضية الإستراتيجية الأهم في العشر سنوات القادمة : تحاشي نهوض أي من دول أوراسيا (أو أي تحالف بين تلك الدول) على المستوى العالمي ، وتحاشي ظهور منافس

ذو قدرات قارية واسعة من شأنه أن يقلل من قيمة النصر الأمريكي في الحرب الباردة، وأن يهدد المصالح الأمريكية فيما وراء المحيط، وأن يحول أمريكا من جديد إلى دولة دفاعية .

بديل توسيع الناتو

لقد مر الوقت منذ كان الرئيس بوش يسعى لاقناع القيادة الأوكرانية بعدم قطع العلاقات الحيوية مع روسيا . إن الجمهوريات الخمس عشرة في الاتحاد السوفيتي السابق ، والتي تم قبولها في مجلس الأمن بوصفها دولاً مستقلة لها كل الحقوق الدولية تتعامل في الوقت الحاضر مع الغرب باعتبارها دولاً ذات سيادة مطلقة . وقد ظهر اتجاه قوى بين مؤيدى توسيع حلف الناتو لضم تلك الدول الخليفة السابقة للاتحاد السوفيتي في أوروبا الشرقية . ويشير مؤيدوا هذا الاتجاه إلى وسيلة مؤثرة لردع روسيا عن مجابهة هذا التيار، وتمثل هذه الوسيلة في الدفع بالسياسة الخارجية الأوكرانية نحو الاستقلالية . ويرى السيد م . ماندلباوم «أن بولندا في نهاية الأمر لا تتعرض لهديات مباشرة من جانب روسيا . وإن أوكرانيا تعتبر الدولة الأهم بالنسبة للغرب والمعرضة لمخاطر مباشرة في حالة تجدد العداوة الروسية . غير أن أحداً لا يستطيع أن يقتصر على أوكرانيا الانضمام لحلف الناتو . في حقيقة الأمر الناتو يتعامل مع أوكرانيا باعتبارها أنها دولة طرفية، في حين أنها دولة تحتل موقعاً رئيسياً»^(١٥) .

وقد تشكلت الظروف بحيث بدت القوى المركزية في أوكرانيا التي تكافح من أجل وحدة الجنس السلافي الشرقي بدت عاجزة أمام النزعة القومية المفرطة ، وأصبحت أوكرانيا تمثل الدول الأوروبية الأخيرة التي تمتلك حدود مع أوراسيا الروسية المتنافرة مع الغرب وظهرت موسكو مشكلة جديدة تتمثل في ليس فقط خسارة فقدان الحليف الأكبر ، بل وتشكيل كوردون عسكري دولي في محاولة لحصار روسيا ومطارتها في اتجاه الأدغال العميقة وإلى العزلة القارية الصماء وإلى الفضاء البري .

وطبقاً لوجهة النظر المسيطرة في الولايات المتحدة فإن الهدف الأهم لأمريكا في دول الكومونولث يتمثل في تحاشي أي تقارب روسي أوكراني . وقد رسمت زيارة الرئيس الأمريكي كلينتون إلى كييف في مايو ١٩٩٥ ملامح الفكرة الأمريكية ؛ فمن

خلال الحفاظ على العلاقة الودية مع حكومة موسكو الضعيفة يتم بذلك كل القوى والجهود من أجل الإسراع بفرض السيادة الأوكرانية الكاملة إقليمياً . وبشكل غير مباشر وطبقاً لاتفاقية التي أبرمت مع روسيا وأوكرانيا ١٩٩٤ أعطت الولايات المتحدة صنوانات لاستقلالية وسيادة كييف . وهذا يبدو بشكل واضح فوق كل ما ذكر، وينعكس في إجراء مناورات عسكرية مشتركة وفي الوثيقة الخاصة التي أبرمت بين الناتو وأوكرانيا في ١٩٩٧ ... الخ .

وتعد السفارة الأمريكية الأكبر حجماً بين السفارات الأجنبية في أوكرانيا لما أن كانت الهيئات الحكومية والصناديق الخاصة الأمريكية الواقعة في أوكرانيا نشطة بشكل خاص في الفترة الأخيرة . وتعد المعونة الأمريكية لأوكرانيا الأكبر حجماً في قائمة المعونات التي تقدمها أمريكا لدول الكومونولث ٧٠٠ مليون دولار في ١٩٩٥ وإذا أضيفت المليار دولار التي قدمت لأوكرانيا في شكل قروض لدعم الميزانية ، فإن أوكرانيا بذلك تكون أكبر متلقٍ للمعونة الأمريكية^(١٧) . وتأتي بذلك في مرتبة متقدمة عن روسيا . وللتذكير فإن الرقم الإجمالي للمساعدات الأمريكية لدول الكومونولث بلغ في ١٩٩٩ إلى ٨٤٧ مليون دولار (بزيادة قدرها ١٠٪ عن عام ١٩٩٨) . وبلغ نصيب روسيا منها ١٣٠ مليون دولار ، بالرغم من أنها تمثل نصف حجم سكان دول الكومونولث مجتمعة .

أمريكا لا تعرف بمفهوم دول الحوار

إن الروس يمكنهم التحدث عن صلات تاريخية واقتصادية وفسيولوجية وغيرها، لكن الأمريكيان لا يمكنهم قبول أي تنظير لسيادة محددة وضعيفة لدول الاتحاد السوفيتي السابق . إن اتباع روسيا سياسة من هذا القبيل من شأنه أن يهدد العلاقات الروسية الأمريكية ؛ حيث يمكن للأمريكا أن تفرض عليها ضغوط المديونية والعصار التكنولوجي والاغتراب الثقافي ، وأخيراً سباق تسلح على نفس المستوى الذي كان عليه في السابق وإعادة الميزانيات العسكرية إلى سابق عهدها في تلك الدول التي قامت بتنقيصها (الولايات المتحدة - بريطانيا - ألمانيا) . إن الطبيعة الجديدة من الحرب الباردة كتحول واضح للأحداث يمكن النظر إليه على أنه رد الفعل الواقعى على عودة ظهور قوة مركبة في شرق أوروبا .

ويمكن لأمريكا اتخاذ إجراءات أكثر خطورة من تلك الإجراءات «العادية»، حيث تستطيع دعم القوى القومية المناهضة للروس في كل أجزاء الاتحاد السوفيتي السابق وأولها أوكرانيا، وهذا يعني تقديم الدعم لمنطقى لفوف وكيف ضد منطقى خاركوف وسيمفiroبول . وليس هناك من شك في أن السياسة الأمريكية الصارمة تجاه هذه القضية تعنى بالنسبة لروسيا بناء كوردون جديد وقائي ضد أي جهود دافعة لإعادة التعامل والتوجه في تلك المنطقة . إن طرح من هذا القبيل لمستقبل دول الاتحاد السوفيتي السابق يعناك عدة نقاط بالغة الضعف بالنسبة للغرب ؛ حيث إن أمريكا بعيدة جدا عن هذه المنطقة في حين أن روسيا هي الأقرب كما أن الأمريكيان تاريخياً بعيدون عن هذه المناطق في حين أنها معروفة جدا بالنسبة للروس ؛ حيث كانت هذه المناطق دائما تمثل الشريك التاريخي لروسيا، ونظرة واحدة لخريطة العالم يمكنها أن تؤكد ما نقوله ؛ فلدى روسيا وأوكرانيا أكثر من ١٥٠٠ طريق سيارات مفتوح في حين أن هناك أربعة طرق فقط تقود الأوكرانيين إلى الغرب وحتى هذه الطرق القليلة تمنع بحرس الحدود ورسوم المرور المرتفعة . ولن يكون من الزائد عن القول أن ذكر بالحجم الضخم للتجارة المتبادلة وحقيقة أن هناك أكثر من ١٢ مليون روسي يقيم بأوكرانيا وسفر الأوكرانيين الدائم وبكثافة للعمل في روسيا . وهذا فإن الانشقاق الذي حدث بين الدولتين السلافيتين العظميين أضر - بشكل كبير بالمكانة - الجيوبيوليتيكية لروسيا . إن ابتعاد أوكرانيا عن روسيا غير من خريطة توزيع القوى في أوروبا الشرقية، وأثر بدوره على ميزان القوى في العالم - ميزان القوى بين روسيا وأمريكا . وهنا بالذات - في أوكرانيا - تكمن قوة الصراع بين روسيا وأمريكا ؛ فإذا كانت واشنطن قد رأت مصالحها الحيوية في بولندا في فترة الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥ فإنها اكتشفت هذه المصالح في مطلع القرن الواحد والعشرين في أوكرانيا . وعلى ما يبدو فإن أمريكا لا يمكنها بذلك أن تتجنب اتجاه علاقاتها مع روسيا نحو التدهور والمواجهة .

جنوب الكومونولث

تنشط الولايات المتحدة الأمريكية على الحدود الجنوبية لروسيا ؛ حيث تعمل إدارتها على بناء وتدعم عوامل زيادة النفوذ وأوكرانيا أمريكي في المنطقة . إن دول الحزام

الجنوبي لروسيا من كازاخستان شرقاً وحتى مولدوفيا غرباً قد حصلت على مساعدات أمريكية (طبقاً للفقرة ٩٠٧ من القانون الأمريكي للمعونات عام ١٩٩٢) . فقد تلقت كازاخستان وأوكرانيا دعماً اقتصادياً خاصاً لتوسيع مشروعات تربية الماشية ، وكما تم تقديم دعم خاص إلى تلك الدول التي تعد دعامة العالم المحيط بروسيا مثل أوكرانيا وأوزبكستان وأذربيجان . إن الحدود القوقازية الجديدة لروسيا تعانى من الحروب ، وتعد مسألة تهدئة منطقة شمال القوقاز المشكلة الأساسية بالنسبة لروسيا .

إن منطقة ما وراء القوقاز المصابة بداء القومية العنيفة تحاول بكل قوة أن تحيد نفسها ، إلا أن عقدة التناقضات في هذه المنطقة من شأنه أن يجذب لها قوى غير مرغوب فيها بالنسبة لكل من روسيا والولايات المتحدة (إيران - تركيا) كما أن غبار التاريخ لن يستقر سريعاً؛ فحالة جورجيا وأرمينيا وأذربيجان ما زالت تؤثر - بشكل ديناميكي - على منطقة شمال القوقاز في روسيا ، وهذه الحالة يمكنها تهديد طرق أنابيب نقل البترول التي تعتمد عليها الولايات المتحدة .

إن توغل إيران - العدو الأول لأمريكا - في منطقة ما وراء القوقاز، وكذلك تركيا التي تقع تحت عباءة أمريكا وعودة مراقبين من الأمم المتحدة ومنظمة الأمن والتعاون الأوروبي إلى المنطقة ، كل هذا من شأنه أن يضعف موقف روسيا التي تسعى لأن تجعل من هذه المنطقة درعاً واقياً ضد العالم الإسلامي الثائر . إن روسيا تحرص - بشكل كبير - على أن تكون قوى الدفع لتحقيق الذات داخل الشعوب الصغيرة في شمال القوقاز نابعة من الداخل وليس من الخارج بما في ذلك الولايات المتحدة وحلفائها وعملائها في المنطقة .

وقد حيدت الحرب أذربيجان وجرتها من تأثيرها ، وقد ساعدت روسيا في هذه الحرب الطرف المضاد أرمينيا . وقد بلغ حجم المساعدات العسكرية المقدمة من روسيا إلى أرمينيا في الفترة من ١٩٩٣ - ١٩٩٦ حوالي مليار دولار ، وتعتبر هذه المساعدات من وجهة نظر علماء السياسة الأمريكيين وسيلة ناجحة لإعاقة الجمهوريتين القوقازيتين الآخريتين أذربيجان وجورجيا في مساعيهما نحو الغرب ، وقد اعتبر

الباحث الأمريكي ب . جوبل هذه المساعدات موجهة لإبعاد الشركات الغربية صاحبة المصالح التجارية في منطقة ما وراء القوقاز^(١٨) . وينتعد علماء السياسة الأمريكيون عن أن المساعدات العسكرية الضخمة من روسيا لأرمينيا موجهة لتوجيه ضربة قوية للجيش الأذري عند الضرورة وإضاعة هيبة الرئيس علييف وتنصيب شخص جديد على رأس السلطة في باكو يكون حريصاً على المصالح الروسية وأكثر ارتباطاً بها . وقد تمكنت روسيا من إدخال قواتها المسلحة إلى جمهورية جورجيا المجاورة وبقى على باكو أن تحدد مستقبل مشاريعها وعلاقتها النفطية وغير النفطية مع أمريكا في الوقت الذي تمكنت فيه روسيا من صياغة علاقات مع إيران المعادية بشدة لأمريكا ومع أرمينيا التي تقع تحت الوصاية الروسية وفي الوقت الذي تحشد فيه القوات العسكرية على الحدود مع تركيا .

عامل البترول

من الجدير بالذكر أن الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاءها قاموا بضخ استثمارات في مجال اكتشافات البترول منذ عام ١٩٩١ في جمهوريات كازاخستان وأذربيجان وتركمستان بقيمة لا تقل عن تلك الاستثمارات التي قامت بضخها في جمهورية روسيا العملاقة ، وأصبح خط أنابيب نقل البترول مشكلة تثير جدلاً واسعاً بين الشركات الأمريكية والروسية (وبين روسيا وأمريكا بشكل عام) فالقضية تتعلق بقدرات مادية ضخمة وحجم ودرجة سيطرة روسيا على جمهوريات بحر القزوين .

ونقع المعارك الدورية بين الأرمن والأذريين بالقرب من تلك المناطق التي تتوى الشركات الأمريكية مد خطوط أنابيب بترول ضمن الحدود الجورجية . وتشهد أمريكا ازدياد نفوذ مؤيدى دعم العلاقات والاعتماد على أذربيجان باعتبارها الدولة المحتملة الأغنى (بالنفط) والأكبر من حيث السكان (٧.٥ مليون نسمة) في منطقة ماوراء القوقاز ومتلك الجمهورية احتياطاً نفطياً ضخماً يثير اهتمام كل من الولايات المتحدة وروسيا . ولذا فلا مفر من ظهور تباعد وإغتراب بين شركة «لوك أويلا»، و«شيفرون»، وبين الاستثمارات الأمريكية والروسية واعتماد كل منها على شركاء مختلفين وتوقع مختلف للأرباح ورؤى مختلفة لمد خطوط أنابيب البترول ، وكل هذا من شأنه أن

يجعل من باكو حلبة للمنافسة بين أمريكا وروسيا وبين نفوذ كلا البلدين ورؤيه كل منها لموضوع إحلال السلام في منطقة وراء القوقاز^(١٩).

وفي محاولة لجذب باكو إليهم يقترح الأمريكيون أن يكون خط أنابيب البترول من منطقة أشieren و حتى مدينة جيهان التركية هو الخط الرئيسي والأساسي لنقل نفط بحر القزوين إلى الغرب . وهذا وفي هذه النقطة بالذات تختلف بشكل حاد المصالح الاقتصادية الأمريكية والروسية فيما بينها ؛ فروسيا لم تكنلترغب في أن تفقد سيطرتها على مناطق استخراج النفط هذه ، والتى تعتبر الثانية في العالم بعد كنوز الخليج العربى . والحديث يدور عن احتياطى بترولى خاص بروسيا نفسها وعن أقاليمها الجنوبية التي تبعد كثيرا عن إقليم تومين ، ولذلك فإن موسكو تبذل قصارى جهدها، وتستخدم كل نفوذها لكي لا تفقد إمكانية الاشتراك والمساهمة في عملية اكتشاف البترول . وهذا على وجه التحديد فإن احتمال ظهور التناقضات بين روسيا وأمريكا كبير جدا ؛ فهذه المنطقة تعتبر خط مصالح روسية لن تفرط فيها موسكو من أجل عيون صدافة خارجية وود تافه من دولة تسعى لبسط نفوذها على دول أوروبا الشرقية الحليف السابقة لروسيا ، وتحدث أيضا - بشكل علنى - عن نوايا مشابهة إزاء دول البلطيق .

آسيا الوسطى

إن الموقف في آسيا الوسطى يعمل على زيادة حدة التناقض في العلاقات الأمريكية الروسية المتبادلة . إن تطور وارتفاع هذه المنطقة يمنح العلاقات الثنائية للدولتين العظيمتين جوانب إيجابية وأخرى سلبية ؛ فمن غير الإيجابي بالنسبة لكل من واشنطن وموسكوحقيقة إرساء المساجد العالية في جمهوريات آسيا الوسطى لعقيدة جديدة ونمط صارم لمنظومة قيم جديدة وسلوك جديد (دائما على استعداد للتضحيه)؛ فالثقافة العلمانية السابقة والتي رسخها ووضع أساسها المثقفون الذين تلقوا دراساتهم وألقابهم العلمية في روسيا يتم التضييق عليها من قبل التيار الإسلامي القوى الذي حقق انتصارات في إيران وباكستان والسودان وأفغانستان وعلى وشك تحقيق في الجزائر ، ويحتل ويدعم مراكزه في تركيا التي لم تقع يوما في عباءة أمريكا مثلما هي الآن .

إن عنصر التضحيّة بالنفس والأصولية والتوجه الاجتماعي الجديد للإسلام ودعم العالم الإسلامي (مليار نسمة) بما في ذلك الدول النفعية الغنية، كل هذا يجعل من منطقة وسط آسيا -التي غيرها الإسلام في حين يقودها قادة علمانيون - مركزاً أكثر قسوة وصرامة وثقة بالنفس وعلى استعداد للبحث عن بديل لعلاقاته مع قبليته السابقة (موسكو). وإيجاد هذا البديل سواء في الجنوب والغرب وبخاصة الولايات المتحدة التي قامت ببناء مراكز ثقافية وتعلمية وغيرها لها في المانا وطشقند وبيشكيك .

إن الحدود الروسية مع كازاخستان - والتي تفصل روسيا عن آسيا الوسطى - قد وضعت حداً في حقيقة الأمر لقضايا مختلفة حتى وإن لم تكن قد وصلت إلى حد الخلافات (باستثناء طاجكستان) حيث المواجهة بين الأسس العلمانية والدينية تنبئ بصراع طويل الأجل . إن اغتراب وابتعاد آسيا الوسطى يهدد بتوجيه طعنة لمناطق روسيا (الصناعية) وكذلك تحويل الجمهوريات الإسلامية التابعة لروسيا الكبرى سابقاً إلى بذرة غربية تهدد بتفجير نسيج الدولة الواحدة المتકاففة (نذكر أن هناك عشرين مليون مسلم يعيشون في روسيا نفسها) .

إن كازاخستان بوصفها قاعدة أمريكية وحصناً أمريكياً محتملاً لها أيضاً جوانب ضعف منها بالطبع . أن نصف سكانها من أصل روسي ، وفي حالة قيامها بعمل سيادي حاد فإنه يمكن في هذه الحالة استخدام عامل القوات الروسية المحشدة على الحدود الكازاخية ، والذي سيكون له تأثير كبير ، كما أن كازاخستان محاصرة بجمهورتي طاجكستان وكيرجستان الصديقين الحميمين لروسيا ، وهذا أيضاً عامل مؤثر .

لقد اعتبرت روسيا المناورات العسكرية التي أجريت في سبتمبر 1997 في كازاخستان وأوزبكستان بمشاركة الولايات المتحدة عملاً استفزازياً يهدف لدعم التفوّذ الأمريكي في منطقة ذات سياسة خاصة بالنسبة لروسيا . وفي سياق ذلك لا يجب أن ننسى وجود ٢٤ ألف جندي روسي في طاجكستان و ١٥ ألف في تركمانستان وخمسة آلاف في أوزبكستان و ١٥ ألف في جورجيا ، وأن روسيا لها حق امتلاك قواعد عسكرية في أرمينيا لمدة 25 سنة . ويعبّر ر. بايبس عن وجهة النظر الأمريكية تجاه

هذا التواجد قائلًا «إن تعدد موسكو على سيادة الجمهوريات التابعة لها في السابق من شأنه أن يهدد العلاقات مع أمريكا»^(٢٠).

فمن ناحية تعرف أمريكا - مثلها مثل الدول الغربية الأخرى بشكل صامت - بحقوق روسيا في تلك المناطق . وانطلاقاً من خبرتنا في هذا المجال فإن قيام أي خلاف بين روسيا وأى من هذه الجمهوريات السوفيتية السابقة فإن رد الفعل الأوروبي لن يتعدى التعبير عن الأسف . وفيما يتعلق بالولايات المتحدة فإن رد فعلها سيكون أكثر حدة لاسيما إذا كانت هي أوكرانيا أو أى من جمهوريات بحر القزوين؛ فالأخيرة (أوكرانيا) لها وزن جيوسياسي ثقيل في حين أن جمهوريات القزوين مهمة من حيث امكاناتها النفطية^(٢١).

ويعرف الأمريكيون بالقدرات الهائلة في روسيا في منطقة آسيا الوسطى ، وينتفق الخبراء الأمريكيون الكبار حول الرأي القائل بأن ميراث التاريخ وظروف الجغرافيا ومنطق القوة يؤمن لروسيا تفوقاً وسيطرة كبيرة على منطقة وسط آسيا ، ولن تتمكن أي دولة أو تحالف دول أو منظمة دولية ولو قت طويل من زعزعة هذه الحقيقة وسيكون لزاماً على واشنطن في كل الظروف أن تضع هذه الحقيقة في اعتبارها، وليس لها أن تأمل في أن يؤدي أي تغيير في قيادة الكرملين إلى تغيير هذا الواقع .

إن أغلبية المتخصصين الأمريكيين يعتقدون أن أمريكا لا يمكنها مجابهة نفوذ روسيا القوى في جمهوريات آسيا الوسطى لا سيما إذا كان هذا النفوذ موجه ومنسق، وبالإضافة إلى ذلك هل تستحق القضية أن تمضي الولايات المتحدة إلى أقصى حد إزاء هذا الموضوع ؟ وكما يعترف أكبر المتخصصين الأمريكيين في هذه المنطقة د. مينون «فإن من الصعب توقيع أن تضطلع الولايات المتحدة بتحمل مسؤولية الأمن في منطقة وسط آسيا؛ حيث إن هذه المنطقة لا تمس المصالح الحيوية للأمن القومي الأمريكي، وفي فترة سعي الدولة لتقليل الميزانية سيكون ثمن التورط في هذه المنطقة غالياً ومرتفعاً خاصة إذا وضعنا في الاعتبار التكاليف الباهظة التي دفعتها أمريكا نظير اشتراكاتها وتدخلها العسكري في مناطق أخرى من العالم . إن مواجهة أمريكا للنفوذ الروسي والتدخل الروسي في شؤون دول وسط آسيا يمكن أن تنحصر فقط

في شكل كلمات وإشارات وتلميحات (تأجيل لقاءات والإبطاء في تقديم اعتمادات وفرض)، ولكن من المستبعد تماماً أن تتحول هذه المواجهة والمقاومة إلى إجراءات عسكرية مضادة، (٢٢). ومن الصحيح أن الولايات المتحدة على المدى القصير والمتوسط سيكون من الصعب عليها جداً أن تحقق نفوذاً مساوياً لنفوذ روسيا في هذه المنطقة. أما على المدى الطويل فسيكون لديها فرصة لتحقيق ذلك. إن العمل الطويل والدءوب يمكن أن يمنح الولايات المتحدة نفوذاً قوياً في المستقبل؛ فعلى سبيل المثال يمكن للولايات المتحدة أن تستجيب لطلب كيرجستان بإعادة بناء صناعتها العسكرية، والتي ورثتها من الاتحاد السوفيتي السابق. إن المساعدة الاقتصادية الأمريكية يمكنها أن تؤثر على تغيير التوجه لدى قادة دول آسيا الوسطى، ويعتقد المتخصصون الأمريكيون أن الولايات المتحدة يجب أن تدفع ثمن التوجهات الانفتاحية في هذه الجمهوريات، وفي نفس الوقت تعاقب الجمهوريات الجديدة على تحولها للقومية الشديدة والاكتفاء الذاتي. وعن طريق المكافآت البطيئة والمتتابعة في نفس الوقت تستطيع أمريكا دعم القوى ذات الميل الغربي والأعمى في هذه الدول حتى الاستثمارات القليلة نسبياً والصناديق والمنح لها تأثير مهم على صورة الحالة الاقتصادية السليمة في هذه المنطقة.

إن هذه السياسة (والتي تحظى بتأييد قوى في البيت الأبيض والبرلمان) لا تهدى حتى الآن بصدام دراميكي بين روسيا وأمريكا في منطقة وسط آسيا. لقد تجمعت عدة عوامل مهمه؛ حيث ما زالت الشركات الغربية العملاقة غير مستعدة لضخ استثمارات ضخمة في المنطقة، كما يخشى الأمريكيون نمو الأصولية الإسلامية أكثر من خوفهم من نفوذ روسيا بالإضافة إلى أن دور الصين في هذه المنطقة لا يتنماشى والمصالح الأمريكية. وعلى صعيد ما قبل آنفا يمكن أن نخرج بنتيجه مؤداها أن آسيا الوسطى في المستقبل المنظور ورغم النشاط الظاهر للشركات والصناديق الأمريكية لن تصبح ساحة التنافس الشديد بين واشنطن وموسكو. وبالطبع فإن التحولات الاقتصادية والسياسية في روسيا والدول القريبة منها، وعلى الجانب الآخر من المحيط سيكون لها تأثير كبير على مسار هذه المسألة.

وفيما يتعلّق بدول البلطيق فقد أنتهت مرحلة تحولها بدايةً من مرحلة المنح والوعود بأن تصبح جسراً للبرالية الغربية وحتى اعتناق شكل كريه وغير مقبول على اعتاب القرن (٢١) من العمى القومي الذي وضع مليوني روسي في وضع لم يكونوا ليتوقعوه، ألا وهو وضع (غير مواطن) .

إن مدینتی تالین وريجا (عاصمتی إستونيا ولیتوانيا على التوالي) تسبب لنفسها مشكلات يمكنها أن تهدد وضع الدولة في كل منها ، وتواجه روسيا مشكلة جديدة ألا وهي مساعدة هؤلاء المواطنين الروس ، وهي المشكلة التي تزداد صعوبة تجاهلها من قبل الحكومة الروسية في ظروف التحول والتطور الحكومي الحالى فيها .

إن دول البلطيق - على غرار كل من بولندا وأوكرانيا ومولدافيا - لن تصبح ممر مواصلات بل خندقاً من نوع خاص يفصل بين روسيا والغرب بزعامة الولايات المتحدة . إن التوغل المتامٍ من جانب شعوب دول البلطيق في المؤسسات الغربية والموالية للغرب يضاعف من فرص تحول هذه المنطقة إلى ساحة لخلافات بين روسيا وأمريكا .

ما وراء المثلث «الإستراتيجي» والكونونولث

إن أمريكا تعتبر ليبيا وكوبا وكوريا الشمالية وإيران والعراق أعداءها الرئيسيين ، إلا أن هذه الدول الخمس - على وجه التحديد - تمتلك علاقات قوية مع روسيا ، ويلاحظ تطابق المصالح بينها وبين تلك الدول بشكل دائم .

ويمكن تصور الخريطة الإقليمية على النحو التالي : روسيا تحسن علاقاتها مع الصين ، تدعم علاقاتها التاريخية والتقاليدية مع الهند وإيران والعراق في الوقت الذي تتعول فيه الولايات المتحدة على دول يمكنها مواجهة هؤلاء مثل تركيا وباكستان وال سعودية . تختلف كل من روسيا وأمريكا مع بعضها البعض فيما يخص القضايا الأوروبية ، وعلى سبيل المثال البوسنة حيث تدعم الولايات المتحدة التحالف الكرواتي المسلم في حين تدعم روسيا وبشكل تقليدي جمهورية الصرب . وفي الشرق الأقصى فإن موسكو - وبغض النظر عن كل دهاليز السياسة - أقرب إلى بيونج يانج في حين واشنطن أقرب إلى سول . وفي نصف الكرة الغربية تحاصر أمريكا كوبا ،

وتحفف روسيا من تأثير هذا الحصار . تلك الملامح الرئيسية للمواجهة في مناطق إقليمية متباعدة خارج حدود الكومونولث . وبالرغم من أن قوة روسيا تراجعت عن ذى قبل لأنها تملك القدرة على صياغة وتنفيذ سياسية تواجه بها الهيمنة الشاملة من قبل القطب الأول . وبالرغم من الضعف الحالى فإن روسيا يمكنها دعم كوريا الشمالية المثقلة بالمشكلات السياسية والاقتصادية ، وأن تقدم العون الدبلوماسي والعسكري للهند بوصفها القوة الآسيوية الجنوبية ، وأن تعمل على إضعاف العزلة المفروضه على العراق وليبيا ، وأن تساعد فى إقامة مشروعات الطاقة النووية الإيرانية ، وهو ما يعد أمراً مهماً جداً . إن كل هذه الإمكانيات والأفعال المحددة من قبل روسيا تثير رد فعل سلبي من جانب الولايات المتحدة .

تجارة السلاح

يمكن القول إن أكثر نقاط الصدام بين روسيا مع الولايات المتحدة تتمثل فى احتفاظ الصناعة العسكرية الروسية بمكانتها العالمية وقدرتها التصديرية ؛ فمنذ عشر سنوات مضت كانت روسيا تحتل المرتبة الأولى فى سوق السلاح العالمى ؛ حيث مثلت حصتها ما يقارب ٤٦٪ من حجم تجارة السلاح العالمية (٢٧ للولايات المتحدة) . ومع نهاية التسعينيات ارتفعت حصة الولايات المتحدة إلى حوالي ٤٤٪ حيث تصدر أمريكا بشكل ثابت بما قيمته ٨ - ١٠ مليارات دولار سنوياً . وتمتلك الشركات الأمريكية حالياً عقود تصدير بما قيمته ٢١٩ مليار دولار مع ١٢٠ دولة في حين انخفض نصيب روسيا إلى ما دون ٢٠٪ حيث فقدت روسيا أسواق كانت مضمونة في الماضي ، وهي أسواق الدول التي خرجت من حلف وارسو وضفت روسيا بخسارة التعامل مع تلك الدول التي كانت تقف ضد الولايات المتحدة في الماضي . تمكنت الولايات المتحدة من مزاحمة المنتجين الروس في الدول، وساعدتها على ذلك المناخ السياسي الذي حول المجريات الاقتصادية ضد مصلحة روسيا . وفي الواقع الأمر فإن روسيا قد حرمت السوق الوحيدة الذي كان يدعم النشاط والحيوية التكنولوجية للاقتصاد الروسي بشكل منقطع النظير، وإن كانت تلك الدول لا ترقى لمستوى الغرب فإنها تسحق دول العالم النامي الأساسية ، ونتيجة لذلك فإن

روسيا ، والتي كانت منذ زمن قريب ، تتحل المرتبة الأولى في معدل تصدير الأسلحة لدول العالم الثالث تنازلت عن مكانتها هذه للولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، وهبط حجم صادرات الأسلحة الروسية من ٢٩,٩ مليار دولار عام ١٩٨٧ إلى ٢,٧ مليار دولار عام ١٩٩٢ .^(٢٣)

وخلال الفترة من ١٩٩٤ - ١٩٩٢ باعت الولايات المتحدة لدول العالم النامي أسلحة بما قيمته ١٩,٥ مليار دولار في حين بلغت مبيعات بريطانيا لنفس الدول ١٠,٣ مليار أما روسيا فبلغت ٥,٥ مليار دولار فقط . وبالرغم من هذا التراجع الشديد الذي أصاب مبيعات الأسلحة الروسية ، إلا أنها ورغم ذلك لقيت اعترافاً شديداً من جانب الولايات المتحدة وكونها تبيع الأسلحة إلى دول غير مناسبة . إيران مثلاً الذي يحتل المرتبة الثانية في قائمة مستوردى الأسلحة الروسية تعامل من قبل أمريكا على أنها دولة ذات نظام تخريبي يدعم النشاط الإرهابي في كل أنحاء العالم ، كما أن الولايات المتحدة لا تحب أن ترى الهند (وهي الدولة التي تحتل المرتبة الثانية في قائمة الدول المستوردة للسلاح الروسي) تفوق منافستها باكستان والتي تحظى بالاهتمام الأمريكي . أن منح الهند مقومات الدولة العظمى كالصواريخ مثلاً يعتبر أمراً غير مرغوب فيه على الإطلاق في أمريكا . إن بقايا النفوذ التصديرى الروسي في جيوش الدول الحليفة السابقة لروسيا وتلك التي تطالب حالياً بعضوية الناتو (المجر وسلوفاكيا) ، والتي تشتري السلاح الروسي وقطع الغيار الرخيص نسبياً ، ينظر إلى هذا النفوذ من قبل واشنطن على أنه تدخل روسي في شؤون منطقة غير تابعة لها .

كما أن غضب واشنطن يتعاظم أكثر ضد شركاء الناتو التقليديين مثل تركيا التي اشتريت سلاحاً روسياً في الفترة من ١٩٩٢ - ١٩٩٤ بما قيمته ١٢٠ مليون دولار، وكذلك اليونان التي اتخذت قراراً في نهاية عام ١٩٩٨ بشراء وحدات صاروخية روسية من طراز اس ٣٠٠ . ويمكن لنا أن نسمى ثمانية من الشركات والعسكريين الرئيسيين لكل من أمريكا وروسيا؛ حيث تجرى منافسة شديدة بين كلتا المؤسستين العسكريتين في كلتا الدولتين للسيطرة على هذه الأسواق .

- المستوردون الرئيسيون للسلاح الأمريكي والروسي في الفترة من ١٩٩٢-١٩٩٤ .

الولايات المتحدة	روسيا الاتحادية
الدولة	الدولة
حصيلة الشراء من السلاح بالمليار بالدولار الأمريكي	حصيلة الشراء من السلاح بالمليار بالدولار الأمريكي
٨,٦	١,٧
٣,٨	١
٢,٦	,٩٢٥
٢,٥	.٨٢٦
٢,٤	.٤٥

١,٩	اليابان	.٢	كوبا
١,٨	الكويت	,١٥	سلوفاكيا
١,٣	كوريا الجنوبية	,١٢	تركيا

المصدر: ACDA, World Military Expenditure , 1995 . p . 153 - 15 .

وفي خلال التسعينيات حصلت الولايات المتحدة على نصيب الأسد في سوق مبيعات الأسلحة ، حيث حققت ما نسبته ٤٣ % من حصيلة التجارة العالمية للسلاح في حين حققت أوروبا الغربية نسبة ٤١ % . وهبط نصيب روسيا بشكل واضح في عام ١٩٩٦ حيث حققت ماقيمته ٣,٩ مليار دولار وفي عام ١٩٩٧ - ٣,٥ مليار دولار ؛ إلا أنه فيما بعد - وبعد أن تفهمت روسيا التأثير السلبي لهذه المثالية في التعامل - بدأت من جديد في زيادة حجم مبيعاتها من الأسلحة . ويعترف و . كيلير وج . نولان الخبرران الأمريكيان في تجارة الأسلحة بأنه لا يمكن لا من وجهة النظر الأخلاقية أو السياسية معارضه دول روسيا والصين وفرنسا وحثها على تقليل مبيعات الأسلحة في نفس الوقت الذي يقوم فيه مسؤولون أمريكيون وشركات منتجة للأسلحة في أمريكا بعمل كل ما من شأنه أن يساعدهم على احتكار سوق السلاح العالمي ، (٤٤) .

وفي النصف الثاني من التسعينيات عادت روسيا بشكل جيد إلى أسواق السلاح العالمي . وفي خلال ذلك فإن ما يقرب من ٦٠ % من صادرات روسيا كان من نصيب الصين ، وزاد حجم التعاقدات على شراء السلاح الروسي بما قيمته ١,٦ مليار دولار في عام ١٩٩٨ ؛ حيث وصل إلى ٨ مليارات دولار ، وبذلك حققت روسيا مانسبته ١٠ % من حجم تجارة السلاح العالمية .

وبالطبع فإن أكثر ما يقلق الولايات المتحدة هو تسليح الصين و غيرها من الدول بالأسلحة الروسية سنويا وهى دول لا تحظى بالقبول من أمريكا حيث تثير هذه الدول إنتاجها و اتجارها بالسلاح مشاعر سلبية لدى زعيم العالم .

إن الظروف السيئة المحيطة بالاقتصاد الروسي ، والتي لا تسمح له بشكل جدى أن يأمل في منافسة طويلة الأمد مع الولايات المتحدة هو الشيء الوحيد الذي يهدى نسبيا القيادة الأمريكية . غير أن الدبلوماسية الأمريكية تجعل من كل صفقة روسية خرقا لقواعد اللعبة الحضارية وما شابه ذلك . وهنا تصل احتمالات التصعيد العنيف المتبدال إلى الحد الأقصى .

ويعد تطور الأحداث في منطقة القارة الهندية واحداً من أهم عناصر الضغط السياسي والاقتصادي الأمريكي على روسيا . فقد وقعت الهيدات الهندية لأبحاث الفضاء مع منظمة «جلافكوسموس» الروسية اتفاقية في ديسمبر من عام ١٩٩٣ تتلزم روسيا وفقاً لها بتقديم تكنولوجيا عسكرية . كان من المفترض تسلم الهند جزءاً منها في نهاية عام ١٩٩٧ واستخدامها في ١٩٩٩ عند إطلاق القمر الصناعي على حمل الصواريخ ، كما أعلنت الولايات المتحدة عن عدم رضاها عن تقديم روسيا إلى الهند ٥٠ % من احتياجاتها من التكنولوجيا العسكرية . إن التعاون بين روسيا والهند ، وبخاصة نقل تكنولوجيا الصواريخ الحديثة آثار ضغطاً شديداً من قبل الولايات المتحدة على روسيا . وكان قرار روسيا بالتراجع عن بيع تكنولوجيا الوحدات القابلة للتفكيك لشريكها الهند قراراً صعباً ؛ حيث انعكس تأثيره السلبي على العلاقات الهندية الروسية ، وشكل سابقة لتخلى روسيا عن الالتزامات التي وقعت عليها تجاه شريكها التقليدي - الهند .

ويؤكد الأميركيون أن الدعم الروسي للدول غير المرغوب فيها وغير المفيدة لأمريكا (ليبيا - العراق - كوريا الشمالية) يمثل نوعاً من التحدى ، والذى يمكن اعتباره تعويضاً معنويًّا عن انهيار الاتحاد السوفيتى عام ١٩٩١ وعن خسارة مكانة الدولة العظمى ويمثل وسيلة جيدة للحصول على دخل بالعملة الصعبة .

وفي مجال تجارة الأسلحة هناك اصطدام في المصالح ؛ فمن خلال صفقات الأسلحة تأمل روسيا في أن تتمكن من بناء حاجز وستار في منطقة القوقاز ضد الأصولية الإسلامية والنفذ التركي . أما أمريكا فهي تهم - بشكل أساسى - بنفط بحر القزوين ، وتفاعل مع مطالب الأقلية الأرمنية وتحث عن طرق توصلها إلى إيران كمركز للأصولية .

الطاقة النووية

عندما وقعت وزارة الصناعة النووية مع إيران اتفاقاً طويلاً الأمد يقضى بتأهيل العلماء الإيرانيين النوويين (على هامش بناء المفاعل النووي في بيشاور) ، نظرت الولايات المتحدة بعين الشك إلى بناء روسيا لعلاقات صداقة ومودة مع دولة تعتبرها واشنطن أمّا لكل الدول الشقيقة في العالم^(٢٥) .

ويمكن القول - بشكل واضح - إن بيع روسيا مفاعلات نووية لإيران لا يعد خرقاً لشروط اتفاقية عدم نشر الأسلحة النووية والموقعة عام ١٩٦٨ حيث إن إيران قامت بالتوقيع على هذه الاتفاقية ووافقت على شروطها ، والتي تسمح بالتفتيش على المواقع والمشروعات والمعامل النووية . إن روسيا تقوم ببيع المفاعلات لأن الغرب انزع منها أسواق أوروبا الشرقية ، والتي كانت تبيع لها محطات الطاقة النووية . وتعد الصفقة الإيرانية (والتي كانت قد شرعت فيها) هي الوسيلة لإنقاذ الصناعة النووية الروسية . اقترحت الحكومة الروسية في سبتمبر ١٩٩٧ على أمريكا إجراءات مشتركة للسيطرة على انتشار السلاح النووي . وهذا يظهر بوضوح الرغبة الروسية في عدم إثارة غضب الولايات المتحدة ، ولكن بنفس الدرجة عدم رغبتها في الانسحاب من سوق الطاقة النووية . إن الافتراض أن طهران تحاول شراء مفاعلات للحصول على

بورانيوم مخصب يمكن أن يكون له أساس ، إلا أن هذا الشك لم يتم إثباته بعد ، ومن التسرع حمل قطاع صناعي كامل في روسيا للانهيار بناء على بعض الشكوك .

إن روسيا لم تنس كيف قام الجانب الأمريكي بوقف بناء مفاعلات نووية لانتاج الطاقة النووية في كوريا الشمالية ؛ مما حرم روسيا من هذه الصفة . وبعد أن افتعلت روسيا بوجهة نظر أمريكا بخطورة بناء مشروع من هذا القبيل (يمكن أن يوفر يورانيوم مخصب وبلوتونيوم لدولة تسعى بشكل رسمي لإعادة النظر في خريطة شبه الجزيرة الكورية) فقد قامت روسيا باتخاذ الخطوة الصعبة وإجراء محادثات غاية في الصعوبة في بيونج يانج ، وخرقت روسيا وعودها السابقة ، وأغلقت برنامج بناء المفاعلات النووية ، وبغض النظر عن أن كوريا الشمالية ولنصف قرن كانت تخضع لنفوذ روسيا فإن روسيا تخلت عن مكانتها هذه لأمريكا . غير أن الولايات المتحدة استغلت بشكل جيد واستفادت من روح التعاون هذه التي تبديها روسيا تجاهها . وأفقرت على القيادة الكورية الشمالية بناء مفاعلين بقيمة 4 مليارات دولار(بطبيعة الحال بعد الحصول على وعد بعد عدم تنفيذ البرنامج النووي الكوري الشمالي) . وفي الواقع الأمر فقد حدثت عملية اختطاف لأكبر مشروع كان يمكن أن تقوم به الصناعة النووية الروسية الأمر الذي وضع وزارة الصناعة النووية على حافة الانهيار ، وبعد هذه المناورة الأمريكية توصلت روسيا إلى نتيجة محددة وهي ألا تعول كثير على روح التفاهم المتبادل فيما يتعلق بالصفقات العقيقة ، وإن عليها التفكير فقط في مصالحها الخاصة واتخاذ كل السبل لتحقيق ذلك .

إن بيونج يانج غاضبة من التصرف الروسي ، والأmerican راضون تمام الرضا بتحقيق هذه الصفة مع كوريا الشمالية والصينيون سعداء (حيث إنهم أصبحوا الوصاية الوحيدة على كوريا الشمالية) وكل هذا من وجهة نظر موسكو لا يمكن تكراره .

وشكل عام يجب القول إن التصور حول مدى لاستعداد الذي يجب أن تبديه الدبلوماسية الروسية لفهم المصالح الأمريكية قد تغير في روسيا ، وذلك رغم أن الكل يتفهم أهمية احترام رغبات أمريكا القوية .

لقد ولت فترة (١٩٨٨ - ١٩٩٣) إلى الماضي عندما كان الأمل في توحد روسيا من جديد مع الغرب يدفع روسيا لاحترام المصالح الإقليمية الأمريكية إلى أقصى حد . إن غياب التفاهم المتبدال والقسوة الشديدة من جانب أمريكا الشريك المضاد في التعامل مع كافة القضايا الكبير منها والصغير (من قضية توسيع الناتو وحتى خطف العمال التجاريين) كل هذا أفقد روسيا أحالمها وأوهامها ، وجعل منها قوة دولية أكثر مركزية تنظر إلى مصالحها الشخصية فقط . وإذا كانت أوروبا الكبرى من فانهوفر وحتى فلاديفostوK قد بدت سراياا فإن استعداد موسكو القوى لإظهار تفهمها تجاه شريكها الغربي الكبير فقد خاصية الآلية والمبادرة .

المختمة

لقد امتلكت روسيا -ولسنوات طويلة - التفوق على الغرب في الأسلحة التقليدية بما يعادل ٦٠ ألف دبابة (بالإضافة إلى ٤٤٠٠ دبابة جديدة يتم إنتاجها سنويًا) أعطت دعامة ذات وزن للقوات البرية السوفيتية ، إلا أن هذه الدعامة قد فقدت معناها في الوقت الحالي . فقد دفعت روسيا ثمناً لتطبيع علاقاتها مع الغرب أن قلصت هذا العدد إلى ٦٦٠٠ دبابة بالإضافة إلى انخفاض الإنتاج في مجال الأسلحة التقليدية بشكل عام . وما تم توفيره وتخزينه من أسلحة لا يكفي لأكثر من خمس إلى عشر سنوات ، وعندئذ سيكون لزاماً على روسيا أن تبني من جديد قوة عسكرية من المفترض أن تكون مؤثرة ، إلا أن هذا الطرح غير مقبول في موسكو .

يؤكد بيتر روذن الباحث في مركز نيكسون لدعم السلام والحرية أن روسيا ستقوم في المستقبل -وشكل أكثر نشاطاً بمعارضة أي مسعى للولايات المتحدة الأمريكية لأن تصبح القوة المهيمنة في العالم ، ولذا فإن المواجهات بين الدولتين ستزداد حسب رأيه .

فبعد عدة سنوات (١٩٨٨-١٩٩٣) ظلت روسيا فيها تقول (نعم) للسياسات الأمريكية على الدوام تبدل الأمور ، وأصبحت تعارض الولايات المتحدة على الساحة الدولية عن طريق بيعها للسلاح الروسي لدول (غير مناسبة من المنظور الأمريكي) وعن طريق المساعدات في بناء مفاعلات نووية في دول مثل إيران في خرق للرؤية الأمريكية بفكرة منع انتشار الأسلحة النووية ، كما تقوم روسيا أيضاً بمواجهة أمريكا ومعارضة سياساتها بتبنيها لموقف مستقل في أزمات دولية مثل أزمة يوغوسلافيا . إن تأثير إجراءات من هذا القبيل يجعل من مصطلح «الشراكة الإستراتيجية» غير ذى معنى ، وهو المصطلح الذى كان يتكرر بصفة دائمة في موسكو ، وكان الأمريكيون يرون فيه منطلاقاً لضم روسيا للمعسكر الغربي إلا أن الواقع بدا بالنسبة للباحثين الإستراتيجيين الروس أكثر قسوة وحمافة من المتوقع أن روسيا لا تتحمل ذنب عدم استقرار النظام العالمي الجديد ، بيد أن التناقضات الداخلية في روسيا أضافت شيئاً من عدم الاستقرار للصورة العامة .

ويصف السيد ت. بيكرنج السفير السابق للولايات المتحدة الأمريكية في موسكو الموقف قائلاً، يمكن اعتبار انهيار الاتحاد السوفيتي من المنظور الجيوسياسي نهاية توسيع إقليمي مطرد امتد لنحو ثلاثة عقود. إن روسيا الحديثة ارتدت إلى الشمال والشرق، وأصبحت تعانى من عزلة عن الغرب والشرق لم تعاين منها حتى القرن السابع عشر،^(٢٦).

وبطبيعة الحال فإن هناك فرقاً واحداً وكبيراً؛ فقد أنفقت مجاهدات وطنية ضخمة استثنائية لبناء قوى صناعية ونفس إستراتيجية تحول دون المساس بأى حدود تعتبرها روسيا تمس أمنها القومي لا يمكن المساس بها. إن الوضع الاقتصادي المأسوى، والذي يجتاح روسيا على مدى التسعينيات من القرن العشرين سيحدد إلى أى مدى يمكن لروسيا أن تستخدم كرد فعل عنصر القوة العسكرية وحتى الآن فإن التعاون العسكري مع الولايات المتحدة الأمريكية دائمًا كان يمثل عبداًإضافياً بالنسبة إلى روسيا. فروسيا بتأييدها لأمريكا في الخليج العربي فقدت عقوداً بالمليارات كانت قد أبرمتها مع العراق، كما أنها بانضمامها للولايات المتحدة في عزلها لدول مثل العراق ولبنانياً فقدت عملاء كباراً متلهفين لشراء الأسلحة الروسية، كما أن روسيا تخسر مليارات الروبلات بسبب الاشتراك في الحصار الذي فرضه الغرب على جمهورية الصرب؛ فهل تنوى الولايات المتحدة الأمريكية تعويض روسيا خسائرها؟ لقد تألفت أمريكا من حلفائها تعويضات مالية ضخمة نظير حملتها على العراق عام ١٩٩١ في حين أن روسيا لم تجن إلا الخسائر في كل مكان.

إن جوهر السياسة الخارجية الروسية حالياً يتمثل في مجموعة من التحركات والأفعال ردًا على المشاكل التي ظهرت مؤخرًا، وليس لدى الحكومة سياسة واضحة ومحددة ومدعومة من الرأي العام في مجال الأمن العالمي وتقليل الأسلحة وتحويل العملة. أما بخصوص ما تم إبرامه من اتفاقيات مع الولايات المتحدة في السابق فقد فقدت هذه الاتفاقيات جواهرها ومعناها، فتلك الوثائق القديمة لا يمكن اعتبارها أساساً لبناء علاقات جديدة؛ فواشنطن لا يمكنها تجاهل عدم خبرة السلطات الروسية في جوانب مهمه من العلاقات الثنائية. ومن الواضح أن القيادة الروسية تفتقد إلى التوحد

في قضية المدى الأقصى لتقليل القوات المسلحة والتسلیح ، كما أن ليس هناك خط سياسي واضح ودقيق (أو حتى اتفاق داخلي) بخصوص المشكلات الآتية : إمكانية اندلاع حرب كبير ، استخدام السلاح النووي ، أهمية مناطق معينة إستراتيجيا وغير ذلك . ويقوى انطباع بان طرق تعامل القيادة الروسية مع المشكلات تتبلور في كثير من الأحيان تحت تأثير مباشر من الولايات المتحدة ، وفي النهاية فإن النزاعات الإقليمية داخل حدود كومونولث الدول المستقلة أثبتت - بما لا يدع مجالاً للشك - أنها ظهرت بشكل مفاجئ وغير متوقع تماماً بالنسبة للقيادة الروسية .

وليس هناك من شك في أن أمريكا قلقة في المقام الأول بسبب غياب السيطرة المدنية على الجيش في روسيا ، كما تسود في أمريكا مخاوف متزايدة بشأن تخزين الأسلحة النووية ومراقبتها في مجتمع تعرض لهزات عنيفة مثل المجتمع الروسي . وسيكون أسوأ خبر بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية إذا علمت بقيام إحدى الفصائل المتنازعة داخل حدود كومونولث الدول المستقلة بالسيطرة على السلاح النووي . ولتحاشى إمكانية حدوث خطر كهذا فإن أمريكا تقدم معونة اقتصادية متخصصة (١٩٦٠ مليون دولار في ١٩٩٨) وهي على استعداد أيضاً أن تغفل بعض الشيء من مطالبها بشأن تسوية روسيا لبعض المسائل في نطاق المناطق التي كانت تنتهي للاتحاد السوفيتي السابق . إن هذا يعتبر فرصة جيدة لتخفييف حدة الرفض الصارم من قبل الولايات المتحدة لدور جديد تلعبه روسيا كضامن أساسى للاستقرار في دول الفضاء السوفيتي السابق . وعلى ذلك فإنه يمكن تقدير الصمت الأمريكي في الرد على إعلان روسيا حول استعدادها لدفع ثمن إنشاء ٣٠-٢٥ قاعدة عسكرية في نطاق دول كومونولث الدول المستقلة .

والتاريخ هنا يفرض سؤالاً : هل ستستطيع روسيا أن تتجاوز بسرعة أزمتها النظامية وأن تنشأ منظومة من الإحداثيات الجيوبيوليتيكية تحظى على اهتمام الرأى العام الروسي من ناحية وتكون مقبولة عالمياً (وشكل خاص من أمريكا) من ناحية ثانية ؟ وفي نهاية الأمر فإن التأثير الجيوبيوليتيكي لروسيا لن يتعدد بمقدار وكمية الدبابات أو حتى الصواريخ ، بل سيتعدد بإمكانية نجاح روسيا في أن تصبح من

الناحية الاقتصادية عملاً جيوبوليتيكياً مستقرًا في آسيا الأوّلية أو أنها ستتحول بعد فشلها الاقتصادي الذريع إلى بقعة نائية في العالم .

وشكل عام فإن الولايات المتحدة تأمل في أن تؤدي العلاقات الجديدة التي نشأت بين روسيا وحلف الأطلسي والاتحاد الأوروبي وكذلك تحويل «مجموعة السبع» إلى «مجموعة الثمانية»، بضم روسيا وتدعيم أهمية منظمة الأمن والتعاون الأوروبي وزيادة أهدافها ووظائفها (من المحتلم تأسيس مجلس أمن خاص يضم في عضويته أمريكا وروسيا ودول أوروبية محورية يعمل داخل إطار هذه المنظمة) يمكن أن يؤدي كل هذا - وفقاً للرغبة الأمريكية - إلى السماح للأمريكان بتأسيس علاقات طويلة وبناءة مع روسيا. واستخدام هذه الطريقة بالذات تأمل الإدارة الأمريكية في تحويل هذا الصنم البناء لروسيا للغرب إلى تعاون متبادل وملزم للطرفين .

وبحسب المساعدات الاقتصادية الأوّلية المتزايدة لروسيا وزيادة استثماراتها بها وتحسين الوضع الداخلي الروسي فإن هذا سيؤدي إلى تهيئة موسكو وموافقتها على الانضمام للمنظمة الغربية حتى لو لم تلعب بها الأدوار الأولى . وفي أمريكا يعلمون تماماً أن تقرير روسيا بنفسها لدورها في آسيا الأوّلية سيعتمد في المقام الأول هي عليها نفسها؛ بمعنى أن الولايات المتحدة برغم كل قوتها وعظمتها لن يكون لها تأثير على موسكو بالضرر الذي تأمله وفي الاتجاه الذي تنشده . والجدير بالذكر أن روسيا تمتلك ثروات طائلة؛ حيث يشير السيد بجيزينسكي واصفاً هذا الوضع بالرغم من أن أوروبا الغربية والصين نجحوا في تدعيم نفوذهم الإقليمي فإن روسيا ستبقى المسئولة عن الفضاء الأوسع والمساحة الأكبر في العالم تبدو بجوارها الولايات المتحدة والصين وحتى أوروبا الموسعة أقل حجماً بكثير وهذا بالرغم من أن كل من الاتحاد الأوروبي والصين قد تخطيا روسيا وفقاً للمؤشرات الاقتصادية . وفي هذه الظروف فإن القيادة السياسية في أمريكا ستصل إلى تفهم واضح لكون روسيا في النهاية تستطيع بنفسها أن تحل مشاكل تحديث كيانها الداخلي : والخطر الأكبر الذي يتهددها يتمثل في تحول الغرب للاستغلال الهدف والموجهة لدولة أوكرانيا بهدف محاصرة وتقيد المبادرة الروسية ، وذلك عن طريق خلق تناقضات داخلية في كيان كومونولث الدول المستقلة

واحداث تصدع داخلى به ومواجهات بين روسيا وأوكرانيا أكثر جيرانها تشابها في
السمات العرقية والحضارية .

إن إطلاق روسيا مسمى «الدول الأكثر قرباً» على دول الكومونولث ، والتي تم الاعتراف بها من جانب هيئة الأمم المتحدة ، وكذلك محاولات روسيا تأسيس مذهب خاص بها في هذه المنطقة ، وأن تعبّر بشكل دعوب عن سعيها لشغل دور الوسيط في جميع المشكلات المندلعة بين جيرانها . كل هذا يثير غيظ الغرب . يؤكّد بعض المتخصصين (بجيزيسيكى ود . بايس) أنه على روسيا أن لا تتحرّك للتوصل إلى تفاهم مع الغرب ولو بمقدار بوصة واحدة : «فهذا فقط من شأنه أن يثير شهية هؤلاء القوميين الذين يفسرون تنازلات أمريكا كدليل على حالة القلق العام ورغبة العالم في ضم روسيا إلى أحضان المجتمع الدولي والاستعداد لإظهار ضبط النفس والصبر الشديد ردًا على أي سلوك روسي . لا يجب السماح لموسكو بزيادة ومضايقة قواتها على الحدود الجنوبية خرقاً لاتفاقية ١٩٩٠ حول الأسلحة التقليدية في أوروبا وبهدف إخافة جيرانها السابقين في الاتحاد السوفياتي .^(٢٧)

إن روسيا تحاول أن تظل دولة كبرى قوية ، وأن تتصرف من هذا المنطلق في ظل الظروف المأساوية التي تعيشها ، وهذا الموقف واضح وبين للجميع . ولن يشهد المستقبل أي تغيير في هذا الموقف الروسي ، بل على العكس سيتجلى هذا الموقف بشكل أكثر حدة ووضوح ، وهذا يمثل التهديد الأكبر بفقدان السلام بين روسيا وأمريكا ، والذي تم عقد اتفاقيته في عام ١٩٩١ . وقد عبر مساعد وزير الخارجية ستروب تالبوت عن تلك المخاوف الرسمية قائلاً ، لأن روسيا تحدد أهدافاً خاصة بها وتحاول الابتعاد عن الغرب اقتصادياً فإننا من الممكن أن نواجه احتداماً في التوتر بينما وبين روسيا بسبب مشكلات دبلوماسية ومشكلة الأمن ،^(٢٨) ولا يتوقع المسؤولون الأمريكيون رفع مستوى العودة إلى زمن المواجهة مع موسكو ، إلا أنهم اختصرّوا أهدافهم وأحلامهم فيما يتعلق بالتعامل مع موضوع الشراكة الروسية الأمريكية .

وتشير «مجلة نيوزويك» إلى أن «الخطأ الأكبر لأمريكا يتمثل في عدم القدرة على تفهم كون أن المنظومة التي أدخلها إصلاحيو يلسين لم تؤدِ إلا إلى زيادة معدل الفساد

الإداري والفووضى ، كما أن إدارة كلينتون لم تنصت إلى التحذيرات التى تفید بأن بعض أفراد فريق يلتسين أثروا بفضل عملية الإصلاح هذه، (٢٩) .

ونقف الولايات المتحدة الأمريكية أمام اختبار صعب (كما تشير صحيفة يواس إيه تودى اليومية) ؛ أما ،مواصلة تقديم المساعدة التى على الأغلب سيتم إهدارها سدى أو التراجع ، وتزيد بذلك الفجوة القائمة بيننا وبين الشعب الروسي الأمر الذى سيؤدى إلى تشجيع النزعة القومية والمواجهة الدولية، (٣٠) .

ويشير الباحث السياسي ش جارييت إلى أن آسيا الأوربية ستتعرض فى القرن القادم لدعوات ونداءات كثيرة بضرورة القبول بتعاون غربى (وبالدرجة الأولى أمريكي) روسي الذى من شأنه أن يفید هذه المنطقة أكثر مما لو غاب هذا التعاون . إن عدم الثقة المتبادل وعدم تنفيذ الوعود سيؤدى إلى إضعاف أسس التعاون ، ويقع جزء من الذنب على الغرب إلا أن روسيا أيضا يجب أن تفهم الواقع الاستراتيجي للعالم المعاصر ، وأن تتصرف بما يتوافق وهذا الواقع، (٣١) .

إن حل مشكلة تجنب حرب باردة جديدة ومواجهة جديدة - وهى المشكلة الأهم حاليا - يعتمد بشكل أساسى على درجة تفهم كل من الولايات المتحدة وروسيا لاهتمامات وقلق الطرف الآخر . إن موسكو وواشنطن يجب عليهما أن يحددا أسلوبًا للتعايش فى وفاق معاً ولا يؤدى إلى استخدام القوة لحل المنازعات ، ولتحقيق هذا الهدف من الضرورى التحليل الواقعى لدوافع الطرف الآخر وتفهم أهدافه والأهم من ذلك الاستعداد لإيجاد حلول وسط عندما تتناقض الظروف الخارجية مع العلاقات المتكافلة بين البلدين .

مراجع الفصل الثالث

- 1-Brzezinski zb. A geostrategy for Eurasia // Foreign Affairs. Sept.- Oct. .1997.P.50-51.
- 2-Menon R. The Strategic Convergence Between Russia and China // Survival. Summer 1997.P.104.
- 3-WashingtonTimes. June 15.1998.
- 4-US Department of State Dispash. November 22, 1993. P.797-799.
- 5-Mandelbaum M. Westernizing Russia and China // Foreign Affairs.may-june 1997.P80.
- 6-Blaker C. Russia and the West M. Mandelbaum (ed.) // The New Russian Foreign Policy . N-T.,1998 /P/.181.
- 7-Kurth J. The Adolescent Empire and the Imperial Idea // National Interest. Summer 1997.P.14.
- 8-Directory of Trade Statistics Yearbook. Washington: International Monetary Fund,1997.P.380-381.
- 9-Blacker C. Russia and the West / M. Mandelbaum (ed.)// The New Russian Foreign Policy .N.Y.,1998.p.190.
- 10- Ibid. P. 192.
- 11-Mandelbaum M. Westernizing Russia and China // foreign Affairs. May - June 1997.
- 12-Ibid. P.87.
- 13-Washington Times. June 15, 1998.
- 14-Garnett Sh. Russia's Illusory Ambitions // Foreign Affairs. Marsh-April 1997.P.67.
- 15-Brzezinski Zb. A Geostrategy for Eurasia // Foreign Affairs. Sept.- Oct. 1997.P.52.
- 16-Mandelbaum M. Preserving the New Peace . The Case Against NATO Expansion // Foreign Affairs, May-June 1997.P.10.
- 17-Aslund A. Eurasia Letter: Ukraine's Turnaround // Foreign Policy. Fall, 1996.P.133.
- 18-National Interest. Summer 1997.P.45.
- 19-Ibid.P.43.

- 20-Pipes R. Is Russia Still an Enmy? // Foreign Affairs. Sept.- Oct.1997.P.73.
- 21-Ibid.p.37.
- 22-Menon R. In The Shadow of the Bear. Security in Post- Soviet Central Asia // international Security . Summer 1995.P.179.
- 23-Keller W., Nolan J. The Arms Trade: Business as Usual? // Foreign Policy.Winter 1997/1998.P.116.
- 24-Ibid.P.124.
- 25-Blacker C. Russia and the West / M. Mandelbaum (ed.) The New Russian Foreign Policy. N.Y.,1998.P.182.
- 26-A Geostrategy for Eurasia // Foreign Affairs . Sept.- Oct. 1997.P.56.
- 27-Pipes R. Is Russia Still an Enemy? // Foreign Affairs. Sept.- Oct.1997.P.77-78.
- 28-Washington Post . December 2, 1998.
- 29-Newsweek. December 7, 1998.P.27.
- 30-USA Today. September 1, 1998.
- 31-Garnett Sh. Russian's Illusory Ambitions // Foreign Affairs. March- April 1997.P.76

الفصل الرابع

الخلفاء الأطلسيون

إن المحور الأطلسي يعد المحور الأساسي بالنسبة للولايات المتحدة ، وسيظل كذلك في القرن الواحد والعشرين . وأسباب ذلك واضحة ، وتمثل في أن القدرة الاقتصادية والعسكرية الأكبر في العالم تتركز في منطقة شمال الأطلسي ، ويعيش في هذه المنطقة أناس ينتمون إلى حضارة موحدة وتراث تاريخي وثقافي عام ، كما أنها تمتلك قدرات علمية وتصناعية هائلة ، ويسود اعتقاد راسخ في واشنطن بأن أمريكا هي دولة أوروبية ، وتمثل المهمة الأساسية لواشنطن بعد انتهاء الحرب الباردة في ردع أي قوى انفصالية في أوروبا والحد من إمكانيات القوى المستقلة ووضع حد للغموض الذي وقعت فيه أوروبا ، وتتجدد الآليات الفاعلة إبان الحرب الباردة وتحقيق التنسيق في السياسات بينها وبين أوروبا ، وأصبحت المهمة القومية بالنسبة للولايات المتحدة تتمثل في إيقاف حدة التناحر في السياسات والبرامج بينها .

أهمية المنطقة

يبلغ تعداد العالم الغربي (حوالى ٨٠٠ مليون نسمة) تمثل ١٣ % من حجم السكان العالمي ، وطبقاً للنبؤات فإن هذا العدد في التناقص بحيث سيصل إلى ١٠ % في عام ٢٠٢٠ (ويذلك يأتي في مرتبة متاخرة بعد كل الحضارات الصينية والهندية والإسلامية) إلا أن هذه الكتلة البشرية ستكون الأكثر علمًا وتسلحاً بالتقنيولوجيا . ويخدم في صفوف جيوش الدول الغربية قرابة الثمانية ملايين جندي مجهزين بأحدث المعدات العسكرية ، وتمثل بذلك أقوى تكتل عسكري في العالم ^(١) . وعلى مدى عام تقريباً ظل نصيب الغرب يمثل ثلثى الناتج الصناعي العالمي وبلغ أقصى مدى عام ١٩٢٨ حيث بلغ ٤٨,٢ % ثم انخفض في عام ١٩٥٠ إلى ٤٦ % وفي عام ١٩٩٤ إلى ٤٨,٨ % وطبقاً للنبؤات فإنه - ومع حلول عام ٢٠١٥ سيستمر الانخفاض ليصل إلى ٣٠ % إلا أن الجودة النوعية لهذا النصيب ، والتي تعتمد على ما تم تحقيقه من ثورة علمية وتقنيولوجية ستكون الأفضل في العالم .

ويبين أكبر ٥٠٠ شركة عالمية في عام ١٩٩٩ كان هناك ٢٥٤ شركة أمريكية و١٧٣ شركة تنتهي لدول أوروبا الغربية يمثلون سوياً الأغلبية العظمى (وتظل اليابان زعيمة آسيا وتحتل فقط ٤٦ شركة منها) ^(٢) . وستظل أمريكا وأوروبا الغربية لفترة طويلة في القرن الواحد والعشرين قلب التكنولوجيا الحديثة والعلم والإنتاج ، وتعتمد سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه أوروبا الغربية على قاعدتين أساسيتين :

* من خلال حلف الناتو والتواجد العسكري الأمريكي في أوروبا الذي يمنحها ميزة السيطرة على أوروبا ، ويقول السيد لين «إن فقط حلف الفاقد القوة مع أمريكا الدولة العظمى يمكنه تحاشي تراجع أوروبا نحو النزاعات القومية وابتعادها عن مستوى التعاون الاقتصادي السياسي الذي حققه حاليا» ^(٣) .

* من خلال نشاط فروع الشركات والاستثمارات والتجارة في البضائع عالية التكنولوجيا؛ حيث تستطيع أمريكا التحكم في بعض النمو الاقتصادي في المنطقة . ويأمل الأمريكيون في أن يحتاج الأوروبيون دائماً وأبداً إليهم بسبب المخاوف التي يعانون منها؛ حيث تخشى فرنسا التفوق الألماني وتخشى ألمانيا إعادة بناء روسيا جيشها ، في حين تخشى بريطانيا توحيد القارة دون مشاركتها ، ويخشى الاتحاد الأوروبي مشاكل عدم الاستقرار في منطقة البلقان وتخشى دول وسط وشرق أوروبا أن تقع بين فكي روسيا وألمانيا . وفي أمريكا يسود إحساس كبير بالثقة ، والتي عبر عنها بشكل واضح المحل المتحفظ إيرفين كريستول قائلاً «لقد كتب على أوروبا أن تصبح محمية أمريكية ذات سيادة وهمية» ^(٤) .

ويغضن النظر عن القدرة الأمريكية الهائلة وإمكانيات الدولة العظمى الوحيدة في العالم فإن الأمريكيين يغضون النظر عن حقيقة أنه بعد انتهاء ضغوط الحرب الباردة فقد العالم القديم إحساس التوحيد مع العالم الجديد ، وأصبح ينتهي سياسة لا تسير بشكل متوازن مع السياسة الأمريكية ، ومضي الوقت الذي كان يدرس فيه للطلاب الأمريكيين أساتذة أوربيون من المهاجرين .

ويذكر السيد زيهيرمان ، الذي يعمل مستشاراً في الحكومة الأمريكية أنه منذ عشر سنوات عندما كان يكتب خطاباً لوزير الخارجية جيمس بيكر أشاروا إلى أنه أولى

مساحة كبيرة من الخطاب لأوروبا في الوقت الذي كانت فيه آسيا هي الساحة التي تشهد التطورات التاريخية المهمة أما أوروبا فكانت مثل القبعة المتماكلة . هذا الضعف في الاهتمام الأمريكي تجاه أوروبا أدى إلى ظهور شعور معاداة كل ما هو أمريكي يتزايد مع الأيام وبالرغم من كل ما يحدث . وغداً سيكون تأثير أوروبا الموحدة على العالم كبيراً جداً ، وسيكون من المحموم أن تنفق الكثير من أجل تأمين نفسها بالحصول على صداقتها .

إن إعادة بناء قوة مستقلة في أوروبا الغربية يجعل مشكلة الأمن التي ماتت أيام الحرب الباردة مشكلة ملحة وحادة . إن واشنطن كانت تريد رؤية أوروبا الغربية واليابان أقوياء بالقدر الكافي الذي يمكنهم من الدعم في الصراع ضد الاتحاد السوفيتي ، ولكنهم لا يريدونهم أقوياء بالقدر الكافي لتحدي أمريكا نفسها وزعامتها العالمية . وما يقلق الولايات المتحدة على وجه الخصوص هو إعادة بناء القوة الألمانية . إن الولايات المتحدة تأمل في الحفاظ على تفوقها الجيوبيولوجي على أوروبا الغربية .^(٥)

إلا أن - وطبقاً للنتيجة التي يصل إليهالين - دروس التاريخ العالمي علمتنا أن الضعفاء يتحدون دائماً ضد القوة المهيمنة . إن سياسة القطب الواحد - وهي السياسة ذاتها التي اتبعتها مادلين أولبرايت - تلقى مقاومة من قبل حلفاء أمريكا من دول شمال الأطلسي . ولدى العواصم الأوروبية الرئيسية مثل برلين ولندن وباريس اعتراضات وادعاءات ضد زعيم الساحة السياسية العالمية الحديثة . وعلى امتداد قرن كامل فقدت هذه العواصم الثلاث مكانها كمراكز عالمية في سبيل إنشاء العملاق الأطلسي الشمالي ، وهو خطأ تاريخي لا يمكن أن يقبله أحد . ومن الواضح أن كلاً من العواصم الثلاث الكبرى تبحث عن الطريق لاسترجاع هيمنتها ويسعون جادين لرفع الوزن الدولي للاتحاد الأوروبي عن طريق توحيد الجهود وصياغة إستراتيجية خاصة بها .

إن فكرة أوروبا الغربية الأقل تبعية لأمريكا تلقى يوماً بعد يوماً اعترافاً وتقديراً رغم كل الصعوبات التي تواجه عملية الاتحاد في أوروبا . إن صياغة تعريف واضح وأصلى

لأوروبا الغربية، والذي يختلف عن الوجه السياسي الأمريكي سيتم عندما تستطيع الدول الكبرى الثلاث في أوروبا (ألمانيا - فرنسا - إنجلترا) أن تجد أساسا للتنسيق فيما بين برامجها و سياساتها وجهودها الدافعية المشتركة .

إن الانتصار الذي حققه جيرهارد شرودر في انتخابات سبتمبر 1998 خلق المقدمات الضرورية لذلك وخطوة ضرورية على هذا الاتجاه كان من الممكن أن يتم تشكيل ما يشبه إدارة أوروبية ثلاثة . إن هذا من شأنه أن يقلل من مخاوف فرنسا من ألمانيا الكبرى ومخاوف برلين من روسيا الجديدة . إن قوة الدول الثلاث معًا تقارب مستوى المؤشرات الأمريكية ؛ ففي عام 1998 بلغ حجم الناتج الإجمالي للاتحاد الأوروبي 19,8 % من الناتج العالمي محليا المركز الثاني بعد أمريكا التي حققت 20,4 %^(٦) .

إن السيطرة السياسية والعسكرية على هذه المنطقة تعني أن نصف اقتصاد العالم تقريبا لن يستطيع معارضته الإرادة الأمريكية ، وقد كان توفير تلك السيطرة شيئاً صعباً؛ حيث إن الاتحاد المنظم والمستقر لم يكن أبداً صفة مميزة للغرب ، كما أن الاتجاهات المعادية لأوروبا في الإستراتيجية الأمريكية العالمية ليست بجديدة . وكما يقول كل من ولIAM ويلس ويان جيلونكا فإن الولايات المتحدة بناها المهاجرون الذين أقوا بمعاعير اليأس التي حملوها من العالم القديم من أجل الأمل في العالم الجديد . وكان رجال الأعمال والسياسيون في نهاية القرن 19 يؤمنون بأن أمريكا تمثل المستقبل المأمول والواهр ، في حين أن أوروبا تمثل الماضي الضعيف . وخلال حربين عالميتين عبر الأمريكيون الأطلسيون لكي يحلوا النزاعات التي لم يستطع الأوروبيون أنفسهم حلها . وبعد عام 1945 فإن النصيحة الأمريكية لأوروبا كانت تقول «افعلوا كما نفعل» ، وأسسوا الولايات المتحدة الأوروبية التي ستصبح شريكا ملائماً لأمريكا في إطار الاتحاد الغربي^(٧) .

إلا أنه وب مجرد أن أخذ توفر فترة الحرب الباردة ، والذي وحد مصالح أوروبا وأمريكا في الاختفاء بدأت تظهر خلافات في مواقف كلا الطرفين وعدم تفاهم متبادل وتباعد في المصالح ، وظهرت ثلاثة اتجاهات قوية .

الاتجاهات الثلاثة

الاتجاه الأول : تحدد بشكل كبير في فترة التسعينيات التباين في معدلات النمو الاقتصادي ؛ ففي الولايات المتحدة الأمريكية حدثت طفرة اقتصادية ضخمة من عام ١٩٩٢ حيث استطاعت الدولة على امتداد الثمان سنوات الأخيرة أن تتفز قفزة هائلة إلى الأمام ؛ حيث استطاعت خلال فترة حكم الرئيس كلينتون الأولى أن تصيف إلى حجم الناتج الإجمالي القومي ما قيمته حجم الناتج القومي لألمانيا الموحدة بأكملها وفي فترة حكم كلينتون الثانية استطاعت زيادة قدراتها الاقتصادية بما قيمته الناتج القومي للإيطاليا . استطاعت أمريكا أن تدعم موقعها في الثورة العلمية التكنولوجية ، أما أوروبا الغربية فقد نازلت عن بعض مواقعها لأمريكا ؛ حيث تباطأت في هذه الفترة معدلات النمو الاقتصادي في أوروبا . وقد سجل في الولايات المتحدة أقل معدل بطالة على مدى ربع القرن الأخير . أما أوروبا الغربية فقد سجلت الأعوام الأخيرة بها أعلى معدل بطالة وتقترح لجنة الاتحاد الأوروبي خطة لتوفير ١٥ مليون فرصة عمل جديدة بهدف التغلب على مشكلة البطالة ، والتي تتمثل ١٢ % من حجم الطاقة العاملة . وحتى يحدث ذلك فإن هذه المشكلة تكافف الاتحاد الأوروبي ما يقرب من ٢٢٦ مليار دولار تذهب في كفالة العاطلين عن العمل ، وهو الرقم الذي يعادل إجمالي الناتج القومي لدول مثل بلجيكا (أو نصف الناتج القومي الروسي) . وفي فبراير ١٩٩٨ سجلت البطالة في ألمانيا معدلاً أعلى مما كانت عليه عام ١٩٣٣ عندما قام هتلر بالاستيلاء على الحكم في ألمانيا متهمًا السلطات بعجزها عن حل مشكلة البطالة .

الاتجاه الثاني : التباين في توجه المساعي التوحيدية والتكاملية ؛ فعلى امتداد التسعينيات قامت كل من المنطقتين (أمريكا) - (الغرب) بمساعٍ قوية لتشكيل تحالفات إقليمية في مناطقها، الأمر الذي أدى إلى خلط توجه سياساتها الخارجية ؛ فقد أنشأت واشنطن رابطة التجارة الحرة لدولة أمريكا الشمالية (نافتا) في حين قامت أوروبا الغربية في الفترة بين معاهدة ماستريخت ١٩٩٢ واستخدم اليورو ١٩٩٩ بدعم عملية التكامل والتوحد بين دول أوروبا الغربية في مسعى حثيث لتوحيد العملة .

وإذا كانت الولايات المتحدة رأت أن مستقبلها مرتبط بشكل كبير بكندا والمكسيك - جيرانها المباشرين في أمريكا الشمالية فإن الاتحاد الأوروبي قد دعم من توجهه الشمالي نحو دول الشمال الإسكندنافية (السويد- فنلندا) وبدأ بكل طاقتة يتحول نحو أوروبا الشرقية . إن قرار واشنطن النهائي بربط مصيرها بمصير المكسيك الدولة النامية ديمغرافيًّا واقتصاديًّا (ووراء المكسيك هناك إمكانية لإقامة علاقات أقوى مع شيلي ودول أخرى من دول الجنوب) . قرار من هذا النوع يمكن أن يغير بشكل كبير الوجه الأنثويولوجي للولايات المتحدة وبعنصد بشكل أكبر من عنصر أمريكا اللاتينية في الفسيفساء الأمريكية الشمالية . وفي نفس الوقت فإن الترابط بين أوروبا الغربية وأوروبا الشرقية الخريطة الإثنية لأوروبا الغربية . وفي كلتا المنطقتين تضعف - بشكل متزايد - الخاصية التي توحد العنصر الألماني الأنجلوساكسوني الذي يفقد أهميته في كل من أمريكا الشمالية واتحاد دول أوروبا الغربية . إن الوجه الأنثويولوجي للولايات المتحدة وأوروبا المتغير لا يعمل على التقارب بين المعسكرين (مثله مثل توجه مبادراتها السياسية والاقتصادية المباشرة) ومن الواضح أن أوروبا الغربية الوليدة لا تتصور نفسها مجموعة من الدول المستقلة المطلقة أو اتحاد حكومات أسمى . إن قوة الاتحاد الأوروبي ليست مركبة؛ حيث تتوزع بين العاصمة الاسمية للاتحاد الأوروبي بروكسل وبين العاصمة الأخرى . وهناك افتقاد ليس فقط للهدف العام والمشترك ، بل وللتفهم الواحد لحقيقة ما إذا كان الاتحاد الأوروبي سيتحول في نهاية ثورته هذه في ظل التباعد بين برلين وباريس ولندن في روئتهم المستقبل . خلفية مركبة الأفعال الأمريكية يعد هذا ضعفًا جيوبوليتيكيًّا مؤكداً ولا شك فيه .

إن الاختلافات بين أمريكا والمعسكر الأوروبي الغربي واضحة ، وهي لا تتمثل فقط في اختلافات في الفترة والإمكانات ، بل وفي التاريخ وأسلوب الحياة والفسيولوجيا الوطنية . وهذا تجدر الإشارة إلى ما قالته مارجريت تانشر، إننا لم نكن أبداً على مر التاريخ محظيين ، ولم نكن مستعمررين ، أما هم (الفرنسيون والألمان) فكانوا إما منهزمين أو محررين ... إن أوروبا ما زالت عليها أن تنضج أكثر. ^(٨).

الاتجاه الثالث : التوجه الجيوبيوليتيكي المختلف ؛ فبعد انتهاء الحرب الباردة توجه الولايات المتحدة كل طاقتها نحو تحاشي أي تهديد لأمريكا ونحو الحفاظ على التفوق الأمريكي في العالم . في حين أن أوروبا الغربية ترى مصالحها داخل نطاق أوروبا، وتحدد نفسها في أهداف ووظائف دفاعية في محيط البحر المتوسط ونهر الدانوب . إن هذا الاتجاه العالمي الأمريكي ، وهذا التمركز الإقليمي الأوروبي يضع كلا المعسكرين الغربيين في مواضع متباعدة ومختلفة من حيث المبدأ .

ولا تقوم أي دولة من دول أوروبا العظمى في يومنا هذا بحمل راية أوروبا أو راية الأطلسي والقيام بمبادرة بهدف قيادة هذا التجمع الإقليمي للأمام . حتى ألمانيا بقيادة شرودر لا تخاطر باتخاذ هذه الخطوة حتى لا تخيف الجيران الأوروبيين ، وحتى بريطانيا بقيادة بلير تخشى أن تبدو كونها الدولة التابعة لأمريكا أكثر من اللازم في حين أن فرنسا لا تشعر أن لديها القوة الضرورية لذلك أو التأييد اللازم من الدول الصغيرة . أما مشروع العملة الأوروبية الموحدة ، وهو أكثر المشروعات الحقيقة المشتركة الدافعة للأمام فيعد مهماً في حد ذاته (وطبقاً للنتائج المترتبة عليه) إلا أنه حتى تنفيذه لا يعطي أساساً للحديث عن (صوت واحد) ونظام أوربي جماعي وميلاد لأيديولوجيا أوروبية رئيسية . إن أهم مدلولات هذا المشروع تتمثل في تدعيم محور (باريس - برلين) وهذا التباين وتلك الاختلافات تتدعم وتتركز بما يجري من مشاريع بناء عسكرية في كلا المنطقتين (أمريكا - أوروبا) . فقد قامت الولايات المتحدة بتقليل محدود جداً ل معدل بناء قواتها العسكرية (بالمقارنة لمعدلات العشر سنوات السابقة ، والتي شهدت نشاط مكثف في هذا المجال) في حين أن أوروبا الغربية تخلفت بشكل كبير عن شريكها الولايات المتحدة في مجال الأبحاث العسكرية والتحديث . إن الحصول على القوة يعني بالنسبة للولايات المتحدة السيطرة العامة والشاملة على العالم في حين أنها تعنى بالنسبة لأوروبا الغربية فرض السيطرة في حدود جبل طارق وبولندا والدول الإسكندنافية والبلقان . ويدعم هذا التباين الواضح الثورة الحقيقة في المجال العسكري . وفي حين تبدو عناصر تحقيق التفوق العسكري غير ممكنة بالنسبة لأوروبا فإنها تبدو بالنسبة لأمريكا عناصر ضرورية ومهمة . وتتمثل

هذه العناصر في إنشاء منظومة تجسس من خلال الأقمار الصناعية وتحديث القوات المسلحة بأحدث الأجهزة الإلكترونية واستخدام أحدث أشكال التكنولوجيا الإلكترونية في مجال الاستخبارات وإنشاء اثنى عشرة مجموعة من حاملات الطائرات و جبل 4C+SR جديد من تكنولوجيا الطيران . وباختصار شديد كل ما يطلق عليه الأمريكان (التجسس والاستخبارات بالإضافة إلى القيادة والسيطرة والتقييم واستخدام تكنولوجيا الكمبيوتر في كل شيء) . ولقد وصلت الولايات المتحدة إلى القمة في مجال معدلات التفوق العسكري ، إلا أنهم لا يربطون بين نموهم العسكري هذا واشتراكهم في حلف الأطلسي .

وهكذا فإن الإرادة غير الكافية لأوروبا الغربية في مجال تحقيق الثورة العلمية والصناعية تضع كلا من المعسكرين في درجات مختلفة من التفوق العسكري الإستراتيجي . وهكذا يمكن تلخيص الاتجاهات الثلاثة المشار إليها على النحو التالي : يرى كل من الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي في العالم نفسه بشكل مختلف عن الآخر ، كما أن لكل منهما وجهة نظر ورؤية مختلفة لكثير من الأحداث والمشكلات العالمية ، كما أن كل منهم يشكل مصالحه بشكل مختلف ، وبشكل عام لا يحدث تقارب بين كل منهما والآخر ، بل على الآخر يسير كل منهما في اتجاه مختلف . إن تأثير المجتمع لهذه العمليات الثلاث واحد ؛ فكل هذه العوامل تساعد على ابتعاد أوروبا الغربية أكثر عن أمريكا .

وهكذا يمكن صياغة الموقف العالمي الذي تكون مع بداية القرن الحادى والعشرين على النحو التالي : إن الناتو - رغم كل ما يقال - يظل منظمة عسكرية عبر المحيطات تترأسها وتقودها الولايات المتحدة . أما الاتحاد الأوروبي - الكتلة الاقتصادية الإقليمية - فتقوده ألمانيا الديمقراطية الاشتراكية الجديدة التي كفت لنفسها تأييد الزعماء الاشتراكيين في إنجلترا وفرنسا - بлер وجوسپان . ويقال عن الاتحاد الأوروبي إن أوروبا تسير حيث تسير ألمانيا ، ويشير الألمان أنفسهم أن الجغرافيا والتاريخ قد وضعنا ألمانيا في مركز التطور الأوروبي (وكانت هذه هي الجملة المفضلة لوزير الخارجية الألماني السابق جيرهارد جينشر) . وقد اعترف الرئيس الأمريكي كلينتون

بشكل ما بهذه الحقيقة عندما تعامل مع ألمانيا كونها الشريك المضاد لأمريكا في أوروبا قبل أي شيء . ويمثل الناتج الإجمالي القومي الألماني ٢,٢ تريليون دولار وهو بذلك يفوق بكثير الناتج الإجمالي القومي لفرنسا وبريطانيا (يبلغ في كل منها ١,٣ تريليون دولار) .

ويتحدث الألمان حاليا حول أن عملية (أوروبا) ألمانيا قد انتهت ، وأن بلادهم أصبحت تتزعم أقوى الدول الأوروبية ذات البنية القوية ؛ فهل ستحدث عملية (المنة، تغليب الطابع الألماني) لأوروبا ؟ ليس من الممكن تأكيد أن مخاوف الصهاينة السابقين لألمانيا وأمال الألمان في التطور الحالي للظروف (عندما تسقط أوروبا الشرقية والوسطى في أحضان ألمانيا) ليس لها أي أساس .

ومهمة الولايات المتحدة في هذا الموقف تتمثل في الحفاظ على قواتها العسكرية المتمرضة في ألمانيا ودعم حلف الأطلنطي وتقويته وتحاشى أن يكون للاتحاد الأوروبي دور سياسي أو عسكري . وإذا نجحت الولايات المتحدة من تحقيق ذلك فإن القرن الواحد والعشرين سيشهد بقاء الاتحاد الأوروبي منطقة تحت الوصاية الأمريكية وضمان لقمة ومناعة الواقع الأمريكية في العالم .

ويظهر هنا سؤال مرتبط بما قيل سابقا ، لماذا تقوم الولايات المتحدة رغم كل هذا بدعم موضوع توسيع الاتحاد الأوروبي ؟ هناك رأي شائع يرى أن واشنطن بمساندتها لموضوع توسيع عضوية الاتحاد الأوروبي تحاول بذلك العد من محاولات تعميق التكامل والإبطاء من سرعتها ، وأن من المفيد أكثر لأمريكا وجود تجمع واسع غير متلاحم بشكل قوى لا يمتلك إستراتيجية عالمية شاملة واضحة .

إن الولايات المتحدة تخشى تحول العملة الأوروبية الموحدة اليورو إلى عملة منافسة لها وزن مماثل للدولار الأمريكي في منظومة الحسابات الدولية . إن الاتحاد الأوروبي الأقل تكتلا لن يستطيع الوقوف ضد أمريكا في الصراعات المتفرقة في إطار منظمة التجارة العالمية وفي جولات المباحثات والمفاوضات الدورية حول خفض التعريفة الجمركية .

تحدي الاتحاد الأوروبي

يتفهم الأوروبيون - بشكل جيد - أنه بدون تقارب واضح بين المكونات العسكرية والبرامج السياسية بين دولهم فإن أوروبا ليس لديها أي فرصة ولو حتى ضئيلة في مواجهة الهيمنة الأمريكية وحتى الإنجليز تفهموا ذلك جيدا ، ولذا فقد صناعوها بشكل جاد نصيبهم في المشاركة في مشاريع الإنتاج العربي المشتركة بين دول أوروبا الغربية . وفي اللقاء الذي جمع بين الرئيس الفرنسي چاك شيراك ورئيس وزراء بريطانيا چون ميجور في نوفمبر ١٩٩٤ تم الاتفاق على إنشاء تحالف جوي فرنسي إنجليزي موحد له أركان مشتركة وعلى تلك طائرات مدمرة وإجراء مناورات مشتركة ... وغير ذلك (وفي هذا الوقت بالتحديد وربما هي المرة الوحيدة في التسعينيات حاولت الدبلوماسية الروسية التأثير على العلاقات المتباينة بين الحلفاء الأطلسيين ، وقام وزير الخارجية الروسي كوزيريف أثناء زيارته الطويلة إلى باريس ، والتي امتدت لأسبوع بتقديم ملخص للقادة الفرنسيين حول رؤيته لطرق تنظيم وبناء أوروبا : الطريقة الأمريكية وتقوم على أساس تفهم المكانة الرئيسية لألمانيا والطريقة الأخرى والأكثر قبولا لدى أغلبية الأوروبيين ، وتقوم على أساس البناء الجماعي لكل من روسيا وبريطانيا وفرنسا ، ولم يكن الغرب الأوروبي مستعدا للتغيرات حادة من هذا القبيل برغم رغبته الشديدة في إثبات ذاته ، ولذلك فإن مبادرة كوزيريف ذهبت أدراج الرياح) .

وفي هذا الوقت لم يهتم الرئيس الفرنسي چاك شيراك ، والذى وصل لتوه إلى السلطة بإجراء تحالف أو اتحاد مع روسيا الصنعية ، بل سار فى طريق تحقيق التحالف على المحور الفرنسي - الألماني ؛ حيث أشار علنا إلى أن التفاهم الفرنسي الألماني المتبدال يعتبر «شرطًا ضروريًا ، ولكنه ليس كافياً لبناء أوروبا ، حيث لا يمكن أن يتم هذا البناء دون شراكة بريطانيا .

وقد أولى رئيس الوزراء البريطاني چون ميجور أهمية كبيرة بتصريحات شيراك هذه ، وشبهها «بتيار الهواء المنعش»، وتم اتخاذ قرار بإجراء تدريبات مشتركة للجند

البحار ومناورات مشتركة للقوات البحرية . وقد أشار ميجور بشكل مشدد إلى أن بريطانيا تملك قطاعاً عريضاً من المشروعات المشتركة مع فرنسا أكثر من أي دولة أخرى^(١) .

ففي هذا الوقت اعترف جنرال فرنسي رفيع أنه خلال التسعينيات من القرن الماضي تعرض التحالف العسكري الغربي لتغيرات حقيقة ، وأن الدفاع عن أوروبا غير ممكن بدون بريطانيا في ظل الموقف الجيوبيوليتيكي الجديد . واستمراراً لهذا النهج قامت ألمانيا بإنشاء فرقة عسكرية بالاشتراك مع هولندا .

وليس هناك من شك في أن الانتصار الذي حققه شرودر في انتخابات ١٩٩٨ جعل من الاتحاد الأوروبي بناءً أكثر تجانساً . إن وصول الحزب الديمقراطي الاشتراكي إلى السلطة في أعظم دولة في الاتحاد الأوروبي يؤكد تسيد التوجه السياسي اليساري في الدول الثلاث الرئيسية في الاتحاد . ليونيد چوسبان في فرنسا ويلير في بريطانيا . ونذكر أيضاً أنه وفي نفس الوقت الذي حقق فيه شرودر انتصاره وصل الديمقراطيون الاشتراكيون إلى السلطة أيضاً في السويد ، كما أنهما مسيطران في إسبانيا والمنطقة حتى في بولندا والتشيك (الدول الشيوعية السابقة) . إن هذه الظاهرة السياسة تختلف بشكل كبير عن منظومة الرؤى الاجتماعية السائدة بشكل أو بأخر في الولايات المتحدة الأمريكية . إن الكونجرس الأمريكي الراضي تماماً عن النمو الرأسمالي لاقتصاده الوطني يعارض بهذا المعنى برلمانات ألمانيا وفرنسا وإنجلترا الأكثر ورديّة .

إن الدول الثلاث المشار إليها تبذل كل الطاقات والجهود لتأكيد الكيان الأوروبي وإثبات الذات الأوروبية حتى ولو غاب الانسجام والتناغم بينها أحياناً . و الفرنسيون يحاولون تأسيس ما يسمى «التماثيل الداعي للأوربي» عن طريق تدعيم دور دول أوروبا الغربية أعضاء حلف شمال الأطلسي وفي نفس الوقت إضعاف ثقل الولايات المتحدة في الاتحاد . وبداية من ١٩٩٠ وعلى امتداد الأعوام التسعة التالية تقوم باريس بالدعائية لهذه الفكرة وتدعيمها وصياغتها بأشكال مختلفة . وتحاول

الدبلوماسية الفرنسية أن تقنع شركائها في حلف الناتو أنه باختفاء التهديد السوفيتي انتهت المهمة الأمريكية في أوروبا؛ وأن واشنطن سعياً منها في السيطرة على أوروبا الغربية لا ترغب في الاعتراف بالواقع العالمي بعد انتهاء الحرب الباردة. إن الموقف الأمريكي يشبه بشكل أكبر موقف الكنيسة بعد اكتشافات جاليليو؛ حيث إنها ما زالت تؤمن بأن الأرض مسطحة، وفرنسا ليست الوحيدة التي تتخذ هذا الموقف. حيث يؤيدها بدرجة أو بأخرى كل من إيطاليا وإسبانيا ولچيكا واليونان. وقد عولت باريس لوقت طويل على مواقف المستشار كول الذي كان يعد حلifa ومؤيداً لفكرة أوربة ألمانيا على أساس التجربة الإيجابية الضخمة في مواجهة الهيمنة الأمريكية. وكانت نتيجة ذلك أن أيدت ألمانيا بشكل أكبر وجهة النظر الفرنسية، كما أنها (ألمانيا) تعتقد بشكل أكثر أن سعي الأمريكيين «لفرض النظام» لا يأخذ في الاعتبار بالشكل الكامل المصالح الأوروبية، وقد أعطى وصول الاشتراكي الديمقراطي جيرهار شرودر للسلطة في ألمانيا آمالاً جديدة لدى رئيس الوزراء الاشتراكي الفرنسي ليونيد چوبسان في تحقيق التفاهم المتبادل والعميق مع الديمقراطيين الاشتراكيين في ألمانيا. ولم يستطع الرئيس شيراك أو رئيس الوزراء چوبسان أن يقدروا قيمة الزيارة التي قام بها شرودر إلى باريس مباشرة بعد الانتخابات.

وتوجهت الأنظار نحو لندن، وقد أعطى انتشار أفكار «الأوربية»، في جزر بريطانيا دفعة قوية وقوة جديدة لهذا الاتجاه. وفي عام 1995 قام واحد من أهم أعمدة المؤسسة البريطانية والوزير السابق للمالية ولتشلون الخارجية اللورد (هوف) بتوجيه اللوم لرئيس الوزراء ميجور لنزعته التشاورية فيما يتعلق باتجاه «الأوربية»، والتي من شأنها أن تقود السياسة الخارجية البريطانية لحالة من «خداع النفس»، ويمثل استبعاد بريطانيا من عملية حل القضايا الأوروبية بالنسبة لها «مأساة قومية هائلة»⁽¹⁰⁾. وقد صرخ السفير البريطاني في واشنطن السيد روبيان بدون أي مواربة قائلاً «يعتبر الافتراض أن بريطانيا عليها أن تختار بين أوروبا وأمريكا واحداً من الحماقات الكبرى للدبلوماسية البريطانية ما بعد الحرب... إن بريطانيا في سياستها بالاغتراب عن الاتحاد الأوروبي ترتكب خطأً أكبر من ذلك الذي ارتكبته في عملية السويس»⁽¹¹⁾.

إلا أن مؤيدى «الأوربة»، فى أوروبا قد أصبحوا أكثر ثقة بعد وصول الليبراليين إلى السلطة عام ١٩٩٧ فى بريطانيا؛ فقد أيدت توافق بلير صراحة تدعيم الاتحاد الأوروبي وتوسيعه وتعديل نظام إجماع الأصوات واعتبارأغلبية الأصوات هو النظام الأفضل . وازدادت فى أوروبا الغربية الثقة أكثر وأكثر فى بريطانيا «الأوربية الجديدة» . وكان من أهم الأحداث فى هذا الإطار تدعيم العلاقات البريطانية مع فرنسا ومع (وهذا هو الجديد) ألمانيا .

وينظر شرودر (الشديد الإعجاب ببلير) بشكل مخالف إلى خواص السياسة البريطانية ؛ فمن المهم جدا بالنسبة لألمانيا أن تؤيد لندن توسيع النشاط الألماني فى منطقة شرق أوروبا ، كما أن الاستفتاء الذى أجرى فى بريطانيا عام ١٩٩٤ ، والذى يؤكد أن معظم الانجليز يعتبرون ألمانيا الحليف الأمثل لبريطانيا بين دول الاتحاد الأوروبي يمثل أهمية كبيرة لألمانيا^(١٢) .

لقد أثبتت الحروب التى جرت فى الخليج العربى وفى يوغوسلافيا بما لا يدع مجالاً للشك إلى أن على الأوروبيين أن يمروا بطريق طويل قبل أن يكون لهم دور فى عالم التكنولوجيا العسكرية الفائقة . إن تورط الناتو فى يوغوسلافيا أشار إلى ضرورة توسيع السيطرة العملية للدول الأوروبية الأعضاء فى حلف الأطلسى . وهذا التوسيع يستند إلى المشاعر الجديدة بالكبرياء وعزّة النفس لدى الدول الأوروبية التى قامت للمرة الأولى (أول من قام بذلك هو فرنسا) بتوجيهه اللوم لكونهم لا يملكون حق إبداء الرأى النهائى فى قيادة التحالف资料 فى ، وذكر أنه - خلال تلك الأعوام التى تلت انتهاء الحرب الباردة - لم تخفض فرنسا من نفقاتها العسكرية ، وتم تعديل هذا التوجه فقط مع تولي الحكومة الاشتراكية ، وبالرغم من أن فرنسا مع بداية حكم الرئيس شيراك كانت قد «عادت» للاشتراك فى البنية العسكرية للناتو ، إلا أنها بعد هذه العودة أخذت تنتقد هيمونه الولايات المتحدة على الحلف وأوقفت عملية الاندماج العسكري مع الحلف كما لو كانت تنتظر الدعم والتأييد من شركائها الأوروبيين وخاصة من ألمانيا ، واصفين فى اعتبارهم أن جيل جيرهارد شرودر هو أول جيل يفقد الإحساس الفطري بالاعتراف بالجميل للأمريكيين فى رفع الحصار عن برلين أو تقديم العون أثناء الحرب الباردة أو فى إعادة توحيد ألمانيا .

ويذكرنا الموقف الحالى بشكل كبير بال موقف الذى سبق الحرب العالمية الأولى : ألمانيا الزعيمة القوية وروسيا غير المستقرة ، والتى لم تتحدد بعد ملامحها السياسية والاجتماعية وعقدة التناقضات فى البلقان وعدم قدرة بريطانيا وفرنسا على اتخاذ موقف موحد . وفي أثناء ذلك يشير الرئيس التشيكى هافل - الذى يتغنى بأوروبا - إلى نقطة الضعف فيها بقوله إن أوروبا المعاصرة تفتقد إلى القدرة على التوحد فى انتقاء الأفكار والقدرة على التصور والعطاء . ولا يمكن اعتبار أوروبا قادرة على استيعاب فكرة تحمل مسؤولية نفسها^(١٣) .

إن ما يضعف أوروبا الغربية ليس فقط المشكلات الاقتصادية (المصحوبة بالمعدلات المرتفعة من البطالة) ولكن أيضاً الإضعاف الشامل لدور الحكومات الوطنية ونقوية التيارات الداخلية وتقسيم المجتمع ، وكذلك التداخل والامتزاج السياسي والثقافي واللغوى . إن نهاية الحرب الباردة جددت المسعى الانفصالية في كل البلاد الرئيسية (ألمانيا ، فرنسا ، إسبانيا ، إيطاليا ، المملكة المتحدة ، وغيرها) . إن الأمر يتعلق بإعادة إحياء الكيانات التي تنتهي للماضى «قبل الوطن»، مثل اتحاد هانزى ومنظمة دول البحر المتوسط وغيرها ... وهكذا تتوقف أي حركات عامة في أوروبا الغربية في حين تقوى اتجاهات التقسيم والتقطيع ، والتي تضعف الجميع . إن التأسلم (الإقليمية) أصبحت العائق الرئيسي في سبيل توحيد الجهد الأوروبي الجماعية .

سياسة نحو تبعية أقل

إن انسلاخ أوروبا بعيداً عن المحيط الأمريكي سيتجاوز على ما يبدو تلك المرحلة الانتقالية عندما سيتم عقد شراكة ثانية بين أمريكا والاتحاد الأوروبي الأكثر توحداً، وعندئذ سيتحقق الأساس الأوروبي والصلابة الضرورية . إن اتحاد دول أوروبا الغربية، والذي يضم عشر دول ، والذي أسس عام ١٩٤٨ يطالب بـلـعب دور أساسـي في المنظومة العسكرية الانفصالية لدول أوروبا الغربية .

في عام ١٩٩٧ أيدت فرنسا بشكل مفاجئ تماماً مبادرة ألمانيا تحويل اتحاد دول أوروبا الغربية إلى جناح عسكري للاتحاد الأوروبي . وتمثل المشاكل التقنية في سبيل

تحقيق ذلك في عدم تمنع أربع من دول الاتحاد الأوروبي المحايدة بعضوية اتحاد دول أوروبا الغربية ، وهذه الدول هي النمسا والسويد وفنلندا وأيرلندا . إن المناقشات الدائرة حول قيام اتحاد دول أوروبا الغربية بتحمل أعباء جديدة وأدوار أكثر مسؤولية تتم بشكل مكثف ؛ حيث تطرق الحديث إلى عمليات الحفاظ على السلام التي يقوم بها اتحاد دول أوروبا الغربية ومنع الاتحاد حق تعين نائب القائد الأعلى لقوات الناتو في أوروبا مع منحه صلاحيات أوسع .

العامل الألماني

إن المرحلة الراهنة ، والتي تشهد عملية إعادة هيكلة الشركات الأمريكية وتفعيلاها واستخدام أحدث التكنولوجيا ، والتي تتم بشكل أسرع وأفضل منه في دول أوروبا الغربية؛ لذا أصبحت هذه الدول تنظر إلى ألمانيا القوية والمؤثرة بوصفها الأمل الإقليمي . والآن وعندما أطلق الرئيس الفرنسي شيراك على الإنترنوت اسم «الشبكة الانجلوسكسونية»،^(١٤) فإن الأوروبيين أصبحوا يأملون في تملك مركز تنمية تكنولوجية مستقل ، ونحن نرى بالفعل حالياً مساهمات مشتركة وجهود مشتركة بين «بريتشر تيليكوم» و«دوينش تيليكوم» و«فرنس تيليكوم» وشبكة «الاتصالات الإسبانية»، على سبيل المثال ، والتي أسست معاً عالم اتصالات إلكترونية خاص بها (ولنذكر أن صناعة الاتصالات التليفونية ستحتل خلال عدة سنوات مكانة صناعة السيارات كصناعة رائدة في العالم ؛ حيث سيجذب هذا القطاع مع حلون عام ٢٠٠٣ ما يقرب من ٢٦٧ مليار دولار، حتى روسيا من خلال شركتها «فييمبل»، بدأت هذا الطريق) . وهناك عمليات شبيهة تتم بين دول أوروبا الغربية في مجال التعاون الجوي و المجالات أخرى . ومن الجدير أن نشير إلى الأهمية العظمى لعودة القوة الألمانية . إن الحرب العالمية الثانية وال الحرب الباردة لم يتمكنا في النهاية من تقويض القدرة الألمانية والتأثير عليها؛ فها هي ألمانيا الآن تتقدم لتحتل المكانة الأولى . إن عالم المستقبل سيشهد ظهور ليس الكتلة الآسيوية ، ولكن أوروبا العظمى ، والتي تعودها ألمانيا كقوى تحالف وتكامل اقتصادي في العالم يجمع بين التكنولوجيا العالية لدول أوروبا الغربية والأيدي العاملة المتخصصة والماهرة في دول شرق أوروبا الشيوعية سابقاً^(١٥) ، ولن

يبقى للولايات المتحدة شيئاً ، وسيكون لزاماً عليها أن تقبل الواقع أوروبا الجديدة التي تزعّمها منذ الآن ألمانيا . إن مقاومة ما لا مفر منه سيؤدي إلى تقليل عمر الزعامة الأمريكية في العالم .

إن تجديد وإعادة إحياء مكانة ألمانيا كمحرك أساسي للتطور في أوروبا الغربية ينعكس بشكل أساسى على فرنسا ؛ فمكانتها الفريدة - والتي احتفظت بها حتى ذلك الحين بوصفها «الأولى بين أقرانها» - قد انتقلت إلى ألمانيا ، ويعترف دبلوماسي بريطاني أنه إذا قمت بسؤال أي شخص في أي من الدول الأوروبية عن العلاقات الأكثر أهمية بالنسبة لهذه الدولة فسيكون الرد واحداً - مع ألمانيا بالرغم من أن الرد سيخرج دائماً من تحت الصدر (١٦) . إن ألمانيا تحاول كسب الوقت عن طريق سلوكها المتواضع وتقديم التنازلات في الوقت الحالي . يشير السيد نيوهاوس - وهو على حق - أنه لأول مرة تبدو ألمانيا محاصرة من دول المجاورة وأسواق تجعل من ألمانيا وجهتها الأساسية . وتقع ألمانيا في وسط مجموعة من الدول ذات الأهمية الكبرى . وتود العاصمة الألمانية توسيع نطاق هذا التكتل الدولي ناحية الشرق بغرض ضم دول وسط أوروبا إليه (١٧) ، وكما يؤكد البعض فإن ألمانيا ترغب في أن تنظر إلى الشرق وترى الغرب بمعنى أنه على حساب تدعيم مكانتها ومواقعها في أوروبا الشرقية تدعم مكانتها في أوروبا الغربية .

وكانت قيادة الاتحاد الديمقراطي المسيحي الألماني وما زال المستشار كول على السلطة قد حذرت الفرنسيين أن القرار الوحيد الذي يمكنه تحاشي العودة إلى ما قبل الحرب غير المستقرة - هو انضمام جيران ألمانيا في أوروبا الوسطى وشرق أوروبا إلى المنظمة الأوروبية ما بعد الحرب ، ثم بناء شراكة بين هذه المنظومة وبين روسيا . ولا يجب السماح بتكرار الموقف الذي صاحب الفراغ السياسي في أوروبا الوسطى ، والتي تذرع بعدم الاستقرار . وإذا لم يتمكن التكامل الأوروبي من تقديم العون فإن لدى ألمانيا ستظهر الرغبة في تشكيل أدوات خاصة لتوفير الأمن وتحقيق الاستقرار . (١٨)

وفي المرحلة التي صاحبت حكم كول وما قبلها كان الحديث يدور حول «ألمانيا الأوروبية» . أما فترة حكم المستشار شرودر فقد شهدت شيوخ قضية «أوروبا الأوروبية» .

وفي كل الأحوال فإنه من الظاهر محاولة جذب المركز الأوروبي الغربي شرقاً بعيداً عن محور باريس - لندن . وعلى الجانب العملي فإن معادلة «باريس - برلين»، تفهم على أنها أساس لمركز أوروبا الغربية خاصة إذا تعلق الأمر بعلاقة مع شريك آخر يقع عبر المحيط الأطلسي . إن أمريكا لا يمكنها تجاهل أن اهتمامات اللاعبين الرئيسيين مختلفة وبشكل واضح ؛ فألمانيا مهتمة بوسط وشرق أوروبا في حين فرنسا تهتم بمنطقة المغرب ، وخلافاً للفرنسيين يعرب الألمان صراحة أن جزائرهم تقع في شرق أوروبا .

إن استقلالية ألمانيا في موضوع يوغوسلافيا أخافت الأوروبيين في ١٩٩١ عندما اعترفت ألمانيا بشكل مفاجئ باستقلال اثنين من الجمهوريات الأمر الذي قضى على الاتحاد اليوغوسлавى ، ولكنه من ناحية ثانية وفر وضمن النفوذ الألماني في كرواتيا وسلوفينيا . وقد تصرفت العاصمة بون لفترة محددة بشكل متحفظ ، وقام الفرنسيون مع الإنجليز بأخذ المبادرة في يوغوسلافيا ثم سلموها بعد ذلك إلى الأمريكيين ؟ فهل . من نهاية لفترة التحفظ الألمانية هذه ؟

وما زال أغلبية مواطني دول أوروبا الغربية لا يفضلون مغادرة القوات الأمريكية للمنطقة ؛ ففي فترة يسود فيها الغموض المتزايد وعدم الاستقرار لاتملك أوروبا (الغربية) بديلاً كفؤًا للوجود الأمريكي العسكري في المنطقة ، وكذلك الزعامة الأمريكية . إن الوجود الأمريكي المستمر في ألمانيا يمنح دول أوروبا الوسطى ضمانات قوية في علاقاتها بألمانيا وروسيا^(١٩) . والمحاولات التي تبذلها أوروبا الغربية لحل المشكلة اليوغوسلافية تبدو عديمة الجدوى ؛ فقد اضطرت أمريكا لتعينه قواتها المسلحة ودبلوماسيتها . وفي حالة يوغوسلافيا فإن الولايات المتحدة لا ترغب في استعراض قوتها التحالف حتى لا تبدو تهديدات الناتو كلمات في الهواء وحتى لا يفقد التحالف مكانته كأكثر المنظمات الأوروبية تأثيراً . وحتى الآن تبدو ألمانيا غير مهتمة بتنقيص التواجد العسكري الأمريكي في أوروبا ؛ حيث إن ذلك يعني أن ألمانيا - الدولة الاقتصادية العظمى - عندئذ ستكون تابعة بشكل قوى للقوىتين العظميين في أوروبا فرنسا - إنجلترا ؛ فألمانيا لا تزال محدودة في نموها العسكري . وأثناء المشكلة

اليوغوسلافية أيد المستشار الألماني شوردر بقوة، وأبدى تحالفه مع الأمريكيين . (فهل يمكن من خلال ذلك استنباط الرغبة الألمانية في أن تظهر نفسها بوصفها تملك مفاتيح حل المشكلة البلقانية؟ يؤكد الأمريكيون أن هذه هي المرة الثالثة خلال مائة عام التي تنشط فيها ألمانيا على محور البلقان) . إن بون تفضل أن تكون تابعة للولايات المتحدة البعيدة على أن تكون تابعة لجيرانها الأوروبيين . وهناك انتقادات موجهة لألمانيا تتعلق بتقييم ألمانيا لدور أمريكا في إعادة توحيد الألمانيين ؛ فهل نسى الألمان أنه في عامي ١٩٨٩ - ١٩٩٠ كانت الإدارة الأمريكية تمثل الأساس الذي اعتمد عليه الألمان في عملية توحيد ألمانيا ، وهي العملية التي قبلها الفرنسيون والإنجليز بكثير من الشك ؟ إن ذلك الذي قدمته أمريكا كان أكثر من تأييد ؛ فقد أظهر الرئيس بوش ومستشاره مهارة فائقة وحرفية كبيرة ليس فقط أثناء دفاعهم عن قضية توحيد ألمانيا أمام الرئيس السوفيتي ميخائيل جورباتشوف ، ولكن أيضًا بعملهم على ضم ألمانيا الموحدة إلى حلف الناتو بدون اتخاذ أي إجراءات إضافية (٢٠) وكان رد فعل فرنسا وإنجلترا حادا تجاه إعلان الرئيس بوش أن أمريكا وألمانيا سيكونا شركاء في الزعامة ، وذلك في يونيو ١٩٨٩ قبل ٤ شهور قبل سقوط حائط برلين . وقد شعرت أوروبا الغربية بشكل قوي بخطورة ظهور علاقات أمريكا المانية خاصة فرنسا وإنجلترا تلعبان في ظلها دوراً ثانوياً .

إلا أنه ومنذ صيف ١٩٩١ أصبحت الحكومة الألمانية تتعامل مع الدعم الأمريكي بوصفه شيئاً مضموناً ، ونسرت بشكل سريع أن تقدم الشكر على ذلك ، وبدأت تتوجه وتميل إلى سياسة تحقيق الذات والتى تتجها فرنسا . ومنذ ذلك الحين أصبحت الشراكة الفرنسية قليلة الأهمية نسبياً بالنسبة لأمريكا تأخذ دوراً مهماً جديداً ، واضطر الأمريكيان للاقتناع كيف كان من المريح بالنسبة لهم قيادة حلف الأطلسي في ظل التهديد السوفيتي وانقسام ألمانيا .

الشكوك في الإستراتيجية

إن غياب خطر عسكري إستراتيجي عام أدى إلى تأكل فكرة التحالف الأطلسي التي تقوم عليها أيديولوجية الطبقة الحاكمة في الولايات المتحدة . وتوارى إلى الصد

الثاني هؤلاء الذين كان مؤيدین لفكرة التحالف هذه ومعتنقین لها بنسبة ١٠٠٪ و منهم هنرى كيسنجر وبجيزنسکي ، وحتى هم أنفسهم قد تغيروا وغيروا من مواقفهم هذه؛ فقد دعا بجيزنسکي ، منذ وقت غير بعيد إلى اتحاد أورپي أوسع وأكبر الأمر الذي يمكن أن يؤدى إلى توسيع نطاق النفوذ الأمريكي وإضعاف عملية تكامل أورپا السياسي وهي العملية التي من شأنها تشكيل تحدي قوى للولايات المتحدة في القضايا ذات الأهمية الجيوپولیتیکیة،^(٢١) إن موارد الولايات المتحدة القوية محدودة ولا يجب إهارها في أورپا الغنية نسبیا . وهناك أمريكيون واقعيون يقترحون على شعبهم النظر إلى المستقبل البعید والأشمل وهؤلاء يجدون الاهتمام الأكبر . إن السياسة الأمريكية في أورپا تقع على مفترق الطرق ؛ فمن واشنطن يمكن رؤية المصاعب الاقتصادية والتکاملية عند حلفائها الغربيين . قال السناتور جیسی هیلمس ببساطة إن الاتحاد الأوروبي لا يستطيع بأى حال من الأحوال أن ينقذ نفسه من شنطة ورق مبللة .. أما روبرت التمان وشارلز كوبتشان فقد دعوا حکومة الولايات المتحدة لمساعدة أورپا في وقف انهيارها^(٢٢) . وهذا فالقضية تتخذ بذلك شكل أكثر حدة كلما أخذ الأمريكيون ينظرون بشكل أكثر اهتماما على قواتهم في المنطقة ؛ حيث احتمال وقوع صراع واسع النطاق قد اقترب من نقطة الصفر .

إن الجدل بين المعارضين والمؤيدین للوجود العسكري الأمريكي في أورپا يأخذ شكلا خطيرا وأكثر توترا ؛ فمن ناحية لم يعد هناك خطورة كبيرة لروسيا التي تضررت بشكل كبير ومن الصعب تفسير تواجد القوات الأمريكية على أنه ضروري لدحر أي خطر يأتي من خارج المنطقة . ويرى مؤيدو هذا التواجد أن أمريكا تنفق على قواتها في أورپا حوالي ٢ مليار دولار فقط زيادة على ما يمكن أن تنفقه إذا استقرت هذه القوات في أمريكا نفسها . إن أمريكا تنفق على الجانب الدفاعي حوالي ٤٪ من حجم إجمالي الناتج القومي الأمريكي في حين تنفق كل من إنجلترا وفرنسا ٣٪ وألمانيا ١.٧٪ ، ولقد انتظر أغلب الشعب الأمريكي بعد انتهاء الحرب الباردة الحصول على العائد والفائدة حتى ولو كان ذلك في شكل اقتصاد النفقات التي تنفق على الاحتفاظ بالقوات الأمريكية في أورپا (تنفق الدول الأورپية الأعضاء في

حلف الناتو على احتياجاتها العسكرية ما يمثل ٦٦٪ من الميزانية العسكرية الأمريكية^(٢٣). إن سعي أوروبا لتحقيق الذات وكذلك غياب النزعة الوحيدة ، مع أمريكا والذي يظهر على فترات ، كل هذا أدى إلى إضعاف مواقف الداعين لتحالف أطلسي في أمريكا ، ومن ناحية أخرى الولايات المتحدة غير مستعدة لترك المنطقة الثانية الأقوى في العالم بدون أي سيطرة ، وتسعى واشنطن لدفع الثمن من أجل أن يكون لها ذراع السيطرة في هذه المنطقة الغنية اقتصاديا في العالم (بعد أمريكا الشمالية) ، هذا المركز الاقتصادي القادر على تحقيق التفوق العسكري المماثل . إن أغلبية الأمريكيين ما زالوا يرون أن الاحتفاظ بالتوارد العسكري الأمريكي في أوروبا والاحتفاظ بالناتو كأهم اتحاد عسكري وسياسي أمريكي هو الوسيلة الوحيدة للوقاية والدفاع عن النفس . في ظروف ينعدم فيها أي تهديد وارد من الشرق تتضح بشكل أفضل من أي وقت وظيفة حلف الأطلسي كمنظمة تضمن الهيمنة العسكرية الأمريكية على الغرب .

إلا أن انتفاضة أوروبا الغربية في التسعينيات أثارت رد فعل انتقادى حاد من جانب قطاع عريض من المتخصصين الأمريكيين . إن المقاومة التي تبديها باريس - حاليا من داخل الناتو - والمدعومة علينا وسرا من جانب ألمانيا الموحدة تثير الشملزار عند الأمريكيين ؛ فقد كان الأمريكيون يأملون في الاعتراف بجميل القيادة الأمريكية التي دعمت سنوات طويلة وبشكل مطلق عملية التوارد والتكامل في أوروبا الغربية . وبعد السيد المعتمد جون نيوهاوس والأكثر حدة في أحکامه ديفيد كاليو من أكثر منتقدي اتجاه «الأتطلس»، نفواً وشهراً وأنشطهم في الثلاثين عاماً الأخيرة وأكثر اقتناعاً بأن أوروبا تتجه نحو الانسلاخ وخلق محيطها الخاص . ونشير هنا إلى أن أي منها ليس راديكالي يسهل اقناعه أو صحفى ، مهتم ولكنها علماء أيديولوجيون رواد مؤسسو حذروا من الظواهر التي تحدث في أوروبا القوة الصناعية والثقافية الوحيدة التي يمكن مقارنتها بالولايات المتحدة . إن الفكرة المحورية للسيد نيوهاوس (الذى يعمل مستشاراً للمكتب الأوروبي التابع للحكومة ولسنوات طويلة) تتمثل في أن أوروبا الغربية والتي لم يعد أمامها عدو مشترك أصبحت أقل اهتماماً بموقع الشراكة مع

الولايات المتحدة الأمريكية وذهبت أدراج الرياح آمال هؤلاء الذين كانوا يعتقدون أن أوروبا بعد التحرر من التهديد السوفيتي ستتجه لشراكة أعمق مع الولايات المتحدة عن طريق تقديم المساعدة والتأييد لها في المناطق المضطربة من العالم . فقد حدث العكس تماما ، حيث ركز الأوروبيون على مشاكلهم الإقليمية الخاصة . لقد خلق انسحاب روسيا من أوروبا الشرقية فراغا سياسيا هائلا استطاعت ألمانيا قبلا غيرها أن تملأه الأمر الذي يعد بالإضافة إلى قدرتها الاقتصادية أساسا للزعامة الألمانية في أوروبا الجديدة تلك الزعامة التي تتشابه في قليل من الأشياء مع صفة شرطى العالم التي تتمتع بها الولايات المتحدة . وبالأضافة إلى أوروبا الشرقية فإن أوروبا الجديدة تهتم بمنطقة حوض البحر المتوسط ودولها المحدودة النمو وذات الكثافة السكانية العالية ، كما أنها مشغلة بمشاكل كثيرة بعيدة عن الأمريكيين ؛ فهل على القيادة الأمريكية أن تعرب بصراحة عن عدم رضاها عن هذا تفوق هذا الشريك الأوروبي ؟ يعتقد جورج نيوهاوس أن من الأفضل الموافقة بصمت على هذا التفوق الأوروبي الغربي . لا يجب على واشنطن أن تعلن عن مخاوفها صراحة : إنها إذا قامت بذلك فإنها ستثير اتهامات لأمريكا بأنها تسعى للإبقاء على أوروبا مقسمة (٢٤) .

ويعتقد د . كاليلو أن الحالة المزاجية العامة في واشنطن حاليا شبيهة بما كانت عليه في بداية السبعينيات ؛ حيث شعر الإحساس بالنمو السريع والتتفوق على الجميع ، وتنمى الخير للخلفاء ، لكن لا يجب الوثوق في طول استمرار واستقرار هذا النجاح التاريخي . فمنذ ٣٠ عاما كانت فيتنام واليوم يوغوسلافيا تتوقف هذا الأسلوب من الحسابات الخاطئة النابعة من الثقة الأمريكية الزائدة بالنفس واليوم تقوم يوغوسلافيا بنفس الدور . وخلافا للسيد نيوهاوس فإن كاليلو لديه رأياً أسمى حول احتمال الوحدة الأوروبية الغربية وقدرة هذا الاتحاد ، حيث يرى أن هناك تشكلاً لنكتل عالمي جديد مرکزه أوروبا الغربية . هذا المركز لن يكتفى فقط بالابتعاد عن الولايات المتحدة بل سيصبح منافسا قويا لها . هذا التطور لا ينفع منه وحتمي من الناحية التاريخية وإنكاره مناف للفكر السليم والمنطق . إن الرؤية التشاورية لقدرات أوروبا من شأنها فقط أن تعقد الوضع وتضيق المخاطر، (٢٥) .

ولا يتفق كاليو مع هؤلاء الذين يرون أن العظمة والتفوق الأوروبي كان في السابق فقط ، الذين يعتقدون أن أوروبا المعاصرة ليست مستعدة لتقديم التضحيات أو قادرة على تحقيق النهوض الجيوسياسي . إن عملية التكامل الأوروبي الغربي بدت بطيلة، إلا أنه مع بداية القرن الحادى والعشرين فإن الآفاق التي تنتظر العملة الأوروبية الموحدة هائلة نتيجة كون ألمانيا تتزعم هذه العملية ، وهى الدولة العظمى فى المنطقة والعائدة إلى البناء الأوروبي بعد إعادة تنظيم وبناء شطرها الشرقي . إن منظومة العملة الموحدة تمثل أساساً قوياً وصلباً لبناء الاتحاد الأوروبي «إن العملة الموحدة ستمنح ألمانيا وأوروبا بشكل عام قدرة مالية جديدة، وهذا في حد ذاته يعتبر ثورة جيوسياسية من نوع خاص» .

ويرى كاليو أن التكامل الأوروبي يعتبر أكثر تجربة ناجحة على صعيد العلاقات الدولية في العصر الحديث . ومن مصلحة الولايات المتحدة أن تنتص إلى هذا النجاح . ومن هذا المنطلق يجب عليها أن توافق من البداية على تدعيم مواقع الأوروبيين في حلف الأطلسي . «إذا أقدم الأميركيون على حصار عملية أوربية، الناتو، والتي أصبحت ضرورة من زمن بعيد فإن الأوروبيين سينتظرون بتصميم الفرصة لتحقيق ذلك . وإذا ارتكبت أمريكا تصرفًا أحمق مثل استدعاء روسيا الجديدة فإن الأوروبيين سيكونون في منتهى السعادة بقيامهم بدور الوسيط^(٣٦) .

إن التباعد الأوروبي عن أمريكا يبدو أمراً طبيعياً وفي حالتنا هذه مرغوب فيه ؛ فمن غير المستحسن أن تخسر صديقاً قوياً ، ولكن في نفس الوقت لا يجب تحويله إلى عبد منصاع ، والصديق القوى الأكثر استقلالية هو أهم بكثير من تابع ضعيف . وكما يرى السيد كاليو فإن أمريكا يجب أن تولى اهتماماً خاصاً بأن تصبح أوروبا قوية وفعالة وذات رؤية استقلالية أكثر من أن تصبح عبارة عن مجموعة دول ضعيفة لا يمكن التعويل عليها في الصراعات المستقبلية المحتملة وبشكل خاص تورط أمريكا في الشأن الآسيوي والأزمات المحتملة في العالم اللاغربي ، ولذا فكما يعتقد كاليو لا يجب أن تفرج أمريكا لضعف أوروبا المؤقت ، بل يجب أن تساعدها في أن تصبح شريكاً قوياً .

ويشير رئيس تحرير مجلة «نيوروبولك»، مايكل ليند إلى أن الولايات المتحدة تشهد سيطرة فكرة عاطفية وغير منطقية تقول بأن السيادة في حلف الناتو لأمريكا، وكل ماعدا ذلك يجب أن يخضع لتحقيق هذا الهدف . وبالرغم من ذلك فإن نظام التحالفات التي أُسست في فترة الحرب الباردة تعرض لأزمة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ونهوض اليابان وألمانيا^(٢٧) . يجب أن تقوم واشنطن بصياغة برنامج إجراءات من شأنها تحاشي التباعد بين شاطئ الأطلنطي . ولا يمكن أن نغفل أعبينا عن المشاكل والصعوبات ؛ فالسياسيون فقط من أمثال بيجنسكي يرون من السهل توحيد قطبي المال والصناعة العظميين في العالم .

فأمريكا يمكنها الهيمنة لعشر أو عشرين سنة قادمة على العالم ، لكن لا يمكن لأحد أن يتتبأ بمصير هذه الهيمنة بعد ذلك . ورغم أن الإحصاءات تقول بهيمنة الولايات المتحدة منفردة إلا أن تلك الإحصاءات لا يمكنها الثبات طويلا في عالم سريع النمو . ولا يمكن لأمريكا اعتمادا على قدراتها الخاصة فقط أن تضمن استمرار هيمنتها . وعلى ذلك فلا بدil أمام الولايات المتحدة عن اقتسام الهيمنة مع أوروبا الغربية ؛ حيث تبدو الولايات المتحدة غير قادرة اعتمادا على قدراتها الخاصة فقط في الحفاظ على مكانتها كقوى عظمى وحيدة في العالم . والمخرج الوحيد لهذه الأزمة هو أن يتم الاستبدال بحلف أمريكا لحلف الأطلنطي المهيمن بالفعل على منظومة الأمن والاقتصاد العالمية^(٢٨) .

وإذا كان مقدرا على العالم في القرن الحادى والعشرين أن ينقسم إلى منطقة سلام ومنطقة نزاعات^(٢٩) (وهو الأمر الذي يفترض تدخل المنطقة الأولى في شؤون المنطقة الثانية) فإن الولايات المتحدة يجب عليها أن تمنح حكما ذاتيا لحليفها الأوروبي الكبير . ويعرّب العديد من علماء السياسة الأمريكيين ومن بينهم تش . لين عن فلسفتهم من التصاعد السريع لقوة ألمانيا الذي يعيد رسم خريطة السياسة الخارجية في حلف الأطلنطي ، وهو الأمر الذي يؤثر بالسلب على وضع أمريكا المحوري الحالى .

إن أوروبا العظمى بزعامة ألمانيا ، وإن كانت لن تمثل تهديدا مباشرا على مصالح أمريكا وأمنها إلا أنها ستتصبح منافسا للولايات المتحدة في الشرق الأوسط وشرق آسيا .

ويتحدث كل من و . وليس و ش . كوبتشان عن «حالة الرعب من تحول أوريا إلى منافس بهذا الشكل»^(٣٠) ، كما أن تحالف بين أوريا والصين مثلاً يمكن أن يصبح كابوساً مرعباً بالنسبة لأمريكا ؛ حيث سيجمع أكبر سوق عالمي متعدد مع أكبر دول سكانياً في العالم . ولقد تنبأ بذلك منذ زمن رؤساء أمريكا السابقين واشنطن . جيفرسون ، وعلى هذا فإن المهمة الأساسية للولايات المتحدة الأمريكية يجب أن تنصب على تحاشي تحالف على هذا النحو ، وإذا افترضنا الاحتمال الأسوأ باحتمالية حدوث ذلك فيجب أن تقوم أمريكا بتحالفات مضادة مع اليابان وروسيا والهند . وحتى لا يحدث سيناريو بهذا الشكل شديد القسوة والتطرف يجب تعزيز القوة الموالية لأمريكا في أوريا .

تحولات القرن الواحد والعشرين

هناك فكرة آخذة في النصوح في الأوساط السياسية الأمريكية حول وجوب قبول النهج الاستقلالي لأوريا الغريبة الذي يعتبر تطوراً طبيعياً يخضع لأحكام التاريخ وقوانينه ، وهو أمر لا يجب التدخل فيه ، بل يجب الاتفاق على قيام حكم ثالث في العالم ، وهذا هو المخرج الوحيد لأمريكا في القرن الحادى والعشرين . ويعتقد أغلب علماء السياسة الأمريكيين أن توقيع اتفاق شراكة تجارية بين دول حلف الأطلسي «سوبر نافطاً» يجب أن يصبح الهدف الأساسي للسياسة الخارجية الأمريكية ؛ حيث إن منظمة بهذه ستسطير على نصف حجم الناتج الإجمالي العالمي ونصف حجم التجارة العالمية . وهنا يمكن الاعتماد أمنياً على القوة العسكرية «الموجودة بالفعل والمتمثلة في الجناح العسكري لحلف الناتو»^(٣١) ، وهذا الأمل يدعمه احتياج الاتحاد الأوروبي في خططه التنموية الكبرى إلى العون الأمريكي .

إن أهم شيء تعلو عليه أمريكا في هذا الصدد يتمثل في أن سفينة أوريا لا محالة يلزم عليها أن تلقى بالهرب في بحارنا^(٣٢) ، هكذا يعتقد السيد د . جريش وبغض النظر عن درجة وحجم استقلالية هذا الكيان الجديد ، وتفرض الأحداث كلها على الأمريكيين أن يعقدوا آمالهم على برلين ، فالأمريكيون يعولون على شركائهم الألمان

وعلى رؤيتهم الثاقبة للواقع الذى يقول إن أمريكا إذا تركت أوروبا فسيستولى الربع الشديد من ألمانيا على أوروبا كلها بحيث سينكون ما يشبه تحالف أوروبى سريع لكل القوى المعادية للألمان . هذا الرعب هو الشيء الوحيد ، والذى يجعل من وجود القوات الأمريكية فى أوروبا شيئاً مقبولاً ، فإذا أصرت ألمانيا على موقفها وعلى مساعدتها الاستقلالية والإثبات ذاتها فإن أمريكا سيكون لزاماً عليها أن تحول وجهتها نحو الحليف الأنجلوسكسونى آملة فى أن تستطيع بريطانيا تهدئة وإخراج الثورة السياسية الخطيرة للاتحاد الأوروبي . وستجد لندن شركاء يخشوا أنفسهم الزعامة الفرنسية الألمانية (هذا بالإضافة إلى محاولة ألمانيا الثالثة خلال قرن للهيمنة على أوروبا) . وتؤكد التحليلات التى تتناول انقسام حلف الأطلسى أن الأمر لا يتعلق فقط بالسلوك الذى تنهجه أوروبا الغربية، بل إن هناك تغييرًا واضحًا فى رؤية ملوكين الأمريكيةين .

ويدعى السيد إيرفين كريستول ، والذى يعد واحداً من كبار المفكرين إلى تغيير الأولويات الجغرافية الأمريكية بقوله لقد انتهت الحرب الباردة وانتهت معها حقبة كاملة من التاريخ العالمي - ألا وهى الحقبة الأوروبية . وما زالت الأمم الأوروبية تملك قوة تكنولوجية واقتصادية وحضارية هائلة ، إلا أن نفوذها السياسى الخارجى ما زال قليل الأهمية . فأوروبا لم تصبح مركز العالم كما كان في السابق ، أما الناتو فقد أصبح منظمة دون دور . بالإضافة إلى ذلك فإن المشاكل السياسية الخارجية لأمريكا تقع خارج حدود أوروبا : المكسيك ، سعود الأصولية الإسلامية في الشمال الأفريقي والشرق الأوسط ، سعود الصين كدولة عظمى مهيمنة في آسيا .^(٣٣)

وبعد مائة عام من الحروب الأوروبية وخمسين عاماً من الارتباط بأوروبا فإن الولايات المتحدة تبدأ عصراً جديداً يفتقد فيه المحور الأوروبي أهميته السابقة . فالولايات المتحدة تشعر بالتأثير السلبي للأزمة الاقتصادية في المكسيك ، وهو أمر غير ذى تأثير على أوروبا . في نفس الوقت فإن الأوروبيين يشعرون بالتهديد القادم من الشمال الأفريقي مع تزايد سعود الأصولية الإسلامية ، وهو التهديد الذي لا يحظى بنفس الأهمية لدى الأمريكيين .^(٣٤)

ومن السابق لأوانه أن نخرج بنتائج نهائية ، فكل من الأميركيين والأوربيين لا يعرفون بالتحديد أين يختلفون و حجم و سرعة هذا الاختلاف . صحيح أن التهديد في السابق كان واحدا ، ولكن هذا التهديد قد اختفى الآن . وكما يشير واحد من الباحثين السياسيين المرموقين فإن بدون قوة معادية و تهديد مشترك للطرفين فإن حبل الوصل بين أوروبا و أمريكا لا يمكن ضمان عدم انقطاعه^(٣٥) . إن الأسس الحضارية والإثنية والثقافية مختلفة بين أمريكا الشمالية وأوروبا الغربية في حين تتطابق المصالح الاقتصادية ، وكل منها يمتلك تحالفا خاصا ومنفصلا (الاتحاد الأوروبي و الناتو) .

مراجع الفصل الرابع

- 1-UN Population Division. Dept of Economic and Social Information and Policy Analysis. World Population Prospects. N.Y.,1997.
- 2-Economist. January 24,1999.P. 27.
- 3-Ibid. P. 17.
- 4-Ibid. P. 66.
- 5-Layne Ch. Rethinking American Grand Strategy. Hegemony or Balance of Power in the Twenty-First Century?// World Policy Journal. Summer 1998.P. 12.
- 6-The World in 1999. The Economist Publications. London, 1999.P.105.
- 7-Wallace W., Zielonka J. Misunderstanding Europe // Foreign Affairs. November-December 1998.P.65.
- 8- The New York. February 10, 1986.
- 9-Financial Times. June 12, 1995.
- 10-Financial Times. January 30, 1995.
- 11-Sir Robin Renwick . Fighting with Allies. N. Y., 1996. P. 394.
- 12-Reuters World Service. London. May 25,1994.
- 13-The New York Times Review of Books. Nov. 18 ,1993.P .3.
- 14-The New York Times . February 11, 1997.
- 15-Ibid. P.4.
- 16-Newhouse J. Europe Adrift. N. Y., 1997. P.8.
- 17-Newhouse J.Op.cit.P.9.
- 18-Newhouse J. Europe Adrift. N.Y., 1997.p.8.
- 19-Reflections on European Policy.Policy Paper. CDU/CSU parliamentary group. Bundestag, Bonn. September 1,1994.
- 20-Newhouse J.Op.cit.P.156.
- 21-Foreign Affairs. Nov.-Dec. 1998.P.67.
- 22-Wallace W., Zielonka J. Op cit. P.66.

- 23-Foreign Affairs. Nov.-Dec.1998.P.72. .
- 24-Newhouse J. Europe Adrift. N.Y.,1997.P.114.
- 25-Calleo.D. An American Skeptic in Europe // Foreign Affairs. November-december 1997.P.147.
- 26-lbid. P. 149.
- 27-Lind M. Pax Atlantica. The Case for Euramerica // The World Policy Journal. Spring 1996.P.1.
- 28-Lind M. Pax Atlantica .P.6
- 29-Singer M.,Wildavsky A. The Real World Order : Zones of Peace, Zones of Turmoil. Chatam (N.J.),1993.
- 30-Wallace W., Zielonka J. op. cit. P.66.
- 31- The World Policy Journal. Fall 1995.P.18.
- 32- Gress D. The Weak Heart of Postmodern Europe // Orbis. Winter 1997.p.60.
- 33- Rieff D. Whose Internationalism ? Whose Isolationism // World Policy Journal. Summer 1996.P.3.
- 34- Kristol I. Who now cares about NATO? // Wall Street Journal. February 6, 1995.
- 35- Newhouse J. op. cit. P. 308

الفصل الخامس

القدرة على مواجهة آسيا

إن القرن الحادى والعشرين تحديداً، هو القرن الذى ستتم فيه أكبر التحولات فى الإستراتيجية الأمريكية الدولية، وسوف تجرى هذه التحولات فى اتجاه آسيا. وفي هذا الاتجاه تحديداً ، أى نحو شواطئ المحيط الهادى سوف ينتقل مركز الاقتصاد العالمى بكل فعاليته . وهذا أيضا يمكن أن ينقلب استخفاف الإستراتيجيين الأمريكيين رأسا على عقب بسبب ظهور المنافس الجديد فى الأفق، هذا المنافس الذى يخوض الآن بدايات نضاله على المستوى الإقليمى ، والذى سوف يدخل - بمنطق المواجهة - إلى النضال على المستوى العالمى، بداعه فإننا نعنى بهذا المنافس الصين .

تقوم الإستراتيجية الأمريكية تجاه آسيا على ركيزتين : الأولى - عسكرية، فواشنطن تحتفظ بعشرات الآلاف العسكري فى اليابان (فى جزيرة أوكيناوا) وفي كوريا الجنوبية، وفي مياه المحيط القريبة تنتشر قطع الأسطول السابع الأمريكية، وهذا الوجود العسكري هناك هو الذى يضمن للولايات المتحدة الأمريكية قدرأً مهمأً من السيطرة على الدولتين الكبيرتين والهائلتين اقتصادياً - اليابان وكوريا الجنوبية. وبالإضافة إلى ذلك فالولايات المتحدة الأمريكية تعتبر بالفعل هي المستشار العسكري لكل من تايوان وباكستان والعربية السعودية؛ إذ تدعمهم بالأسلحة الحديثة ، وتهرب لمد يد العون لهم فى أوقات الشدة . وبطبيعة الحال فمن المستحيل أن تحل أى قضية مهمة في هذه المنطقة المتراوحة الأطراف دون أن توصل مصالح الولايات المتحدة الأمريكية في الاعتبار. لنتذكر أن الولايات المتحدة الأمريكية خاضت مع نهاية القرن العشرين ثلاثة حروب كبيرة هنا ضد كل من اليابان وكوريا وفيتنام .

والركيزة الثانية تتمثل في السماح لدول مختارة في المنطقة للدخول إلى السوق الأمريكية الغنية . وبالنسبة لآسيا فإن فتح هذا السوق أمام بضائعها الرخيصة ذات الجودة العالية أمر مهم بحق ، وهو ما فعلته أمريكا بهدف واضح وصريح ، وهو حصولها على مساندة آسيا لها في الحرب الباردة. دون هذا السماح يصعب أن

نتصور تلك النهضة الاقتصادية للبابان خلال الفترة من ١٩٥٠ إلى ١٩٩٠ ثم مولد «النمور الأربع»، (كوريا الجنوبية وتايوان وهونج كونج وسنغافورة)، ثم النهوض الخيالي لجمهورية الصين الشعبية بعد عام ١٩٧٨ ، وإيقاع النمو المتضاد لدول الآسيان . لقد كان السماح بدخول السوق الأمريكية هو أضخم سند اقتصادي لواشنطن . إن التجديد السنوي للصين باعتبارها الدولة الأولى بالرعاية يعد تنازلاً كبيراً تود الولايات المتحدة الأمريكية أن تحصل من ورائه على تعويض في هذا المجال أو ذاك .

يمكنا أن نرسم صورة مبسطة لمهام الولايات المتحدة الأمريكية في القرن الحادى والعشرين على النحو التالى: الاحتفاظ بتأثيرها على اليابان وكبح تقدم الصين وعدم السماح بتحولها إلى زعيم إقليمي في هذا الجزء من العالم الواعد بأن يكون مركزاً لتطور الاقتصاد العالمي .

نهضة آسيا

اكتشف العالم الكونفوشيوسي المتنمى لحضارة القارة الصينية، إلى جانب الجماعات الصينية التي تعيش في البلاد المتاخمة للصين، وكذلك الثقافات ذات الجذور المشتركة في كوريا وفيتنام ، خلافاً للشيوعية والرأسمالية ، اكتشف في هذا الوقت تحديداً قوة التقارب والتكتل في منطقة شرق آسيا على أساس تعاليم الكونفوشيوسية التي تدعو إلى حب العمل واحترام السلطة وإجلال الكبار وفي النظرة الرواقية للحياة . بهذا القدر من الوضوح تكتشف أمامنا قوة الدفع الأساسية . ومن المدهش في هذا السياق غياب الصراعات الداخلية (على الرغم من التفاوت الاجتماعي)، فالمنطقة كلها يراودها الأمل في إمكانية التكامل، وهي تحقق سبيكة خيالية تجمع بين التكنولوجيا والفلسفة الرواقية التقليدية ، كما تحقق نمواً ذاتياً، وتتخلص على نحو مثير من مركب النقص القديم، ففي عام ١٩٥٠ كانت الصين تنتج ما يعادله ٣,٣٪ من إجمالي الإنتاج العالمي، أما في عام ١٩٩٢ فبلغت هذه النسبة ١٠٪، ومن الجلى أن هذا النمو سوف يستمر. ووفقاً للنبؤات فإن ما لا يقل عن ٤١٪

من سكان العالم سوف يعيشون في عام ٢٠٢٥ داخل حدود الحضارة الصينية. جدير بالذكر أن حصة جيوش هذه الحضارة الصينية كانت تشغل المرتبة الأولى في العالم في عام ١٩٩١ من ناحية العدد: ٢٥,٧٪.

لقد أصبحت إمكانيات التحديث والتنمية على طريق النمو المكثف مع الاحتفاظ بالهوية أمراً واقعاً ، ولاسيما بعد اختراع خط الإنتاج الذي قضى على أسباب تفوق الولايات المتحدة الأمريكية ، والتي تتلخص في الاستقلالية والتركيز والفردية والإبداع في العمل وفي البحث عن حلول مبتكرة^(١) .

لقد تبين أن الشباب الذي تربى على المبادئ الكونفوشيوسية مؤهل لاقتحام ظروف العمل الشاق . إن الفرصة التي وفرها فورد في ديترويت التققطها شرق آسيا ، حضارة أخرى ، عالم آخر.

نهضة اقتصادية مفاجئة:

من أجل أن تحقق نصراً في الحرب الباردة ، هيأت الولايات المتحدة الأمريكية نفسها الفرصة لمنافسيها الأقوياء . وعلى التاريخ أن يصدر حكمه فيما إذا كان من الحكمة أن تقوم الولايات المتحدة بتقديم هذا الدعم الواسع لكل من اليابان وكوريا الجنوبية وتايوان وهو نوع كونج وسنغافورة ثم من بعدهم جميعاً جمهورية الصين الشعبية ، التي خطت خطوطها الأولى للدخول المؤثر في عالم الصناعة منذ عام ١٩٧٨ . لقد نجحت الصين في الجمع بين التكنولوجيا المتقدمة والمثابرة الثابتة على الطريقة الرواقية وعلى حب العمل التقليدي وإطاعة القوانين وتصحية شعب تعرض كثيراً لمهانة التاريخ . لعل نابليون كان محقاً عندما حذر الغرب من الصين .

إن حضارات مثل حضارات أوروبا الشرقية وأمريكا اللاتينية والحضارة الهندوسية لم تظهر عداءً مباشراً للحضارة الغربية ، على الرغم من أنها مررت جميعاً بمرحلة محددة من إثبات الذات ، ولكننا إذا ما تحدثنا عن شرق آسيا فستجد أن الصين واليابان والعالم الإسلامي ، الذي يتحرك في هذا السياق على نحو متواز معه ، أحذروا يشغلون جميعاً منذ نهاية التسعينيات موقفاً أكثر صرامة تجاه الغرب . وفي الولايات المتحدة

الأمريكية اكتسبت وجهاً للنظر القائلة بأن أخطر معارك المستقبل ستأتي بالأحرى نتيجة المواجهة بين الغطرسة الغربية والتعصب الإسلامي وإثبات الذات الصيني قد اكتسبت شعبية واسعة^(٢).

لقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية بحاجة إلى سبعة وأربعين عاماً لكي تضاعف من إجمالي إنتاجها القومي للفرد، بينما حققت اليابان هذا الأمر خلال ثلاثة وثلاثين عاماً فقط ، وحققت إندونيسيا خلال سبعة عشر عاماً ، وكوريا الجنوبية خلال عشرة أعوام، ثم تأتى جمهورية الصين الشعبية لتحقيق في الثمانينيات والتسعينيات معدل نمو اقتصادي بلغ متوسطه ٨٪ سنوياً . لقد أتاحت النمو الاقتصادي الجبار للآسيويين أن يحققوا على مدى بضعة عقود ما تتطلب من الغرب بضعة قرون . لقد تجاوز متوسط معدل الزيادة في إجمالي الناتج القومي في الدول الآسيوية ٦٪ سنوياً ، بينما تراوحت النسبة في الغرب ما بين ٢,٥٪ إلى ٢,٧٪ . وبحلول عام ٢٠٢٠ سوف تتنفس آسيا ما يزيد على ٤٠٪ من إجمالي الناتج القومي العالمي في آسيا . في مطلع القرن الحادى والعشرين سوف تصبح ١٦ مدينة من مجموع ٢٥ من أكبر مدن العالم موجودة في آسيا . وفي آسيا تحديداً تم في الأعوام من ١٩٩٤ إلى ١٩٩٦ بناء ستة مفاعلات ذرية (من سبعة بنيت آنذاك في العالم بأسره) . وعلى مدى العشرين عاماً القادمة سوف تكون هناك خمسة من ستة من أكبر الأنظمة الاقتصادية في العالم في آسيا . ووفقاً لنبؤات إدارة المخابرات المركزية للولايات المتحدة الأمريكية فسوف تقف الصين عام ٢٠٢٠ على رأس القائمة العالمية بمجمل ناتج قومي يبلغ ٢٠ تريليون دولار تليها الولايات المتحدة ١٢,٥ تريليون ثم اليابان ٥ تريليون والهند ٤,٨ تريليون وإندونيسيا ٤,٢ تريليون وكوريا الجنوبية ٣,٤ تريليون ثم تايلاند ٤ تريليون دولار.

وبالنسبة لتاريخ الغرب، الذي اعتاد أن يتبوأ مركز الزعامة على مدى خمسة قرون، سيكون الأمر بالنسبة لحدث العصر، فإذا كانت نيويورك هي آلية الانتقام عند الغرب فهي تحمل الآن اسم شرق آسيا، وهذه المنطقة تمتلك أكبر فرصة للتقدم مع مطلع القرن الحادى والعشرين.

ووالآن يأتي الحديث عن العجز التجارى فى التبادل资料ى بين الولايات المتحدة الأمريكية وجميع بلدان آسيا؛ ففى عام ١٩٩٤ بلغ العجز الأمريكى فى التجارة مع اليابان ٦٥,٧ مليار دولار ، ومع الصين ٢٩,٥ مليار ، ومع تايوان ٩,٦ مليار ، ومع ماليزيا ٧ مليارات ومع تايلاند ٤,٥ مليار دولار . وفي عام ١٩٩٦ اقترب العجز التجارى الأمريكى مع جمهورية الصين الشعبية إلى ما قيمته ٤٠ مليار دولار . واستنادا إلى تنبؤات البنك الدولى للتعمير والتنمية فسوف تبلغ صادرات الصين الكبرى (الصين وهونج كونج وتايوان) فى عام ٢٠٠٢ ما قيمته ٦٣٠ مليار دولار، وهو ما يزيد عن صادرات اليابان (٥٢١ مليار دولار) . لقد أصبحت التجارة مع الصين بالنسبة للغرب، وللولايات المتحدة الأمريكية على وجه الخصوص عاملًا له مغزى إستراتيجي .

التأكيد الذاتى الفكرى :

إلى جانب النهضة الاقتصادية التى حققتها آسيا ، فإنها -وللمرة الأولى فى تاريخ العالم الحديث -تأتى لتأكيد قوتها الثقافية ، لا باعتبارها ثقافة تمتلك نفس الحق فى الاحترام فحسب ، وإنما باعتبارها ثقافة تمتلك فى كثير من جوانبها فيما أرفع بكثير مما لدى الثقافة الغربية . وفي رأى رئيس وزراء سنغافورة العجوز لي كوان يو ، فإن القيم الاجتماعية وتجربة سكان شرق آسيا من اليابانيين والكوريين والتايوانيين وفي هونج كونج وسنغافورة ، تمثل بالنسبة لهم ميزة كبيرة فى عملية سباقهم مع الغرب؛ فالعمل والأسرة والنظام وهيبة السلطة وخصوص النوازع الشخصية لعبد الجماعة ثم الإيمان بالنظام الهرمى وأهمية الإجماع فى الرأى والسعى لتجنب المواجهة والاهتمام الأبدى بإنقاذ الفرد ، وهيمنة الدولة على المجتمع (والمجتمع على الفرد) ، أى أفضلية الاستبداد العادل للسلطة على الديموقراطية الغربية - هي في رأى سكان شرق آسيا ألف باء النجاح الذى تحقق فى نهاية التسعينيات ، وهى أساس النجاح فى المستقبل . لقد ظهرت عقيدة التفوق الآسيوى التى تدعى اليابان نفسها لنبذ أساليب الحياة الأمريكية وتجربة النزوع لما هو غربى باعتبارها تجربة فاسدة . وقد طرحت هذه العقيدة برنامج النهضة الروحية ، ورفعت مبدأ عودة آسيا لآسيويتها باعتبارها

فكريين مناهضتين للفردية الغربية والتعليم المنحط وعدم توقير الكبار واحترام السلطة.

وفضلاً عن ذلك فإن آسيا راحت تتوجه بالعودة إلى «المجتمعات غير الغربية، لنبذ الدوจمات القديمة، وبات النموذج الأنجلو سكسوني للتقدم ، والذي كان فيما مضى هو النموذج الذي يلقى كل الترحيب باعتباره الطريق الأفضل للتحديث وبناء نظام سياسي فعال أمراً مرفوضاً، كما اهتز الإيمان بالحرية والمساواة والديمقراطية التي يلوح بها الغرب؛ فضلاً عن بثه لبذور الشك في الحكومة والدعوة إلى مواجهة السلطات. وفي آسيا الوسطى ينظرون نظرة نقديّة إلى هذا التحفظ «غير الملموس»، وإلى نفوذ النظام السياسي الغربي ، وهذا يواجه مبدأ المنافسة الحادة وتقدير حقوق الإنسان والنزع الواضح تجاه نسيان الماضي وتجاهل المستقبل من أجل الحصول على ثمار التقدم في المستقبل بمشاعر الشك . إن العالم النامي الهائل المعتمد من آسيا الوسطى وحتى المكسيك ليس ملزماً بقبول الدوจمات الفردية الغربية، وإنما عليه أن يحاكي التجربة الآسيوية الحقيقة. إن القيم الآسيوية قيم كونية ، أما القيم الأوروبية فلا تصلح إلا للأوربيين (٤) .

زعيم المنطقة

لقد أصبح واضحاً الآن من هو زعيم آسيا؛ فبعد قرون من السبات تهب الصين لنقف على قدميها ، ولتحتل -استناداً إلى بيانات البنك الدولي للتعويض والتنمية الصادرة عام ١٩٩٦ - المرتبة الرابعة دولياً من ناحية التقدم الاقتصادي إلى جانب الولايات المتحدة الأمريكية واليابان وألمانيا. وفي عام ١٩٩٦ بلغت احتياطيات الصين من العملات الحرة ما قيمته ٩١ مليار دولار ، وهو مؤشر لا يدانيها فيه في العالم سوى اليابان وتايوان . وفيما يلى نستعرض الميزان التجارى للصين : تبلغ قيمة واردات الصين من الولايات المتحدة الأمريكية ١٧,٧ مليار دولار ، بينما تصل صادرتها إلى الولايات المتحدة ٤٥,٥ مليار دولار. وجدير بالذكر أن واردات أمريكا من الصين تلغى ٨٦٠ ألفاً من الأيدي العاملة فيها . في عام ١٩٩٧ عادت هونج كونج الشريك التجارى الثالث عشر - من ناحية الحجم - للولايات المتحدة الأمريكية (يبلغ مقدار

التبادل التجارى بينهما ٢٤ مليار دولار) إلى الكيان الصيني . ومتناهٍ هونج كونج قاعدة علمية وتقنولوجية عملاقة واحتياطيات فى العملات الحرة تبلغ ٦٠ مليارا من الدولارات .

فى كتابيهما «الصراع القادم مع الصين» يصف كل من ر. برنشتاين ور. مانرو المتخصصين فى الشؤون الصينية الهمزة الصينية باعتبارها «التحدي الأصعب»؛ لأن الصين - خلافاً للاتحاد السوفيتى - ليست دولة عسكرية جباره تقوم على اقتصاد ضعيف ، وإنما هي اقتصاد قوى يبني قوة عسكرية مؤثرة . ويرجع الفضل فى ذلك إلى الدمو الثابت للتأثير الصينى على كافة أنحاء آسيا وعلى العالم ككل . إن الدور العالمى الذى تتوقه الصين لنفسها مرتبط بدھضة منافسى الولايات المتحدة الأمريكية ونهضة خصومها،^(٥) .

لقد ساهمت حركة المهاجرين الصينيين العريضة والمؤثرة فى دوران الحياة الاقتصادية والثقافية للمنطقة حول المحور الصينى .

فى التسعينيات فى القرن العشرين كان الصينيون يشكلون ١٠٪ من تعداد سكان تايلاند ، ويتحكمون فى نصف إجمالي الناتج القومى فيها؛ وفي ماليزيا شكل الصينيون ثلث السكان ، وهؤلاء كانوا يمتلكون كل اقتصاد البلاد ، وفي إندونيسيا تحكم الجالية الصينية التى لا يتجاوز عددها ٣٪ من تعداد السكان فى ٧٠٪ من الاقتصاد . وفي الفلبين لايزيد تعداد الصينيين عن ١٪ من مجمل السكان ، ولكنهم يملكون فى أيديهم ما لا يقل عن ٣٥٪ من الإنتاج الصناعى للبلاد . وهكذا يتضح بجلاء أن الصين أصبحت المحور الرئيسي لجماعة قوية متماشة تتميز بالحيوية والإبداع ، وترى فى نفسها من جديد الإمبراطورية الوسطى .

يقول ر. هولوران : «لقد أحبت الصين عقليّة الدولة الوسطى ؛ حيث كان الآسيويون الآخرون يبدون باعتبارهم كائنات منحطّة ، بينما يبدو ممثلو الغرب باعتبارهم همجاً^(٦) . أماك. ليبيرتاك من جامعة ميتشجان فيفترض أن زعماء الصين قد اتجهوا نحو ناحية التزعّة القومية حتى يدعموا النظام السياسي^(٧) . وقد شرع

المحلون الغربيون في مقارنة النهضة في الصين بالنظام العالمي المختل إبان ألمانيا القيصرية على تخوم القرنين التاسع عشر والعشرين (١٨٧١-١٩١٨).

و حول نهضة الصين باعتبارها طفرة إستراتيجية عالمية يقول عالما الجيوبوليتيكا إلينج وأولسين: «تعتبر الصين نفسها نموذجاً طبيعياً للدولة المهيمنة في شرق آسيا ، وهو أمر لا يتحدث به الصينيون ، وإنما يسيرون على نهج خطوة خطوة وراء الأخرى . وخلافاً لليابان، ذات التأثير الاقتصادي في المرتبة الأولى ، تسعى الصين - كلما ازدادت قوّة - لأن تحقق إلى جانب التأثير الاقتصادي تأثيراً سياسياً».^(٤)

وعندما يخرج البرتغاليون في عام ١٩٩١ من ماكاو - آخر مستعمرة للغرب في الصين - سيصبح العالم على الأرجح مختلفاً ، وسوف يظهر في منطقة شمال الأطلنطي منافساً مليئاً بالثقة . وسيصبح الصينيون أنداداً للأمريكيين والأوربيين في المجالس العليا ، التي يبدها اتخاذ قرارات الحرب والسلام^(٥) . وسوف يتم هذا لا بفضل إحياء الذاكرة المفقودة فقط ؛ فمن البديهي أن الصين تتحرك باتجاه الأصول: إعادة بناء صور الصين العظيم ، طبع الكتب ذات التوجه الأكثر وطنية ، ونقد شرور الرأسمالية ، وتجديد الكونفوشيوسية .

وعلى النحو التالي يقيم لي كوان يورنيس وزراء سنغافورة النهضة الصينية: إن حجم التغير الذي أحدهته الصين في ميزان القوى في العالم ، وصل إلى حد أن هذا العالم بحاجة إلى من ٣٠ إلى ٤٠ عاماً ليستعيد التوازن الذي فقده . سوف يظهر على الساحة العالمية ليس مجرد لاعب آخر جديد ، وإنما سيظهر عليها أعظم لاعب في تاريخ البشرية^(٦) .

الوجه المخافض للغرب

والآن ها هو العملاق العالمي الجديد يمد بصره تجاه الغرب ودون أدنى قدر من العطف . لقد تكونت لدى قادة الصين ومثقفيه فكرة مفادها أنه وبعد حسن نيات الغرب التي تجلت في السبعينيات والثمانينيات ، راحت مشاعر العالم في التسعينيات تقسو تجاه الصين وخبت الرغبة في تقديم يد العون من أجل تنميتها . وبات على

الصين الآن أن تعتمد على ذاتها، وهي قادرة أن تدافع عن مصالحها بعد مائة عام من الإذلال .

كان دان سياوبين مثلاً للتحفظ الصيني ، ثم جاء من بعده أنصار مفهوم تأكيد الذات ليأخذوا فرصتهم . لا يجدون في الأفق السياسي الصيني مع أقوال التسعينيات شخصيات ذات توجه مؤيد للغرب ، ومن ثم فقد أعلن أنصار القسوة عن أنفسهم دون مواربة . لقد أدت بعض التصرفات التي أقدمت عليها الولايات المتحدة الأمريكية مثل تنشيط البث عبر إذاعة آسيا الحرة إلى إثارة مشاعر الغضب لدى القيادة الصينية ، وأصبحت مواقف الولايات المتحدة والصين تتسم بالتضاد . وقد ورد في أحدى الوثائق الصينية السرية عام ١٩٩٢ مانصه : منذ أن تحولت الولايات المتحدة الأمريكية إلى الدولة العظمى الوحيدة ، وهي تناضل بشراسة من أجل تحقق مزيداً من الهيمنة وسيادة سياسة القوة التي تتبعها ، يجري كل ذلك في ظروف دخولها في مرحلة السقوط النسبي وتراجع قدرتها . ومنذ عام ١٩٩٢ وكافة الوثائق السرية الحزبية للحزب الشيوعي الصيني تعرف الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها العدو الحقيقي للصين . وقد أعلن السيد تشاؤ زيان رئيس جمهورية الصين الشعبية في عام ١٩٩٥ أن القوى العدوانية للغرب لم تتخلى يوماً واحداً عن مخططاتها لتغريب وتقسيم بلادنا . وفي خطاب ألقاه السيد زيان زيتشن وزير خارجية الصين في عام ١٩٩٥ في الاجتماع السنوي لقادة منظمة أسيان ، ذكر الوزير الصيني : أن الوقت قد حان لتنوقف الولايات المتحدة الأمريكية عن النظر إلى نفسها باعتبارها «منقذ الشرق» . إننا لا نعترف بتطاول الولايات المتحدة على أداء دور الضامن للسلام والاستقرار في آسيا . ويرى القادة الصينيون أن الولايات المتحدة الأمريكية تحاول تقسيم الصين إلى مناطق وإخضاعها سياسياً وإعاقتها إستراتيجياً وتقليل دورها اقتصادياً (١١) .

يدين الجنرال زان فانيان رئيس أركان حرب الجيش الشعبي الصيني تدخل أصحاب التوجه الأمريكي في الهيمنة في الشؤون الداخلية للصين ودعمهم المريع للعناصر العدوانية داخل البلاد . ويكشف خو إينتاو عضو اللجنة الدائمة للمكتب السياسي للحزب الشيوعي الصيني العدو الأمريكي بقوله : إن الحزب الشيوعي

الصيني هو العدو الرئيسي اليوم تبعاً لـ الاستراتيجية الهيمنة العالمية التي تتبعها الولايات المتحدة الأمريكية، ومبادئ هذه الاستراتيجية هي التدخل في شؤون الصين والإطاحة بالحكومة الصينية والقضاء على التنمية في الصين . ويعلن دين جواند چين رفيقه في المكتب السياسي أن الولايات المتحدة الأمريكية تسعى لتحويل الصين إلى دولة تابعة، (١٢) .

وفي أحد البحوث التحليلية الذي يحمل عنوان هل يمكن أن يكسب الجيش الصيني العرب القادمة ؟ نقرأ أن : «منطقة المحيط الهادئ الآسيوية سوف تكتسب تدريجياً بعد عام ٢٠٠٠ الأهمية الأولى بالنسبة لأمريكا... فمن ستكون بيده مقادير المبادرة في هذه الفترة الانتقالية هو الذي ستكون له القدرة على اتخاذ القرار في المستقبل ... لقد ظل صراع المصالح الإستراتيجية بين الصين والولايات المتحدة الأمريكية لفترة محدودة قائماً في الظل على أنه ومع انهيار الاتحاد السوفيتي خرج هذا الصراع على سطح الأحداث ، وسوف تظل الصين والولايات المتحدة الأمريكية في حالة مواجهة دائمة ، وقد ركز كل منهما انتباهه نحو مصالحه الاقتصادية والسياسية في منطقة المحيط الهادئ الآسيوية . في عام ١٩٩٣ قامت مجموعة من كبار ضباط جيش التحرير الشعبي الصيني بتوجيه خطاب إلى دين زياو بين يطلبون فيه وقف سياسة الصبر وضبط النفس والحلول الوسطى تجاه الولايات المتحدة الأمريكية».

وفي نفس العام أصدر المؤتمر القومي العام لممثلى القوات المسلحة والحزب في جمهورية الصين الشعبية وثيقة محورها الحكم التالي: لقد أصبحت الصين منذ هذه اللحظة الهدف الرئيسي للهيمنة الأمريكية ولسياسة القوة ... ويجري تحقيق هذه الإستراتيجية بواسطة فرض المقاطعة على الصين بهدف إجبارها على تغيير أيديولوجيتها واستسلامها للغرب عن طريق التسرب إلى الأسواق العليا للسلطة في الصين بتقديم المساعدات المالية لقوى العدوانية داخل الأراضي الصينية وخارجها ، تلك القوى التي تتحين اللحظة المناسبة لتتأليب القلاقل عن طريق فبركة نظريات ويدر الشقاقي بين الصين وهذه الدول مثل الهند وإندونيسيا وماليزيا عن طريق توجيه كل من اليابان وكوريا الجنوبية بغرض جذبها إلى إستراتيجية الصراع الأمريكي ضد

الصين، وقد قوبل القرار الذي اتخذه الولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٩٦ بدعم علاقاتها العسكرية مع كل من اليابان وأستراليا «بضبط النفس»، من جانب الصين.

وفي النقاشات التي دارت في بكين، دوت الحجج القائلة بأن الولايات المتحدة الأمريكية هي «دولة فقدت تأثيرها»، وراحت تسعى للهيلولة في صعود تلك الدول العظمى الجديدة مثل الصين.... فالولايات المتحدة ببساطة لا تستطيع التخلص - وفقاً لعقليتها - عن الموضع الذي تفرض منه مبادئها وسياساتها التي لا تبالي بمشكلات الصين الداخلية^(١٢). ولماذا يجب أن تعلى هذه الدولة الواقعة على الجانب الآخر للمحيط العظيم إرادتها على دولة ظلت تفرض هيمنتها على منطقتها على امتداد بضعة آلاف من السنين؟ إن كتاب «الصين تستطيع أن تقول لا»، والذي أصبح في عام ١٩٩٦ واحداً من أكثر الكتب مبيعاً يدعو لمكافحة الإمبريالية الثقافية والاقتصادية للولايات المتحدة الأمريكية وإلى مقاطعة البضائع الأمريكية، كما يطالب بدفع تعويضات مقابل الاختزاعات الصينية مثل البارود والورق وفرض قيود جمركية على السلع الأمريكية ومحاولته إقامة علاقة تحالف مع روسيا تقوم على المواجهة المشتركة لأمريكا.

لقد وجد الاتجاه نحو تأكيد الذات استجابة لدى الدول المجاورة؛ فقد أعلن مهانير محمد رئيس وزراء ماليزيا إبان زيارته للهند في ديسمبر عام ١٩٩٦ أن «دول جنوب شرق آسيا ليست بحاجة للدعم العسكري الأمريكي... إننا لا نستطيع أن نظل خاضعين أكثر من ذلك لأمزجة دول العالم الأكثر تقدماً اقتصادياً ولنياتها الطيبة»، وعلينا أن نحل مشكلاتنا المرتبطة بتنمية الاقتصاد القومي، كما أن على الدول الآسيوية أن توحد جهودها في النضال من أجل أهدافها المشتركة، والتي من أهمها أن تتحل مكانة متميزة في السوق العالمي». وفي جنوب شرق آسيا تستطيع الصين أن تعتمد على جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية القريبة منها سياسياً وثقافياً، وقد أصبحت سنغافورة أكثر تعاطفاً في هذا الصدد، وراحت ماليزيا تنساق على نحو واضح مع التوجه الصيني، أما تايلاند فأظهرت استعدادها للولاء تجاه القوة الصاعدة في آسيا.

التجهيز نحو البناء العسكري

غيرت الصين إستراتيجيتها العسكرية ، فأعادت توجيه قواتها المسلحة من الشمال إلى الجنوب ، وفي سياق ذلك قامت بتطوير قوتها البحرية ورفعت من كفاءة عمليات تموين طائراتها أثناء التحليق ، وراحت تضع الخطط لإمداد قواتها البحرية بحاملة طائرات وشراء القاذفات الحديثة . وفي عام ١٩٨٧ طرحت الصين مسألة حقها في جزيرة سبراطل مجددة قضية ملكيتها لهذه الجزيرة عبر آلاف السنين ، وفي عام ١٩٨٨ احتلت القوات الصينية جزيرة خايان ثم حولتها إلى منطقة اقتصادية مميزة ، بعد أن أقامت عليها قاعدة عسكرية بحرية ، وفي عام ١٩٩٢ أصدرت جمهورية الصين الشعبية قانوناً بشأن ما أسماه البحر الداخلي (والذى كان معروفاً باسم بحر الصين الجنوبي - أو نكين) والمنطقة المتاخمة له ، والتي أصبحت تشكل قاعدة شرعية لواصلة التقدم . وبعد انضمامها في عام ١٩٩٦ لمعاهدة الأمم المتحدة الخاصة بالقانون البحري ، وسعت بكين المنطقة الاقتصادية في بحر الصين الجنوبي سبع مرات أي ما يعادل ٢.٥ مليون كيلومتر مربع . وقد بدأ المناورات التي أجرتها الصين خلال عامي ١٩٩٥ و ١٩٩٦ بمثابة إنذار لتايوان بألا تسمح للولايات المتحدة الأمريكية التدخل في الشؤون الداخلية للصين ، وفي يناير ١٩٩٥ كرر زيان زيمين مقوله دين سياوبين : دولة واحدة ونظامين يدعون لقوية كل أشكال العلاقات مع هذه الجزيرة الصناعية الجباره . وفي سياق الانتخابات التي جرت في تايوان تم إعادة انتخاب مثل حزب جوميندان المناهض لإعلان تايوان دولة مستقلة وذلك بإرضاء لبكين .

لقد أصبحت الصين مستعدة لمواجهة كافة تطورات الأحداث المنتظرة في المستقبل سواء الإيجابي منها أو السلبي ؛ فالإيجابي يمكن أن يتمثل في رفض الولايات المتحدة الأمريكية (واليابان) دعم تايوان في سعيها نحو الاستقلال ، وهو ما يسهل عملية التقارب بين بكين وتايبه ، وفي هذه الحالة فإن النظام الإستراتيجي الجديد شرقى آسيا لن يكون مرتبطاً بقوة الولايات المتحدة الأمريكية ولا بوجودها العسكري في آسيا . أما السلبي فيتمثل في إعلان تايوان استقلالها عن القارة الصينية .

وفي هذه الحالة فإن جمهورية الصين الشعبية على استعداد أن تزيد جهودها العسكرية، وأن تواجه الولايات المتحدة الأمريكية مواجهة أكثر صراحة في منطقة شرق آسيا.

العامل العسكري

لقد جرى تخفيض النفقات العسكرية في دول العالم في الفترة من ١٩٨٧ إلى ١٩٩٧ من ١٣٠٠ مليار دولار إلى ٨٤٠ مليار دولار . على أن هذا التوجه العالمي أخذ في السير في الاتجاه المضاد في شرق آسيا - أكثر مناطق العالم قاطبة ديناميكية من ناحية النمو . وإذا كان حلف شمال الأطلسي قد خفض نفقاته العسكرية في الفترة من ١٩٨٥ إلى ١٩٩٥ بمقدار ١٠ % (من ٥٤٠ إلى ٤٨٥ مليار دولار)، فقد رفعت منطقة شرق آسيا نفقاتها العسكرية في نفس هذه الفترة بمقدار ٥٠ % (من ٩٥ إلى ١٣٥ مليار دولار) . ففي اليابان ارتفعت النفقات العسكرية من ٤٢,٤ إلى ٤٥,٨ مليار دولار، وفي كوريا الجنوبية من ٧,٩ إلى ١١,٥ مليار دولار ، وفي تايلاند من ٢,٣ إلى ٣,٨ مليار دولار ، وفي ماليزيا من ١,٣ إلى ٢,١ مليار دولار . ويدعا من عام ١٩٩١ ظلت الصين ترفع من نفقاتها العسكرية بنسبة ١٧ % سنويًا لتصل بها إلى ٤٠ مليار دولار بعما لسعر الصرف الرسمي (أى ما يعادل ٩٠ مليار دولار تبعاً لقوة الشراء) .

خلفت القوات المسلحة الصينية نوعاً من الإمبراطورية الاقتصادية تمثلت في ظهور مجالات صناعية خاصة تنتج معدات عسكرية ؛ فالشركات الخاضعة للجيش كانت تصدر المعدات الضرورية ، وخاصة المستخدمة في مجال إنتاج الأدوات الكهربائية المتطرفة . وفي نهاية التسعينيات نجحت الصين في تصميم ستة أطربة طائرات حربية . ومن المنتظر (طبقاً لبرنامج تسليم القوات الجوية حتى عام ٢٠٠٦ أن تدخل الخدمة ١٥٠ قاذفة من طراز سوخوي ٢٧ مصنوعة في الصين بتصریح روسي ، إلى جانب الطائرات المهاجمة إف - بي - ٧ من الإنتاج الصيني ، كما ستظهر قريباً القاذفة الصينية إف - سى - ١ تلتها القاذفة المعدلة إف - ١٠ . وبحلول عام ٢٠١٥ سينتهي العمل في القاذفة إكس إكس جي . ومما زاد من مقدرة القوات المسلحة الصينية شراء غواصات وصواريخ أرض - جو وعدد كبير من الدبابات من روسيا . وبحلول القرن الحادى والعشرين سيصبح لدى القوات المسلحة

الصينية ما يقرب من ستة آلاف ومائتين دبابة وثلاثين صاروخاً باليستريا عابراً للقارات تعمل بالوقود الجاف (مزودة برؤوس موجهة ذاتياً) .

حلفاء الصين : مع مطلع القرن الحادى والعشرين سيكون العالم الإسلامي هو الخليف الأول لهذا الخليط الآسيوى الجديد ، الذى تترزعمه الصين . لقد أصبح أساس تأكيد الذات عند أصحاب النزعه القومية الإسلامية هو ما تم إنجازه بالفعل فى النصف الأخير من القرن العشرين من اعتراف كامل بفكرة التطور المادى للغرب وفى نفس الوقت رفض القيم الاجتماعية والسلمات الغربية والتوصيات الخاصة بالنظام الاجتماعى له ، وقد عبر ممثل السلطة السعودية عن هذا بقوله : إن السلع الأجنبية من شأنها أن تضيقنا حقيقة ، لكن النظم الاجتماعية والسياسية غير الملموسة والتى يتم تصديرها إلينا من الخارج يمكن أن تقلينا

إن الإسلام بالنسبة لنا ليس مجرد دين ، وإنما هو أسلوب حياة . إننا في العربية السعودية نسعى للتحديث لا للتغريب (١٤) .

إن النهضة الإسلامية التى بدأت منذ فترة غير بعيدة ، فى السبعينيات تحديداً ، قد خلقت طبقة وسطى جديدة . وأصبح المطلب الدينى الجديد هو رأية هذه النهضة : العمل ، النظام ، الانضباط ؛ فهذا العالم الإسلامي الذى يموج بالبشر يشغل مساحة هائلة تمتد من المغرب إلى كازاخستان ، ومن إندونيسيا إلى القوقاز . ومع بداية القرن الحادى والعشرين ستتصبح أى من الدول التى تعتنق الإسلام (سياسياً وثقافياً) أكثر توجهاً إليه ، كما سيصبح شبابها ومتذوقوها أكثر راديكالية . وهنا يصل علم الاجتماع الغربى إلى استنتاج مفاده : أن الإسلام يقدم هوية ملائمة للجماهير التى فقدت جذورها (١٥) . إن الملايين الذين كانوا بالأمس من الفلاحين ، قد صنعوا من سكان المدن الكبرى في العالم الإسلامي ثلاثة أضعاف ، وأصبحوا يمثلون الآن قوته الضاربة . لقد أصبح الإسلام هو البديل الوظيفي للمعارضة الديموقراطية ومواجهة سلط المجتمعات المسيحية ، وبدأ باعتباره ثمرة للحراك الاجتماعى .

يشير صامويل هنتنجرتون إلى الطبيعة الراقصنة للثقافة الإسلامية وللمجتمع الإسلامي تجاه المفاهيم الليبرالية الغربية (١٦) . ويعرف بـ . لويس المتخصص الغربى

البارز في الشؤون الإسلامية ما يحدث باعتباره صدام للحضارات يمكن أن يمثل رد فعل تاريخي غير عقلاني تجاه منافس قديم ، تجاه تراثنا اليهودي المسيحي وتجاه حاضرنا العلماني والتوجه العالمي لهاتين الظاهرتين^(١٧) . ومن المتوقع أن يصل تعداد المسلمين في عام ٢٠٢٠ إلى ٣٠٪ من تعداد سكان العالم ، وفي الوقت الحالي يعيش ١٣ مليون مسلم في أوروبا الغربية ، كما أن ثلثي المهاجرين إليها ينتهيون إلى العالم العربي .

إن الحكومات الغربية تنظر إلى هذه الهجرة كما لو كانت نوعاً من الإنزال العسكري . وفي عام ١٩٩٥ وصف الأمين العام لحلف الناتو الأصولية الإسلامية بأنها تظل خطراً لا يقل عن الخطير الشيوعي ، وبنهاية التسعينيات أغلقت أوروبا الغربية أبوابها فعلياً أمام المهاجرين من غير الدول الأوروبية ، وأصبحت الهجرة هي المشكلة السياسية الرئيسية في الولايات المتحدة الأمريكية وفي بلدان أوروبا الغربية .

لقد أظهر المسلمون والصينيون - الحلفاء الجيوبيوتيكيون - ميلاً - كان متوقعاً تماماً - نحو التعاون ؛ فقد تقدمت الصين لتصبح الترسانة الرئيسية للعالم الإسلامي . ففي الفترة من عام ١٩٨٠ وحتى عام ١٩٩١ باعت الصين للعراق ١٣٠٠ دبابة وإلى باكستان ١١٠٠ وإلى إيران ٥٤٠ دبابة ، وكان العراق قد تسلم من بكين ٦٥٠ عربة مدرعة ، بينما تسلمت إيران ٣٠٠ عربة . وقد بلغ عدد منصات الصواريخ وأنظمة المدفعية التي تم بيعها إلى كل من إيران وباكستان وال العراق ١٢٠٠ ، ٥٠ ، ٧٢٠ على التوالي . وكما تسلمت باكستان ٢١٢ قاذفة وإيران ١٤٠ ، أما الصواريخ أرض - جو فتسلمت الأولى ٢٢٢ والثانية ٧٨٨ صاروخاً^(١٨) ، وقد ساعدت الصين باكستان في وضع أساس برنامجه النووي كما قدمت مساعدة مماثلة إلى إيران . وقد بنت الصين سراً للجزائر مفاعلاً ذرياً قادراً على إنتاج البلوتونيوم ، وتلقت ليبيا تكنولوجيا نووية وتلقت العراق كميات كبيرة من الأسلحة . لقد أصبح هناك تحالف غير مكتوب بين الصين وباكستان وإيران يمثل العداء للغرب في أساسه . يصل ج . فوللر إلى استنتاج مفاده أن التحالف بين الكونفوشيوسية والإسلام قد تجسد ليس لأن النبي محمد وكونفوشيوس قد اتحدا في مواجهة الغرب ، وإنما لأن الثقافتين (الإسلامية

والكونفوشيوسية) تقدمان وسائل التعبير عن الشعور بالامتنان والذنب الذين يقع جزءاً منها على الغرب ، هذا الغرب ذاته الذي أخذت هيمنته السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية في الصنع يوماً بعد الآخر .

التفسير الأمريكي

أثارت التحولات الجيوبوليتيكية الهائلة في آسيا فلماً عميقاً لدى قباطنة سفينة الحكومة الأمريكية . وفي أواسط المحاللين الأمريكيين تشكلت مفاهيم ثلاثة: التشدد، الحل الوسط، اللين.

١ - يؤكد ك . ليبرتال مثل الاتجاه المتشدد دون مراوغة أن الصين القوية هي التحدى الأكبر أمام الولايات المتحدة الأمريكية والنظام العالمي الآخر^(٢٠) . أما ر. برنشتاين ور. ماورو اللذان مثلا الصحافة الأمريكية في الصين زماناً طويلاً فيصلان إلى استنتاج مفاده أن الصين سوف تحول بسرعة إلى الدولة الثانية في العالم من ناحية القوة ، وهي لن تصبح بأي حال شريكاً إستراتيجياً للولايات المتحدة الأمريكية ، وإنما ستتحول لها لسنوات طويلة^(٢١) .

ويحذر المنظر العسكري كولين جرای من أن الدولة الصينية العظمى الصاعدة سوف يكون لها حتماً تأثيراً إيجابياً وإسلامياً على النظام العالمي ، وذلك بفضل حجمها وطبيعة أراضيها وسكانها ونقاليدها الاجتماعية وموقعها^(٢٢) .

إن ممثلي اتجاه التشدد يشعرون بالقلق من جراء غياب أي رؤية مستقبلية لدى واشنطن في علاقتها مع عمالق الشرق . إن إدارة كلينتون لم تستطع أن تولي الاهتمام المطلوب لإدراك ميلاد الصين كقوة عظمى^(٢٣) . وهناك من المتخصصين من أمثال ج . ناي من يفترض أن على الولايات المتحدة الأمريكية أن تقود منطقة آسيا المحيط الهادئ^(٢٤) ، وأن تدخل في مواجهة مع الصين في المناطق النزاعية (بالنسبة للصين) مثل التبت وبحر الصين الجنوبي . ويؤكد ممثلو هذا الاتجاه على أن التبت لم تكن في يوم من الأيام من مقاطعات الصين ، كما أنها لم تكن من دافعي الجزية أو إقليماً خاصها للإمبراطورية الصينية ... إن وضع التبت اليوم مثل كوريا عندما كانت مستعمرة يابانية في عام ١٩١٠^(٢٥) .

ويتخذ ممثلو التوجه المتشدد موقفاً أكثر صراحة في العداء للصين بالنسبة لأرخبيل سبراطل وجزر باراسيل؛ فالولايات المتحدة ينبغي أن يكون لها وجود فيما، وأن تعتمد في ذلك على القوة المناهضة للصين، كما ينبغي أن يكون لها وجود عسكري دائم في بحر الصين الجنوبي (وكذلك في مضيق تایوان). كما أن من الضروري تقوية الأسطول السابع بشكل كبير، حتى يؤمن حرية الملاحة عبر بحر الصين الجنوبي وفي كل الطرق البحرية في جنوب شرق آسيا ...^(٦). وهناك متخصصون آخرون، مثل أ. فوجيل، يرون أن على الولايات المتحدة الأمريكية أن تضم الأسطول السابع بشكل دائم بين تایوان وجمهورية الصين الشعبية مع تقديم الدعم العسكري المفترض لتایوان.

أما ممثلو المدرسة الواقعية في السياسة فيرون أن على الولايات المتحدة الأمريكية أن توسيع من نطاق تحالفها مع اليابان، وأن تطور علاقاتها العسكرية مع الأمم الآسيوية الأخرى، وأن تزيد من وجودها العسكري في آسيا مع زيادة إمكانيات نقل قواتها المسلحة إليها، هذا إذا ما أرادت وقف الهيمنة الصينية في شرق آسيا.

وفي الوقت نفسه يتمسك الكثيرون من المشرعين الأمريكيين بالاتجاه المتشدد تجاه الصين، فنجد أن الكونجرس قد طالب باعتماد سفير لدى حكومة الدلائى لاما الموجودة بالمنفى، كما طالب بالاعتراف باستقلال التبت. وتختصر الفكرة الرئيسية لهذه السياسة التي يؤمن بها إستراتيجيو واشنطن في أنإقليم التبت هو إقليم ذو أهمية كبرى ولا ينبغي تركه ليتطور وفقاً لإرادة موجات المحيط الهادى، كما أن من الضروري أن تبقى القوات الأمريكية في أوكييناوا وكوريا الجنوبية، وأن يتم الاتفاق على علاقات عسكرية مباشرة مع سنغافورة، وأن على الأسطول الأمريكي أن يطوف بدورياته في كل الطرق البحرية الرئيسية. ويمكن أن تجرى في آسيا محاولة تكرار خبرة مؤتمر الأمن والتعاون الذي عقد في أوروبا، على أن يتم ذلك بحرص بالغ دون دفع بلدان المنطقة للدخول في عملية جديدة بالنسبة لهم. إن على وزير خارجية أمريكا أن يسارع بزيارة آسيا ذات الأهمية الحيوية، بدلاً من قيامه بزيارة الشرق الأوسط. على هذا النحو تجلت عقيدة أنصار هذا النهج.

٢- أما أنصار الحل الوسط (مثل بـ . كيندي على سبيل المثال) فينادون بألا يتم تحويل الموقف إلى موقف درامي ، فآسيا سوف تحتاج إلى عدة سنوات حتى تصل إلى مركز الزعامة العالمية . وعبر بـ . كريوجر عالم الاقتصاد في جامعة ستانفورد عن موقفه بقدر كبير من الشك ، فهو يرى أن استقرار الاتجاهات الموجودة حالياً للنمو الاقتصادي في آسيا حتى عام ٢٠١٠ سوف تبدو في غاية السخف تماماً مثل حالة الخوف الذي كان قائماً في الستينيات تجاه التفوق الصناعي السوفيتي ، أما الشكوك القائمة تجاه قدرة الصين في إحراز فوزة واقعية وتجاوزها للخلف الذي دام قرونا طويلاً فيعبر عنها نـ . تاكر بقوله : إن الناقصات الداخلية في الصين ما تزال تمثل عائقاً أمام تحولها إلى دولة عظمى ^(٣٧) .

ويخشى ممثلو الحل الوسط تورط الولايات المتحدة الأمريكية في الخصومة السياسية والعسكرية بين جمهورية الصين الشعبية وتايوان . وهؤلاء يشعرون بالقلق من أن تقوم السلطات في تايوان بقبول الدعم من تايواني باعتباره ضماناً للدعم الإستراتيجي العسكري للولايات المتحدة في حالة قيام الصين بمحاولة صريحة لدمج الجزرتين في دولة واحدة . وفي رأي هؤلاء السياسيين أن الولايات المتحدة الأمريكية ينبغي ألا تنسحب من البحار الجنوبية ، وأن عليها ألا تتخلى بالتزامات يمكن أن تورطها في معركة لن تتحقق فيها انتصاراً ، أو تصل فيها إلى حل بناء . وهذه المجموعة من الخبراء تميل إلى الظن بأن الصين سوف تدخل في مواجهة مع اليابان خصوصاً القديم وجاراتها المباشرة وليس مع الولايات المتحدة الأمريكية . أما اليابان الخائفة فتسعي لدعم أمريكا في آسيا ، وهذه القوة الموحدة المكونة من هاتين الدولتين فهي التي ستحسم القضية على النحو المطلوب .

إن على واشنطن أن تدع جانبها أوهامها المتعلقة برغبتها في إدارة الصين ، فالعقبات التي تفرضها الولايات المتحدة من شأنها أن تؤدي إلى مواجهة بين الجنس الصيني والولايات المتحدة ، بدلاً من أن تخلق معارضة داخلية للنظام الشيوعي . إن بعضنا فقط من مطالب الولايات المتحدة الأمريكية يمكن اعتباره مطالب واقعية وهي: زيادة حقوق التبنت والانحياز لسياسة عدم انتشار الأسلحة النووية . وعلى أمريكا أن

تتذكر أن الصينيين ليسوا بحاجة إلى طوفان شبيه بذلك الطوفان الذي اجتاح أوروبا الشرقية (عام ١٩٨٩)؛ فالصين يمكنها أن ترحب بالاستثمارات الأمريكية ، إلا أنهم يتمسكون بشدة بسياسة الاعتماد على الذات .

يرى مايسنر أن الصين سوف تواجه أوقاتاً عصيبة إبان عملية إعادة البناء الداخلي ، عندما تقف الطبقة الوسطى الصاعدة ضد الوضع السياسي الراهن . وهذا الأمر من شأنه أن يضعف من قدرة السياسة الخارجية لدولة عظمى^(٢٨) . وسوف تتراجع الاستثمارات الاقتصادية في الصين حتماً بمرور الوقت ، كما سيتقلص إيقاع نمو البلاد . على أنه حتى خبراء الغرب المعتدلين لا يرون المستقبل خالياً من السحب . يؤكد ش . كارلايل : أن من الصعب أن نتصور أن الصين واليابان يرغبان في إقامة منطقة تجارة حرة مع الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من الدول المطلة على المحيط الهادئ ، كما أن من الصعب أن نتصور أن مواطنى أمريكا والكونجرس ومن يماثلها في الدول المتقدمة سوف يعملون على توقيع اتفاقات من شأنها أن تفتح حدودها أمام استيراد المنسوجات والملابس والأجهزة الكهربائية وغيرها من المنتجات الصناعية^(٢٩) . وهذا يعني أن هذه الدرجة أو تلك من درجات الاغتراب أمر حتى من الناحية العملية . وفي هذا السياق يرى ياشين خوان من جامعة ميتشجان أن الجيل القادم من السياسيين الصينيين لن يكون بإمكانه أن يحقق قيادة حازمة بعد ذهاب دين سياوبين ، وسوف يسعى القادة العسكريون المحليون لاقتناص السلطة من الحكومة المركزية ليقوموا بإدارة الأقاليم ، أما إضعاف الشيوعية فسوف يتوقف على قدرة بكين على قيادة البلاد .

٣-مفهوم الاعتدال ، ويستند إلى المقدمة التي تفترض أنه بانتهاء الحرب الباردة لم يعد هناك في آسيا ما يثير الخوف . ويرى أنصار هذا المفهوم أن الوضع في شبه الجزيرة الكورية يتمتع بالاستقرار ، وفي نفس الوقت سوف تدخل روسيا واليابان والصين في صدام كل مع الآخر . وهنا يطرح أ . رافينول من جامعة جورجتاون افتراضاً مفاده أن الصين سوف تتوجه ناحية احتياجاتها الداخلية ، أما روسيا فسوف تظل زمناً طويلاً عاجزة عن تحديد جيرانها ، بينما ينتظر الهند والهند الصينية ودول

الآسيان العديد من المصاعب التي ستبتلي مصادرها . وفي الوقت ذاته سوف تلعب الولايات المتحدة الأمريكية دور المجلس التحكيمي أو رمانة الميزان الموجودة على أهمية الاستعداد لتحريرك قواها على وجه السرعة في حالة الضرورة ، ولكن دون أن تسبب الاضطراب في المنطقة دون جدوى .

ومن وجة نظر مثلى التوجه المعتمد أن ١٣٪ من السكان ، الذين أنهوا دراساتهم الجامعية يقفون أحيانا ضد الشيوعية ، على أن السود الأعظم من السكان (طبقا لاستفتاءات التي قام بها الأمريكيون أنفسهم) يؤيدون حكومتهم بشكل أكثر فعالية من تأييد الإيطاليين أو المكسيكيين لحكوماتهم على سبيل المثال . إن انهيار الشيوعية في الاتحاد السوفيتي ليس من شأنه أن يفرض حتمية انهيار مماثل في الصين ، فكل دولة لها خصائصها في هذا الشأن ، فالنظام في بكين قادر على التكيف مع الطفرات الاجتماعية الاقتصادية الجديدة ؛ وفضلا عن ذلك فإن سقوط الشيوعية في أوروبا الشرقية قد دعم بدرجة ما النظام الشيوعي في الصين ؛ إذ رأى الموظفون الكبار مصيرهم في إعدام شاويشوك وزوجته رمي بالرصاص ومن ثم زادوا من يقطنهم آملين أن يتجلبوا الفوضى السياسية والاجتماعية بشتى الوسائل . واليوم فإن العنصرين القومي والجتماعي في الشيوعية الصينية قد اندمجا معا في عنصر واحد .^(٣٠) فالصين - من الناحية القومية - وحيث يعيش ٩٣٪ من الصينيين الأصليين - هي دولة من عرق واحد تقريبا .

إن المشهد السياسي في نهاية القرن العشرين في جمهورية الصين الشعبية لا يشبه على الإطلاق المشهد في عشرينيات القرن نفسه ، عندما كانت السيادة لجنرالات الأقاليم ؛ ففي بكين لم تعد هناك عائلة حاكمة من منشوريا ، ولم تعد الصين تتعرض للإهانة من جيرانها ، وأصبحت تقاليد سلطة الدولة المركزية الصارمة قوية على نحو لم تعهده من قبل . وفي الوقت نفسه فقد بدأ ٧٢٪ من السكان ، من الفلاحين الذين يعيشون في المناطق الريفية في انتخاب رؤسائهم ، وهي حقيقة بالغة الأهمية بالنسبة لمستقبل الصين . إن التنبو بإمكان وقوع انشقاق أو ظهور نزعة انفصالية هي - حتى الآن - مبالغات واضحة تماما ، وفي الثمانينيات كان على بكين أن تطلب من إقليم

جوان تشو (أكبر الأقاليم الصناعية) زيادة الضرائب إلى ٧٢٪، وقد خضع الإقليم لذلك الطلب . إن هذا الإقليم الذي يصدر ثلث منتجاته إلى السوق المحلي يعد عنصراً قوياً ضد النزعة الانفصالية . أضاف إلى ذلك أن الهجرة الداخلية أيضاً سوف تدعم من الوحدة القومية . وفي النهاية فإن المعركة القائمة في الصين بين التكامل والامركزية الإدارية هي التي ستحدد نجاح أو هزيمة التحديث الصيني ، على أن هناك أسباباً لافتراض أن السلطة المركزية في البلاد ستظل صامدة .

إن أنصار هذا التوجه يخشون «هزيمة» الولايات المتحدة الأمريكية في دعمها لไตايوان ، وأن تتسرب قوة اللوبي التايواني ، وقوة العلاقات الاقتصادية مع هذه الجزيرة؛ فضلاً عن المصالح الإستراتيجية التي يمكن فهمها على نحو خاطئ ، إلى جر الولايات المتحدة إلى نزاع مع الصين – القوة العالمية الصاعدة . وقد عبر عن هذه المخاوف على نحو واضح هنري كيسينجر وزير خارجية أمريكا السابق في خطاب له ألقاه في شهر مارس ١٩٩٥ أمام اللجنة القومية للشئون الأمريكية الصينية جاء فيه : «على الذين يريدون استعادتهم من كلا الحزبين السياسيين الأمريكيين لدفع الولايات المتحدة الأمريكية إلى الطريق المؤدي إلى الاصطدام بأقوى دولة وأكبرها تعداداً في آسيا ، أن يمعنوا التفكير في النتائج المترتبة على ذلك ... فعلى امتداد ما يزيد عن نصف قرن حاولت تايوان أن تبتعد بالولايات المتحدة عن الحل السلمي لشركها فعلياً في الحرب الأهلية الصينية».

وقد شارك في الجمعية الأمريكية الصينية التي أنشأها هنري كيسينجر عدد من وزراء الخارجية السابقين منهم وليم روجرز وسايروس فانس وألكسندر هيج ، ومن مستشاري الرئيس للأمن القومي ز. بيچنسكي ور. ماكفرلين وب. سكاوكروفت . وقد ظهر اللوبي المؤيد للصين على نحو فعال في عام ١٩٩٤ مدافعاً عن حق الصين في أن تتمتع بوضع الدولة الأولى بالرعاية في مجال التجارة ، ومنذ ذلك الحين أصبح هذا اللوبي المحلي الأكثر تأثيراً تقريراً في السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية ، وفي المقابل أنشأت في الصين الجمعية العمالية المركزية التي يرأسها زيان زيمين بهدف التعاون مع هذا اللوبي . وفي مجال الصناعة أصبحت مسألة دعم العلاقات مع الصين جزءاً من إستراتيجية عدد من الشركات الأمريكية العملاقة مثل

«بوينج»، و«موتورولا»، و«الأيد ساينل»، و«يوناتيد إيرلاينز»، و«أرتورز أندرسون»، و«دير آند كومباني»، وجميعها ترتبط بعضها ببعض تنظيمياً من خلال مجلس رجال العمال الأمريكي الصيني.

وفي داخل الولايات المتحدة الأمريكية يزداد نشاط المؤسسات التي تسعى إلى التقارب مع الصين الشعبية ، مثل اللجنة القومية للعلاقات الأمريكية الصينية ومقرها نيويورك . وقد أعلن مديرها م . لامبتول في نوفمبر عام ١٩٩٤ أن السياسة الخارجية القائمة على مقاطعة الصين هي سياسة محكم عليها بالفشل ، وأن المناقسيين الرئيسيين للولايات المتحدة سوف يتوقفون عن اتباعها إذا ما نتج عنها إشعال المشاعر القومية سواء داخل الصين أو في التبت .

ويحذرك . ليبيرتال في اللجوء للحلول الصارمة قائلاً : «إن الصين سوف تعمل في الأغلب في نهاية الأمر بطريقة بناء ، كما أنها ستتصبح آمنة ، ميالة إلى الإصلاحات والاستقرار ، مفتوحة على العالم الخارجي قادرة على التغلب على مشكلاتها بصورة فعالة» .^(٣١) إن الصين تملؤها الثقة في قدراتها لن تكون بحاجة إلى آلية عسكرية جبارة ، كما أن الصين لن تتورط في مغامرات خارج حدودها خشية وقوع انقسامات داخلها .

إن أنصار الاعتدال يفترضون أن كبح الصين كان من الممكن أن يكون خطأ كبيرا ؛ فهذا الكبح من شأنه أن يضفي قوة على الدوائر ذات التزعزع القومية والعسكرية الموجودة في الساحة السياسية الصينية . ومن ثم فإن التعاون مع الصين سوف يسمح للولايات المتحدة الأمريكية بالاحتفاظ بوجود عسكري مؤثر في آسيا لمدة طويلة في المستقبل ، كما أنه سيعمل على وقف مساعي كوريا الشمالية في امتلاك السلاح النووي ؛ فضلاً عن أنه سيفتح أمام التجارة الأمريكية إمكانية المشاركة في النمو الاقتصادي الهائل للصين . إن أصحاب هذا التوجه يرون أن التجارة العالمية وعدم انتشار الأسلحة النووية وحماية البنية والقيام بعمليات مثل إرسال قوات عسكرية إلى مناطق مثل كوسوفو والعراق هي أمور تتوقف ، بشكل أو باخر ، على مدى علاقات الصداقة مع الصين .

ينبغي علينا ألا نقع فريسة للخوف ؛ فنظام التموين في الجيش الصيني مختلف ، وهناك نقص في قدرة الديران لديه ، والقوات الجوية الصينية برغم أن أعدادها كبيرة ، فإنها تمتلك معدات قديمة ، والقوات البحرية غير كافية للقيام بعمليات في المحيط الواسع .

ويرى عدد من علماء الاقتصاد الأميركيين أن فدرات التجديد المحدودة لدى الصين ، ونظراً لرخص القوة العاملة في الدول المجاورة ونقص تدفق رأس المال الأجنبي فإن معجزة شرق آسيا سوف ينتهي بها الأمر إلى فشل محقق . لا ينبغي الاكتفاء بالخضوع العفوياً ، وإنما ينبغي التفكير وعلى نحو إبداعي ، ومع التفكير سوف تتفجر المشكلات . وسوف ينعكس ذلك في البنية التحتية السليمة ، وفي الفساد ، وفي غياب الكوادر وأسواق رؤوس الأموال الصناعية ، وفي ارتفاع نفقات الإنتاج .

لقد حدث نمو في فترة دين سياوبين على حساب الاستغلال المبالغ فيه للموارد الزراعية ، وواجهت الصين أزمة بسبب النمو السريع للسكان مع انخفاض قوة الاقتصاد الزراعي . وبانت مساحات الأرض القابلة للاستصلاح محدودة ، الثروات الطبيعية لا قاع لها ، لقد حان أوان دفع حساب السياسة الطائشة في مجال النمو السكاني والاستخدام غير الرشيد للمياه والأرض والمصادر الطبيعية . وفي العشرين عاماً القادمة سوف يصل مقدار السكان في الصين إلى ما لا يقل عن ٣٠٠ وربما إلى ٤٠٠ مليون نسمة ، وفي خلال هذه الفترة سوف تفقد الصين ١٠ % من الأراضي الزراعية تماماً ، كما سوف تتعرض الكثلة الأساسية لهذه الأرض إلى التأكل . وعلى الرغم من مرور ١٥ عاماً على التهوش الاقتصادي فإن ٥٠ مليون من الصينيين لا يملكون ماء صالحًا للشرب ، بينما يظل ٨٠ مليون من السكان تحت خط الفقر .

سوف ينعكس هذا التوتر في الجهاز الإداري ، وفي الجدل بين العاصمة والأقاليم ، بين الصفة والجماهير وبين المناطق المختلفة ، تتجلى ظاهرة التأثر بين الصفة العسكرية والصفوة المثقفة من جراء النمو الاقتصادي السريع لبعض المناطق . إن التحديث السريع يتطلب وقف التزعة العسكرية ؛ حيث نجد أن الجيش الشعبي الصيني يسطدم أكثر فأكثر بمعضلة : الدفاع عن المجتمع أم الدفاع عن الحزب ضد

المعارضة، ناهيك عن أن هجرة ١٠٠ مليون صيني تركوا قراهم ليسكنوا المدن سوف يكون لها نتائج هائلة ، مثل هذه التنبؤات حول النموذج الصيني مع بداية القرن الحادى والعشرين تؤيد موقف أنصار الاعتدال .

وهناك أيضا عناصر أخرى ؛ فالتصدير الصيني ، والذى يبلغ ١٠٠ مليار دولار، لا يمكن أن يظل متناميا بشكل دائم ، كما أن رجال الأعمال الصينيين ، الذين يفتقدون الثقة في استقرار النظام ، بدأوا يفضلون تصدير رؤوس الأموال إلى بلدان أكثر استقرارا؛ فعلى سبيل المثال أخرج رجال الأعمال الصينيون في عام ١٩٩٤ ٣٠ مليار دولار إلى خارج البلاد .^(٣٢) وفي ضوء ذلك لا يمكن أن نستثنى تكرار ما حدث عام ١٩١١ عندما انهارت الملكية التي استمرت لسنوات طويلة . وفي هذا الصدد يؤكد أنصار الاعتدال أن الصين تنتظرها طفرات من هذا النوع ، ومن ثم فإن على الغرب إلا يخشى التهديد الصيني .

وقد صنف ر. روس من جامعة هارفارد جمهورية الصين الشعبية باعتبارها قوة محافظة . يقول روس : لا يوجد ما يسمى بالخطر الصيني ، لأن الصين نصیر راض عن الوضع الراهن ، وإنما لأنها دولة ضعيفة للغاية ، ليس بمقدورها تحدي توازن القوى في آسيا ، وسوف تظل على ضعفها هذا طوال العشرين عاما الأولى من القرن الحادى والعشرين كما أنها ستسعى في المستقبل القريب للبقاء على الوضع الراهن ، تماما كما ستسعى الولايات المتحدة الأمريكية أيضا لتحقيق الهدف ذاته،^(٣٣) إن الفوائد المترتبة على المشاركة في التقسيم الدولي للعمل سوف تبعد الصين عن المواجهة مع الولايات المتحدة الأمريكية فيما يتعلق بتايوان ، لأن بكين تدرك جيدا أن تحفظها يمكن أن يدفع الدول الصناعية للمشاركة في تطوير الاقتصاد الصيني . وعلى الصين أن تنضم إلى آليات رقابية مثل اتفاقية فاسنر ، مجموعة تقديم المواد التغوية والرقابة على التكنولوجيا التغوية ، المجموعة الأسترالية للتكنولوجيا الكيميائية والحيوية ثم منظمة التجارة العالمية .

وقد عين بيل كلينتون في إدارته وفي وزارة المالية أساسا مختصين في شئون الصين . وعندما رأى المراقبون في هذا العمل قدرا كبيرا من عدم الاحترام للبيابان ،

قام نائب وزير المالية الأمريكي د . أولمن بتفسير دواعي هذه التعيينات من منطلق أن الإدارة الأمريكية تفترض أن الصين سوف تناح لها مع بداية القرن القادم كل الفرص لتحل محل اليابان باعتبارها الشريك الاقتصادي الرئيسي في آسيا .

الاختيار

ترى أى الاتجاهات الثلاثة سوف ينطلق إلى الأمام ليصبح هو الاتجاه المحدد لسياسة واشنطن الخارجية في القرن الحادى والعشرين : المتشدد أم المعتدل أم الساعى إلى التعاون مع آسيا الجديدة ؟ هذا ما سينبئنا به المستقبل .

لقد عبرت الولايات المتحدة الأمريكية بالفعل عن سخطها تجاه الإجراءات القمعية التي اتخذت في ميدان تيانانمين (السلام السماوي) وأيدت النضال من أجل الحقوق المدنية في الصين . وقد أشار ج . فولسي مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية إلى أن الحكومة الصينية وقفت تحت تأثير هؤلاء الذين لديهم الرغبة في وقوع صدام مع الولايات المتحدة الأمريكية . وقد أرسل الرئيس كلينتون في عام 1996 وأثناء الحملة التي سبقت الانتخابات حاملتين للطائرات إلى شواطئ جزيرة تايوان (التي تشغله المكانة التاسعة من حيث أهميتها كشريك تجاري للولايات المتحدة) وهو ما يعد أعظم مظاهره للقوة موجهة ضد الصين منذ الحرب العالمية الثانية . وقد وعد كلينتون بالألا يخوض من حجم القوات المسلحة الأمريكية في آسيا ، وأولى اهتماما كبيرا بالتحذيرات المتعلقة بالتأكيد الذاتي للصين في المستقبل ، ولم يخل قواعده في أوكييناوا وفي مضيق تايوان وجنوبه (الاتجاه المتشدد) وفي الوقت نفسه ظلت الصين تحظى بميزة الدولة الأولى بالرعاية في التجارة (الحل الوسط) وكذلك راحت الحكومة الأمريكية تقدم المساعدة للشركات الأمريكية التي توسع من نطاق أعمالها في آسيا (الاتجاه المعتدل) .

في المجال الاقتصادي بذلك إدارة كلينتون جهودا كبيرة لدعم منتدى التعاون الآسيوي . وفي المجال العسكري قدمت واشنطن المساعدة لهيئة المنتدى الإقليمي لجنوب آسيا . وفي الوقت نفسه جرى توسيع الاتصالات الثنائية مع الدولتين الكبريتين في المنطقة باتجاه الحوار حول الأمن .

وقد أعرب لى كوان يو رئيس وزراء سنغافورة الأسبق عن شكوكه تجاه جدية الولايات المتحدة في استخدام القوات المسلحة الأمريكية مستقبلاً في آسيا بقوله: ليس هناك من يثق في أن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية ، التي مللت بالفشل في تحقيق أي نجاح في عمليتها في الصومال بسبب الكعائن التي نصبها السكان المحليون ومشهد واحد تلفزيوني يعرض لنا قتيل أمريكي يتم سحب جثته في شوارع مقديشيو ، يمكن أن يجعلك تفكك بجدية في إمكانية توجيه ضربة إلى المحطات النووية لكوريا الشمالية مثل تلك الضربة التي وجهها الإسرائيليون إلى العراق .

جدير بالذكر أيضاً أن كون الولايات المتحدة لم يعد بمقدورها ترك الأبواب مفتوحة أمام كل المصدرين الآسيويين الناجحين أصبح يشكل أيضاً عنصر ردع على الأقل فإن تشكيل النافتا يتطلب - كحد أدنى - زيادة تدفق الإنتاج المكسيكي على حساب نظيره الآسيوي. أما السوق العالمي فهو الذي سوف يحدد مصير العلاقات بين الغرب وشرق آسيا .

كتب سابورو أوكيتا الوزير الياباني الأسبق يقول : إن الجيش الذي يرتدي زيًا موحداً لا يمثل الشكل الوحيد للجيش : إن التكنولوجيا العلمية وروح القتال المتأججة تحت الملابس المدنية هما جيشانا السريان في المستقبل .^(٣٥) وعلى هذا النحو سوف تدور المعارك مع مطلع القرن الحادى والعشرين .

لقد تعين على الولايات المتحدة الأمريكية أن ترد على هذا التحدي وهى على مشارف القرن الحادى والعشرين بأن تدعم اليابان ، باحثة في الوقت نفسه عن طريق لها نحو الصين . وهاتان الدولتان تحديداً قد وقعن خلال عام ١٩٩٦ وحده كومة من الوثائق : مذكرة بشأن الأمن المشترك ، اتفاق بشأن إمداد اليابان بالمعلومات في مجال الصواريخ ، إعلان بشأن الأمن المشترك ، اتفاق بشأن إمداد اليابان بالمعلومات المتعلقة بأقمار التجسس الاصطناعية ، تقدير مشترك للتهديدات الإستراتيجية لليابان ، تقرير بشأن إنشاء مجلس خاص بالتقنولوجيا الرفيعة في المجال العسكري .

مكانة روسيا

ينطوى هذا الوضع - بالنسبة لروسيا - على مخاطر قوية وعلى إمكانات جديدة أيضاً . وأياً ما كان شكل تطور الأحداث فإن روسيا ، بفضل وضعها الجغرافي والخصائص الثقافية وتركيبتها الإثنية ، فإنها يمكن أن تتوسط - حتى ضد رغبتها - في المواجهات القوية القائمة ، وعندئذ سوف تعمل الأطراف المتصارعة على جذب روسيا كل إلى جانبه .

وفي خضم تطور الأحداث على نحو غير ملائم للغرب ، والتكون النشط للمركز الصيني المستقل مع ظهور النهج الانفصالي بشكل واضح ، يمكن أن تتوقع أن يسعى الغرب مستقبلاً إلى الحصول على تعضيد من جانب روسيا ، ومن الجائز أن يجعل منها نقطة حراسة متقدمة للرقابة والتأثير سواء في حوض المحيط الهادئ ، أو في شمال شرق أوراسيا . إن ميل القيادة الروسية إلى تقاليد الديمقراطية الغربية والارتباط الحالي - جزئياً - بالمساعدات الاقتصادية للغرب ، وسعى روسيا للانضمام إلى المنظمات الدولية ، وخروفها من نمو العوامل الأخرى يمكن أن تشكل أساساً لتقريب جيوسياسي جديد بين مواقف روسيا والغرب .

على أنه من المستحيل أن تتجاهل أن التطور الداخلي في روسيا وعدم الارتياح تجاه الغرب الذي يوسع من ترسانته العسكرية ، ثم الإمكانيات المحدودة للنمو الداخلي وقصور الدعم الخارجي ، أمور من شأنها أن تؤدي لأن تتجه الصين وشركاؤها بشكل متزايد نحو الاعتماد على روسيا باعتبارها شريكاً قوياً . ينبغي أن نلاحظ هنا أن حجم التجارة الخارجية لكل من روسيا والصين في السنوات الأخيرة قد تزايد على نحو ملحوظ وهو آخذ في النمو ، وبشكل مكتمل تماماً (خلافاً للركود في الاتجاه الغربي) يجري التبادل التجاري مع الدول المجاورة للدولتين . نستطيع القول - وعلى نحو موضوعي - إنه إذا ما أظهر الغرب تشددًا فصير النظر محاولاً تقوية تأثيره على حلفاء روسيا السابقين وسد الطرق أمام حل واقعي وسط فيما يتعلق بمسألة توسيع حلف شمال الأطلنطي على حساب دول أوروبا الشرقية ، فإن القوى التي كانت شديدة التأييد للغرب فيما مضى سوف تقف بالدرجة الأولى إلى جانب أنصار التوازن في أوراسيا .

لا توجد في الأفق حلول سهلة ؛ ففي مرحلة محددة قد يصبح بإمكان روسيا الحصول على بعض الفائدة من جراء مساعدتها للشرق أو الغرب . إن الطرف الجذاب هنا للتحالف مع روسيا معروف تماما ، فتحسين علاقات الصين مع روسيا يمكن أن يمثل سدا عند وقوع مواجهات مع الولايات المتحدة الأمريكية . أما صداقه اليابان لروسيا فسوف تساعد في كبح زمام الصين ، وقد ترغب كوريا الجنوبية في كسب رضاء موسكو من أجل كبح زمام كوريا الشمالية ، وهذه الظروف جميعها سوف تزيد - بدرجة معينة - من إمكانيات روسيا .

وفي الوقت نفسه فإننا لو نظرنا إلى الأمر نظرة واقعية ، لأمكننا أن نفترض أن روسيا الاتحادية يمكن أن تقع بين المطرقة والسنдан في حالة انسياقها غير المخطط نحو هذا الاتجاه أو ذاك . ما تزال الإمكانيات الأساسية متاحة ، على أنه في حالة استمرار الاتجاهات التي برزت على الساحة فسوف يتوقف الزمن عن أن يكون حليفا لروسيا ، وسوف تصبح حتمية الاختيار أكثر إلحاحا ، وهذا الاختيار بين الغرب الساعي للحفاظ على الوضع الراهن والشرق المتغير الماضي في تغيير بنية القوى العالمية سوف يؤثر ليس فقط على البنية الجيوسياسيية للقوى في هذا العالم الآخر في التشكيل ، وإنما على هوية روسيا في المستقبل .

مراجع الفصل الخامس

- 1-Naisbitt J. *Megatrends Asia* . N.Y.,1995. P. 7.
- 2-Huntington S. *The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order* . N . Y . , 1996 . P . 183 .
- 3-World Bank , *global economic Prospects and the Developing Countries 1993* . Washington , 1993 . P . 66-67
- 4-Economist . March 9 , 1996 . P . 33
- 5-Bernste .. Munro e R. *The Coming Conflict with China* . N . Y., 1997. P .19.
- 6-Halloran R. *the Rising East // Foreign Policy* . Spring 1996.P.17.
- 7-Lieberthal K. *Governing China : From Revolution through Reform*.N.Y.,1995.P.6.
- 8-Elling R.. Olsen E. *A New Pacific Profile // Foreign Policy*. Winter 1992-1993. P.122.
- 9-Halloran R. *The Rising East // Foreign Policy* . Spring 1996 .P.3.
- 10-*Foreign Affairs* . Nov. Dec. 1993 .P.74.
- 11-New York Times . April 21, 1992 .P.A10; New York Times. August 1, 1995 .p.A2.
- 12-Bernstein R., Munro R. *The Coming Conflict with China* .N.Y.,1997.P.23-24.
- 13-Liberthal K. *A New China Strategy // Foreign Affairs* . Nov,- Dec. 1995. P .41.
- 14-New York Times. July 10 , 1994. P.20.
- 15-Gellner E. *Up From Imperialism // New Republic*. May 22,1989.P.35.
- 16-Huntington S.*Op cit* .P.114.
- 17-*Atlantic Monthly* . September 1990. P.60.
- 18-Eikenberry K. *Explaining and Influencing Chinese Arms transfers // McNair Pa-
pers*. February 1995 . Ne 36. Washington : National Defense University , Insti-
tute for National Strategic Studies .P .12.
- 19-National Interest . Fall 1994. P . 95.
- 20-Lieberthal K. *A New China Strategy // Foreign Affairs*. Nov-dec. 1995.P .36.
- 21-Odom W. *Russia's Several Seats*. P . 809-810.
- 22-Colin S.Grey .*How Geography Still Shapes Security // Orbis*. Spring 1996. P . 26.
- 23-The Bulletin of Atomic Scientists. Jan-Feb. 1997. P.18-19.

- 24-Nye J. The Case for Deep Engagement // Foreign Affairs. July- Agust 1995.
P.102.
- 25-Johnson Ch. The Chinese Way // The Bulletin of Atomic Scientists. January-February 1997. P. 22.
- 26-Ibid. p. 23.
- 27-Tucker N. China and America: 1941-1991//Foreign Affairs. Winter 1991-92.
P .92.
- 28-Meisner M. the Deng Xiaoping Era. An Inquiry into the fate of Chinese Socialism , 1978-1994. N.Y., 1996.
- 29-Carlisle Ch. Is the World Ready for Free Trade? // Foreign Affairs. Nov.- Dec. 1996.P.121.
- 30-Yasheng. Why china will not Collapse // Foreign Policy. Summer 1995.P.50.
- 31-Liebrthal K. A New China strategy.p.36.
- 32-Goldstone J. The Coming Chinese. Collapse // Foreign Affairs. Summer 1995.p.36.
- 33-Ross R. Beijing as a Conservative Power // Foreign Affairs.March - April 1997.P 34.
- 34-Ibidem.
- 35-Foreign Affairs .july- August 1995.P.112

الفصل السادس

القلعة الأمريكية

ثمة وجهة نظر واسعة الانتشار في دوائر السياسة الأمريكية المعنية بدراسة إستراتيجية البلاد في القرن الحادى والعشرين ترى أن الولايات المتحدة الأمريكية - بعد أن تسلى لها عولمة سياستها بعد الحرب العالمية الثانية - فقدت الرؤية الصحيحة للأهمية البالغة بالنسبة لقواتها الدفاعية ، وكذلك بالنسبة لدعمها للنظام العالمي للمصالح الاقتصادية والأيديولوجية لمنطقة شمال أمريكا المتاخمة لها مباشرة،^(١) . وقد ظهر على الساحة اتجاه مؤثر يدافع عن الرأى القائل بأن هناك شركاء على قدر بالغ الأهمية - من ناحية المصالح الجيوسياسية - يتم تجاهلهم دون وجه حق ، وهؤلاء هم جيرانها المباشرين.

التقاليد

وبالرغم من ذلك يمكن القول إن البحث عن أكثر الحلفاء المقربين في نصف الكرة الشمالي له تقاليد راسخة في الدبلوماسية الأمريكية ؛ «مذهب مونرو»^(*) (١٨٢٣) ومعاهدة ريو دي جانيرو (١٩٤٧) «والاتحاد من أجل التقدم» (١٩٦١) تمثل جميعها مراحل متعددة لتفكير الإستراتيجي في هذا الاتجاه . ففي القرن التاسع عشر كان مذهب مونرو يعد رمزاً للتوجه السائد في نصف الكرة الغربي . على أن الولايات المتحدة راحت تضم إليها بعد الحرب مع إسبانيا أملاكاً جديدة في أمريكا اللاتينية (بورتوريكو) ومناطق نفوذ جديدة أخرى في هذه المنطقة (كوبا على سبيل المثال) ؛ فضلاً عن أول مستعمرة لها خارج حدود نصف قارتها موجودة في القلبين الواقعة بعيداً في آسيا . لقد جرى توقيع معاهدة ريو دي جانيرو في تلك الفترة القصيرة ، عندما لم تكن الولايات المتحدة مستعدة بعد للتدخل العسكري الكامل في أوروبا ،

* مذهب مونرو : مبدأ في السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية أعلنه الرئيس مونرو في رسالة إلى الكونجرس (٢ ديسمبر ١٨٢٣) وقوامه أن الولايات المتحدة تعارض أي تدخل أجنبي في شؤون نصف الكرة الغربي . (المترجم)

وكانت ما تزال آنذاك تواصل سعيها لمواجهة الاتحاد السوفيتي بهدف دعم خطواتها الخلفية. في ذلك الوقت جاء برنامج الرئيس كينيدي «الاتحاد من أجل التقدم» في جوهره بمثابة رد ذو مغزى على خروج كوبا من مجال النفوذ الأمريكي.

من المؤكد أن كندا تعد الشريك الأول للولايات المتحدة الأمريكية في القارة من حيث الأهمية . وينبغي القول - إذا ما استقرأنا صفحات التاريخ - إن إدراك الولايات المتحدة للأهمية الحيوية، لعلاقتها بكلنا يرجع لعام ١٩٤٠؛ ففي أعقاب الهزيمة التي منيت بها فرنسا في أوروبا وخروج الجيش الألماني باتجاه المحيط الأطلسي ، التقى الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت وماكنزي كنج رئيس وزراء كندا بالقرب من نيويورك، حيث وقعا اتفاقا يقضى بالتعاون بين البلدين في الدفاع عن أمريكا الشمالية. تلا ذلك انضمام الدولتين إلى حلف الناتو ثم توقيعهما مرة أخرى على اتفاق ثانى يقضى بالدفاع عن أجواء أمريكا الشمالية .

على أن هذا التوجه الهدف للتقارب بين البلدين قد أخذ في التراجع فيما بعد. ولم تعد دول نصف الكرة الغربي تشغل مكانها على قائمة أولويات السياسة الخارجية للولايات المتحدة. وسرعان ما أحيا حرربان العالميتان التوجهات عبر المحيطين الأطلسي والهادئ لوضع خطط الائتلاف . ويجيء زمان الحرب الباردة ليعيد اهتمام الولايات المتحدة بالإتحاد السوفيتي ولوضع التوجهات الأمريكية الخاصة بأمريكا الشمالية وأمريكا اللاتينية في المرتبة الثانية ، الأمر الذي كان من نتيجته أن احتل جiran الولايات المتحدة مكانة ثانوية بين حلفائها. ويتفق غالبية الباحثين على أن تقدير أهمية الجيران المباشرين في السياسة الخارجية الأمريكية قد بلغ أدنى مستوى له إبان سنوات الحرب في فيتنام.

أصبح تركيز الاهتمام على علاقات أمريكا مع جيرانها المباشرين في الشمال والجنوب من المسائل التي ينظر إليها باعتبارها أمرا باليا من مخلفات الماضي؛ فضلا عن اعتبارها نوعا من أنواع الأشكال الموسعة لمفهوم القلعة الأمريكية الذي أصبه القدم وحكم عليه بالرفض ، فالتحالف القاري لأمريكا الشمالية يبدو الآن أمرا غير مقبول وغير مناسب لحجم المطالب العالمية للسياسة الخارجية الأمريكية في النصف

الأخير من القرن العشرين. وهكذا فإن تراجع اهتمام أمريكا بجيранها في نصف الكرة الغربي جاء نتيجة انغماط واحتضان في مشكلاتها فيما وراء المحيط ، وفي نفس الوقت أكد ثقة أتواها ومعها عشرون دولة أمريكية لاتينية في غياب خيار التوجه نحو الولايات المتحدة الأمريكية. وبعد عدوانها على فيتنام حددت الولايات المتحدة في مذهب جوام (١٩٦٩) مجال اهتماماتها الحيوية؛ إذ فضلت أن تترك أمريكا اللاتينية على هامش حلفائها من ناحية الأولوية، واعتبار أمريكا اللاتينية ضمن دول العالم الثالث الأقل أهمية بالنسبة لها من حيث دخولها عصر الثورة الصناعية.

أيضا جاء تراجع اهتمام الولايات المتحدة السياسي والإستراتيجي بجيرانها الحميمين نتيجة للتقدم السريع الذي أحرزته أوروبا الغربية واليابان من السبعينيات وحتى التسعينيات، هذا التقدم الذي كان له أثره في إضعاف العلاقات الاقتصادية للولايات المتحدة مع جيرانها. وبالإضافة إلى ذلك أدت عولمة الاقتصاد الأمريكي للتقليل من أهمية أسواق أمريكا اللاتينية بل وحتى كندا نفسها. وكان من نتيجة ذلك أن تراجع نص ٢٧٪، للولايات المتحدة الأمريكية من إجمالي استيراد دول أمريكا الشمالية في الفترة من ١٩٦٨ إلى ١٩٩٤ من ٣٨٪ إلى ٢٧٪، وفي النصف الثاني من التسعينيات بلغت نسبة صادرات الولايات المتحدة إلى دول أمريكا اللاتينية ١٣٪ فقط من إجمالي صادراتها (بدلا من ١٧٪ عام ١٩٨٠). إن هذا الإهمال، الذي ميز هذه الفترة يعبر عنه بصورة رمزية دالة غياب إدارة خاصة بشئون أمريكا الشمالية في وزارة الخارجية الأمريكية، وكذلك ضم إدارة شئون كندا إلى إدارة الشئون الأوروبية وهو ما يخالف قواعد الجغرافيا.

العودة

في العقد الأخير من القرن العشرين طرأ على الوضع بعض التغيير. تعقدت علاقات الولايات المتحدة الأمريكية مع حلفائها الرئيسيين في أوروبا وأسيا. وعلى صعيد آخر طرح اتساع العلاقات الاقتصادية مع كندا والولايات المتحدة وفرض رقابة على تدفق المهاجرين عبر الحدود الجنوبية وكذلك الاضطرابات المتزايدة في بلدان القارة الأمريكية ، والتي تعتبرها واحتضان دائما بوابتها الخلفية ، طرح من جديد

مشكلة أهمية العلاقات المتبادلة مع جيرانها غير المباشرين، ومرة أخرى تبدو أمريكا اللاتينية منطقة جذب لرجال الأعمال الأمريكيين باعتبارها أكبر سوق سريع النمو في العالم^(٢).

ينبغي أن نشير هنا على نحو خاص إلى عمليات الاكتشاف والتنقيب عن مصادر البترول الهائلة التي تمت في كل من كندا والمكسيك ، والتي تظل أهمية فائقة في ظل ارتفاع أسعار هذا الخام عشرين ضعفاً. ناهيك عن أن أنواعاً أخرى من المواد الخام ذات الأهمية الإستراتيجية كالغاز والنيرانيوم قد أثارت شهرة الأمريكيين أيضاً. وقد أدت كل هذه العوامل على الفور إلى زيادة أهمية أقرب جيران الولايات المتحدة سواء في الشمال للأحداث أو في الجنوب. وكان للتقدم الاقتصادي السريع نسبياً ، والذي أحرزته كل من كندا والمكسيك أثره في التغير الملحوظ للأحداث . أضاف إلى ذلك ظهور سوق تجارية في قارة أمريكا الشمالية على حدود الولايات المتحدة، وهي سوق أضحت أكثر اتساعاً مما كانت عليه من قبل ما لبّثت أن جذبت رؤوس أموال ضخمة وفتحت المجال أمام الصادرات الأمريكية.

بدأت الولايات المتحدة الأمريكية بعد عام ١٩٧٠ في توسيع نطاق مشاركتها في التقسيم العالمي للعمل . وفي خضم عصر النمو الكبير للتجارة الأمريكية لم تفقد كندا مكانتها. باعتبارها الشريك الأول للولايات المتحدة الأمريكية من حيث حجم التبادل التجارى وإنما دعمت هذه المكانة ، أما المكسيك فتأتى في المرتبة الثالثة (بعد كندا واليابان) . وهكذا أصبحت تجارة الولايات المتحدة مع كندا والمكسيك تنمو في إيقاع متضاد. وفي الفترة من ١٩٩١ إلى ١٩٩٧ ارتفع حجم التجارة بين الولايات المتحدة والمكسيك بنسبة ٤٠ % ، وهو ما يعني أن عشرات الآلاف من الأمريكيين حصلوا على فرص للعمل. وفي الوقت نفسه فقد تضاعفت الاستثمارات المباشرة للشركات الأمريكية في كل من كندا والمكسيك .

ويدعونا خبراء الجيوبيوليتيكا لأن نفكر في «القلعة الأمريكية»، باعتبارها إجراءً وقائياً رفيعاً في حالة تفاقم العلاقات مع أوروبا الغربية وشرق آسيا. وقد ارتفعت أصوات كثيرة تنادي بعدم تصنيع هذه الفرصة التاريخية وهي توحيد مصادر الدول

الثلاث وإنشاء آلية ضخمة يكون لها تأثيرها على الساحة الدولية. وقد توصل خبراء السياسة الأميركيون إلى استنتاج مهم بالنسبة للقرن الحادى والعشرين مفاده أن قارة أمريكا الشمالية بأسراها يمكن أن تتحول إلى بيئة عمل فريدة ، وعلى هذا النحو سوف يحدث نوع من التفاعل الحيوي على المستوى القاري في الاقتصاد وفي التعامل اللغوى وفي غيرهما من المجالات. توجد كافة الأسس التي تؤكد أن التكامل المكثف لقارة أمريكا الشمالية سوف يتم في القرن الحادى والعشرين . وفي الجدول التالي سوف نجد بعض المؤشرات الخاصة بالاقتصاد الكندى والمكسيكى والأمرىكى لعام 1997 .

المؤشر	كندا	المكسيك	الولايات المتحدة الأمريكية
إجمالي الناتج القومى (بالمليار دولار)	٦٩٤	٤٠١	٧٦١٠
السكان (بالمليون نسمة)	٣٠,٣	٩٧,٦	٢٦٨
إجمالي الناتج القومى لكل نسمة (بالمليار دولار)	٢٤٤٠٠	٣٤٢٠	٢٨٦٠٠

المصدر : World Bank . World development Report, 1995. Washington, 1996,
The New York Times Almanac, 1998. P 543, 624, 692.

النتائج

ظهرت جماعة من علماء السياسة ترى أن أمريكا الشمالية ينبغي أن تتبوأ المكانة الأولى على سلم اهتمامات الولايات المتحدة الأمريكية، مكانة تعطى أوروبا وجنوب

شرقي آسيا، اللذين يمثلان بالنسبة لها «أهمية حيوية». على أن أنصار التقارب القارى يرون أن كليهما (أوروبا وجنوب شرقى آسيا) لا يندرجون تحت تعريف «ضروريين للحياة»، - خلافاً للجيران المباشرين للولايات المتحدة الأمريكية.

لعل أول أساس يمتلك تفاصيل وحججاً لمفهوم التقارب مع كندا هو ما نطرحه جماعة العمل المتخصصه التابعة لمجلس الأطلسي في أمريكا والذى يرأسه وايلد أرمسترونج هذه الجماعة وضعت لنفسها هدفاً يتلخص فى تحديد إمكانيات الولايات المتحدة في أمريكا الشمالية، واقتربت برنامجاً للتنسيق المتبادل وتحسين العلاقات والتقارب إلى حد الدخول حتى في تحالف اقتصادى وسياسى. وقد لاقت نتائج التحليل الذى قام به مركز أبحاث الكونجرس وعدد من المنظمات البحثية الأخرى المؤيدة لأفكار التقارب مع الجيران وإنشاء هيئة التجارة الحرة لشمال أمريكا (النافتا) اهتماماً كبيراً.

وفي فبراير عام ١٩٩٤ تم نشر نتائج البحث الذى أجراه كل من ج. هوفباور وج. شوت من معهد الاقتصاد الدولى تحت عنوان «النافتا تقييم»، وجرى استخدام هذه النتائج على نطاق واسع، وتبنّا العالمان في تقريريهما بتوفير ١٧١ ألف فرصة عمل جديدة في العام الأول لإنشاء النافتا، وذلك بفضل قيام الشركات الأمريكية بتصدير ٨٠٪ من إجمالي المعدات الصناعية المكثفة^(٣). وقد حددت اللجنة الحكومية الأمريكية للتجارة الخارجية الأرباح على المدى الطويل في حالة التشغيل الكامل للعاملين بنسبة لا تقل عن ١٪.

٤- قدره كندا

يمكنا أن نستشعر- استناداً إلى التقديرات الأمريكية -مزيداً من الثقة التي عبر عنها بصرامة تامة ج. بول نائب وزير خارجية كندا الأسبق قائلاً: إننا نخوض معركة وقائية ضد قدر محظوظ؛ فنحن نعيش جنباً إلى جنب مع أمة يفوق تعداد سكانها سكان كندا عشرة أضعاف، ويبلغ إجمالي ناتجها القومي أربعة عشر أضعاف الناتج القومي الكندي. والكنديون يعترفون بضرورة استثمار رأس المال الأمريكي، ولكنهم في الوقت نفسه مصرون على الحفاظ على استقلالنهم الاقتصادي والسياسي ...

حتما سيكون النصال شاقا، وأظن أنه سيظل حتميا مع مرور السنين، وسوف يكون التكامل الاقتصادي الذي يتطلب توسيع نطاق الحلول السياسية المستمرة نتاجة حتمية لهذا النصال^(٤).

ويؤكد الخبراء الأميركيون بإجماع الآراء الزيادة المتوقعة لتأثير الشركات الأمريكية في الحياة الاقتصادية لكندا في المستقبل، وعلى أن كندا سوف تزداد ارتباطا بجارتها في الجنوب في مجال الثقافة بفضل الإنتشار الواسع لوسائل الإعلام^(٥).

وفضلاً عما تقدم فإن التحرك الحادث في مجال التعاون الاقتصادي يصاحبـه قدر كبير من التعاون العسكري . لقد قدم الأميركيون إلى كندا التكنولوجيا الازمة لبناء الغواصات النووية بهدف استخدامها في القيام بدوريات المراسة في المياه القطبية، كما تم توقيع اتفاـقات بشأن تحـديث الـقيادة الموحدة للـدفاع الجـوى الـكونـى لأـمـريـكا الشـمالـيـة (ـنوـرادـ) وكـذلك بشـأن تحـديث شبـكة محـطـات الرـادـارـ فـي القـطـبـ الشـمـالـيـ . وما يزال أـنصـارـ التـقـارـبـ العـسـكـرـيـ يـوصـونـ بـضرـورةـ الإـسـرـاعـ بـإـمـادـادـ كـنـداـ بـالـمـعـدـاتـ العـسـكـرـيـةـ المـنـطـورـةـ حتـىـ قـبـلـ حـلـافـهـاـ الـآخـرـينـ وـزـيـادـةـ النـشـاطـ العـسـكـرـيـ فـيـ الـمـحـيطـ الـهـادـيـ (ـفـيـ تـلـكـ المـنـطـقـةـ الـوـاقـعـةـ خـارـجـ الـحـدـودـ الرـسـمـيـةـ لـنـفـوذـ الـنـانـوـ)ـ .ـ كـماـ يـوصـىـ هـؤـلـاءـ أـيـضاـ بـتجـديـدـ وـتوـسيـعـ نـطـاقـ الـاـنـفـاـقـاتـ العـسـكـرـيـةـ الثـانـيـةـ وـدـعـمـ الـرـوـابـطـ الـقـائـمـةـ بـيـنـ الـجـيـشـيـنـ الـأـمـريـكـيـ وـالـكـنـدـيـ وـاـطـلـاعـ الـقـيـادـةـ الـكـنـدـيـةـ عـلـىـ الـمـخـطـطـاتـ إـسـترـاتـيـجـيـةـ الـأـمـريـكـيـةـ وـإـلـانـ الـمـنـطـقـةـ الـقـطـبـيـةـ التـابـعـةـ لـكـنـداـ مـنـطـقـةـ الـمـصـالـحـ الـأـمـريـكـيـةـ الـحـيـوـيـةـ ،ـ وـأـخـيرـاـ تـشـجـعـ الـإـنـتـاجـ الـعـسـكـرـيـ الـأـمـريـكـيـ الـكـنـدـيـ الـمـشـرـكـ .ـ

ويقترح مؤيدو فكرة التقارب في المجال السياسي إنشاء لجنة حكومية أمريكية كندية مشتركة . وهذه اللجنة يمكن أن تفيـدـ منـ الأـقـسـامـ الـخـاصـةـ بـالـشـئـونـ الـكـنـدـيـةـ فـيـ كلـ منـ وزـارـةـ الـخـارـجـيـةـ وـالـدـافـعـ وـالـتـجـارـةـ وـالـمـالـيـةـ وـالـزـرـاعـةـ وـالـطاـقةـ الـأـمـريـكـيـةـ .ـ وـمـنـ المقـرـحـ أـيـضاـ إـنـشاءـ مـكـتبـ مشـترـكـ خـاصـ بـشـؤـونـ أـمـريـكاـ الشـمـالـيـةـ فـيـ وزـارـةـ الـخـارـجـيـةـ ،ـ وـهـذـاـ المـكـتبـ مـسـلـولـ عـنـ تـنـسـيقـ الـإـتـصـالـاتـ مـعـ كـنـداـ وـالـمـكـسيـكـ .ـ

إن الولايات المتحدة الأمريكية وكندا كانتا، وما تزالان روسوف تصبحان ، شريكـتينـ تـجـارـيـتـينـ قـويـتـينـ ،ـ فـالـتـبـادـلـ التـجـارـيـ الثـانـيـ بـيـنـهـماـ يـنـمـوـ بـمـعـدـلـ ٢٠ـ%ـ تـقـرـيبـاـ .ـ

سنواً. وسوف تتضاعف هذه النسبة تقريراً بعد تطبيق اتفاق التجارة الحرة بين الدولتين. إن حجم الصادرات الكندية إلى الولايات المتحدة بلغ المائة مليار دولار في عام ١٩٩٥ بينما تجاوز حجم الصادرات الأمريكية إلى كندا ٨٠ مليار دولار. وقد نجحت الولايات المتحدة في تجنب الحرب التجارية في سوق العوامل الزراعية في كندا.

لقد حققت كل من الولايات المتحدة وكندا تقدماً كبيراً على طريق تحقيق فكرة السماء المفتوحة أمام الطيران التجاري.

ومنذ سنوات قليلة مضت وفي عام ١٩٧١ كان ٨٢٪ من الكنديين ينحدرون من أصول أوروبية غربية (٤٤٪ من الإنجليز، ٢٩٪ من الفرنسيين، ٦٪ من الألمان، ٣٪ من الإيطاليين). وبعد مرور ٢٠ عاماً فقط وبسبب انخفاض المواليد داخل كندا وإرتفاع موجة الهجرة القادمة من آسيا أصبح بمقدور ٤٩٪ من الكنديين أن يعتبروا أنفسهم «أوربيين».

انخفض نمو المهاجرين من أوروبا من ٤٦٪ من إجمالي المهاجرين إلى ١٥٪ عام ١٩٩٤، وفي الوقت نفسه شكل الآسيويون ٦٨٪ من القادمين الجدد. وعلى هذا التوالي أصبحت كندا (شأنها في ذلك شأن الولايات المتحدة الأمريكية) دولة غير أوروبية، وهو ما يعني أن مسألة تحديد خصوصيتها، وحياتها الأمريكية الشمالية قد أصبحت على المحك^(١).

المزايا

إن الحجة الأساسية التي ترجح كفة إقامة قلعة أمريكية حقيقة إنما تكمن في ضمان أقصى توزيع فعال للموارد القارية وتبادل «السلع التكنولوجية والعاملين ذوى الكفاءة الرفيعة فيما بين الولايات المتحدة وكندا وجاراتها في الجنوب». وسوف يصبح رأس المال والأيدي العاملة أكثر إنتاجية، كما سيرتفع متوسط الدخول في الدول الثلاث^(٢). وفي تقدير مجلة «فورتشن» (إن إنشاء النافتا سوف يزيد من إجمالي الناتج المحلي للولايات المتحدة بما يعادل ٣٠ مليار دولار سنوياً)^(٣). وصل إجمالي الناتج

المحلى لدول أمريكا الشمالية الثلاث (٤٠٠ مليون نسمة تقريباً) في عام ١٩٩٨ إلى ما يزيد عن ٩ تريليون دولار، فيما يضم الحلف المنافس الأقوى وهو الاتحاد الأوروبي ٣٧٥ مليون نسمة، يمثل إجمالي الناتج القومي له ٧ تريليون دولار^(٩). ولا تجد الولايات المتحدة أى منافس داخل حلفها، حيث تنتج ما يقرب من ٨٧٪ من إجمالي الناتج القومي ، ويمثل سكان ٦٩٪ من مجموع سكان حلف أمريكا الشمالية^(١٠).

يرى مدير المشروع المكسيكي في مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية (واشنطن) م ديلال باير أن النافتا سوف تغير من إستراتيجية المؤسسات ، كما أنها ستعمل على تكيف الجغرافيا الفكرية مواطنى كل دولة من الدول الأعضاء فيها، ومن ثم فإنها سوف تضع تدريجياً هوية خاصة لأمريكا الشمالية، من شأنها أن تساعد المنطقة في التنافس على مستوى العالم^(١١).

ويقترح أنصار التحالف مع كندا والمكسيك الرجوع إلى خبرة ألمانيا وبريطانيا بعد الحرب العالمية الثانية ؛ فالأولى لم تخش الدخول في تحالفات جمركية وسياسية مع جيران أقل تقدماً منها. أما الثانية فاتخذت طريق فرض التعريفات لحماية اقتصادها . وكانت النتيجة أن ألمانيا أصبحت صاحبة اليد العليا في صناعة السيارات والصناعات الإلكترونية وفي غيرها من مجالات التكنولوجيا الرفيعة، بل إنها تجاوزت بريطانيا من حيث مستوى المعيشة ، ولقت أمريكا درساً يتلخص في أن الحماية العمياء لفرض العمل يمكن أن تتعكس سلباً في المستقبل . ويؤكد ر. باستور الأستاذ بجامعة إيمورا أن التعامل مع الجيران المباشرين سوف يزيد من قدرة الولايات المتحدة على المنافسة مع الأوروبيين واليابانيين. إن الاستناد إلى كندا وأمريكا اللاتينية أصبح ضرورة لا اختياراً^(١٢). إن التجارة الأمريكية يجب أن تجمع بين الأيدي العاملة المكسيكية الرخيصة وتكنولوجيا الإنتاج الأمريكي الأكثر تقدماً ، تماماً كما يفعل في هذا الشأن اليابانيون مع الدول الآسيوية.

يؤكد المتخصصون الذين يميلون إلى التقارب الداخلي في منطقة أمريكا الشمالية أن توفير العديد من فرص العمل الجديدة للمنتجين الأمريكيين سوف يصبح أحد نتائج النافتا ، كما يتمنى الخبراء في وزارة التجارة الأمريكية بتوفير ٦٠ ألف فرصة عمل

إضافية في الولايات المتحدة الأمريكية مع مطلع القرن الحادى والعشرين ، وذلك بفضل النافتا . ويشير أنصار النافتا إلى أن فتح السوق المكسيكي سوف يسمح لديترويت بزيادة المبيعات اليومية للسيارات فى المكسيك من ألف سيارة عام ١٩٩٢ إلى ٦٠ ألف سيارة في العام الأول بعد إنشاء النافتا .

تتمثل المشكلة الرئيسية التي يعاني منها هذا الجزء المتقدم صناعيا من العالم في القدرة على المنافسة . إن التقارب الأمريكي مع كندا والمكسيك ينبغي أن يساعد الولايات المتحدة في صراعها مع المنافسين . سوف تدعم النافتا القدرة الأمريكية على التنافس في سباقها مع كل من أوروبا وأسيا ، كما أنها سوف تزيد من نطاق الإنتاج والتخصص ، وتزيد من قوة ترشيد الإنتاج على المستوى القاري . إن التنسيق بين الأطراف الثلاثة لقواعد الاستثمار سوف يضمن الاستقرار الإستراتيجي بعيدة المدى للإنتاج . وسوف يصبح الأمر الأكثر أهمية هو توزيع الوظائف المتعلقة بالإنتاج . إن هذه العملية تعد بمثابة الإستراتيجية التي استخدمتها آسيا وأوروبا بنجاح في النفاذ إلى السوق الأمريكي . على هذا النحو قامت اليابان بوعى كامل بنقل عملية الإنتاج الذي يتطلب نفقات (باهظة) إلى جيرانها الأقل تقدما في آسيا . إن تقسيم العمل في أمريكا الشمالية سوف يساعد الصناعة الأمريكية في تقوية قدرتها التنافسية في العالم ، حيث التنافس الجغرافي الاقتصادي متعدد الأقطاب يحل محل الصراع الجيوسياسي ثالثي القطبية (١٣) . ويؤدى الأمر بنا إلى الاستنتاج التالي : إن التصور الجغرافي الاقتصادي والجغرافي الإستراتيجي يتطلبان من الولايات المتحدة أن تقوى مركزها في القارة الأمريكية .

ينبغي على التجارة الأمريكية أن تجمع بين الأيدي العاملة الرخيصة المكسيكية وتقنيولوجيا الإنتاج الأمريكي الأكثر تقدما من الناحية التقنية ، وهو ما تفعله اليابان في العديد من بلدان آسيا . ويرى ك . بريستوفيتز أن من الضروري العثور على بديل للنمور الآسيوية في تكساس . إن تدفق المكونات الأمريكية إلى مصانع التجميع المكسيكية هائل ، ومن ثم فإن من الممكن مع بداية القرن الحادى والعشرين أن تحل المكسيك في نهاية الأمر محل شركاء شرق آسيا المتواحشين . ويؤكد أنصار النافتا على

أن عنصر المخاطرة بالنسبة للعمالة الأمريكية الماهرة يتمثل لا في العمالة المكسيكية الرخيصة ، وإنما في الصراع مع العمالة الألمانية واليابانية صاحبة الأجور العالية . ولهذا فإنهم يرون أن الحجة القائلة باحتمال وقوع اضطرابات عمالية أمريكية داخلية أمر غير مقنع بالنسبة لهم.

يفترض ج . هافباور الخبير الاقتصادي بمعهد الاقتصاد الدولي بواسنطن أن تحقيق النافتا سوف يعطى الولايات المتحدة رصيداً إيجابياً في تجاراتها مع المكسيك يبلغ في المتوسط ١٠ مليارات من الدولارات سنوياً . ويدركنا س . فايتراب من جامعة تكساس أن المكسيكي المتوسط يستهلك سنوياً ما قيمته ٣٨٠ دولاراً من البضائع الأمريكية ، وهكذا فإن كلاً من المجتمعين قد تقارباً اقتصادياً ، وبإمكانهما معاً كل منها الآخر.

لقد قامت أضخم شركات صناعة السيارات الأمريكية ببناء مصانع تجميع السيارات على أراضي جارتها في الجنوب ، وقد صناعت النافتا دون أدنى شك من تدفق رؤوس الأموال الأمريكية إلى المكسيك.

إن أكثر أنصار أولوية الاستناد إلى النافتا يؤكدون أن الولايات المتحدة الأمريكية من وجهة نظر محددة ليس أمامها خيار آخر؛ فالمجتمع الأوروبي يسعى لتحقيق تكامل داخلي على حساب زيادة الحاجز الجمركي الخارجية (إضافة إلى ما هو موجود) ، بينما تبحث اليابان عن مفاتيح للدخول إلى أسواق جيرانها الآسيويين وفي الوقت نفسه فهي ترفض - والحق يقال - فتح سوقها الداخلي . وفي هذا السياق يتكرر بشكل أو بأخر الوضع الذي سبق الحرب - فالولايات المتحدة مضطورة للتوجه إلى جيرانها: منذ الحرب العالمية الثانية كانت أمريكا اللاتينية موجودة على هامش الأولويات الأمريكية ، بينما وقعت آسيا وأوروبا في بؤرة الإهتمامات الأمريكية ، وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي أصبحت هاتان المنطقتان أكثر أهمية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية . على أنه وحتى يصبح من الممكن الدخول معهما في منافسة والاحتفاظ بزعامة العالم ، أصبح على واشنطن اليوم أن تؤمن التعاون مع أمريكا اللاتينية ودول حوض الكاريبي من أجل إنشاء سوق مشتركة تشغل نصف الكرة الأرضية . بعد أن

تحصل بعده على قدرة جديدة على المصادمة^(١٤). أصبحت كندا مفتوحة بوجه خاص ، لقد جاء زمن الهجوم الجنوبي الذى تلعب فيه المكسيك دورا خاصا . لقد رفع اتفاق منطقة التجارة الحرة في أمريكا الشمالية من جاذبية هذه المنطقة أمام المستثمرين الأمريكيين ، ولقد بلغت الاستثمارات أعلى مستوى لها في الأعوام من ١٩٩٧ إلى ١٩٩٨ بما يعادل ١٢,٥ مليار دولار كل عام ، وبدورها زادت المكسيك من حجم صادراتها إلى الولايات المتحدة أكثر مما تصدره إلى أي دولة أخرى . وقد نما حجم التجارة بين الولايات المتحدة والمكسيك من ٤٥ مليار دولار في عام ١٩٩٧ إلى ٦٩ مليار دولار في عام ١٩٩٧ وتسهّل الولايّات المتّحدة نصيب الأسد من الصادرات المكسيكية أي ما يعادل ٨٥٪؎ (مقارنة بـ ٧٠٪؎ عام ١٩٩١) .

يرى بعض بناء القلعة الأمريكية الحصينة أن كندا والمكسيك هما مجرد العصّن الأول ؛ فالولايات المتحدة عليها لا تكتفى بعد توقيع اتفاقية النافتا بالمكسيك فحسب ، وإنما عليها أن تواصل زحفها نحو الجنوب ، نحو حوض الكاريبي ، وأن تضع كل أمريكا اللاتينية على قائمة أولويات المصالح الأمريكية . ومن المنتظر إزالة كافة الحاجز الجمركي مع دول معاهدة آندرس ، جذب البرازيل وغيرها من دول جنوب القارة في تلك الولايات المتحدة الأمريكية . أين تكمن جاذبية أمريكا اللاتينية بالنسبة لأمريكا ؟ إنها تمثل مؤخرة الجيش وركيزة القوية في الحرب القارية القادمة . أما ممثلو حزام الشمس الجبار : كاليفورنيا وفلوريدا وتكساس فيقفن في طليعة المحاربين من أجل الإسراع في توقيع الاتفاق ، وهؤلاء تتركز حجتهم الأولى في أن أمريكا تفتّأمام خطورة سوق معزولة في حدودها ومحدودة في حجمها، وأنه خلال عقد أو عقدين لن يكون لديها حرية المناورة . ليس عبثاً إذاً أن هنري كيسنجر وصف إنشاء النافتا بأنها أكثر مبادرة مبدعة في السياسة الخارجية في التسعينيات .

خصوص النافتا

بدا أن الجدل بشأن النافتا أمر بالغ الصعوبة وخاصة بالنسبة للديمقراطيين؛ فقد اتخذت اللجنة القومية للحزب الديمقراطي قراراً مندّ عقد اتفاق التجارة الحرة مع المكسيك في الوقت الذي أيد فيه مجلس رئاسة الحزب الديمقراطي

فكرة النافتا. ولقد اتضح أن هذا الحزب الأمريكي كان مضطراً أن يفضل بين فوتين هائلتين تؤيدان الحزب - الاتحادات النقابية المنظمة (والتي تقف على الصند من الاتفاق) ، والجالية الناطقة بالإسبانية ذات التأثير الشديد (والتي تؤيد الاتفاق) . وفي كل الأحوال فإن مسألة إنشاء ووضع النافتا موضع التنفيذ قد تجاوز الحدود الحزبية، واجتذب الصراع كافة الاتجاهات الرئيسية في الأحزاب الكبرى والنخبة الأمريكية بأكملها. إن الأمر يبدو من الظاهر على النحو التالي : يعارض أنصار سياسة التجارة الحرة لوبى الحماية الجمركية الآخذ في النمو . ويتحدث أنصار الحماية الجمركية عن احتمال إغلاق قطاعات بأكملها من الاقتصاد الأمريكي وعن أن المكسيك يمكن أن تتحول إلى حسان طروادة للدول الآسيوية المتنافسة مع الولايات المتحدة الأمريكية. ومن هنا أعلن اتحاد النقابات صاحب النفوذ الواسع الحرب على النافتا، مشيرا إلى أن الأيدي العاملة المكسيكية الرخيصة، التي تجذب الشركات الأمريكية إليها سوف تؤدي إلى خسارة لا يقل حجمها عن نصف مليون فرصة عمل في الولايات المتحدة الأمريكية. ويقف المدافعون عن حقوق الإنسان وأنصار البيئة في الولايات المتحدة ضد النافتا أيضاً. ويرى المنتقدون للنافتا أن التحالف الاقتصادي للولايات المتحدة الأمريكية وكندا والمكسيك هو ولا عمل مريب من وجهة النظر الاقتصادية البحتة ، وثانياً أنه يخرج الولايات المتحدة عن الطريق الصواب ، باعتباره بديلاً غير مكافئ لحلف شمال الأطلنطي . وهذا الاختيار من شأنه أن يقوض القدرة العسكرية الأمريكية، لينهار معها نفوذها السياسي الدولي^(١٦). ونتيجة لزيادة اقتراب الولايات المتحدة من أمريكا الشمالية ؛ فإن أوروبا سوف تمضي في طريقها في تعزيز قواها الداخلية ، وفي النهاية ستخرج من حلف الأطلنطي ، في الوقت الذي تستعمل فيه من جديد في شرق آسيا الكراهية القديمة للحريران ، وبصبح النهج الدايماني ، لا إرادياً أكثر عداونة .

ويذكرنا خصوم النافتا بأن متوسط دخل العامل المكسيكي يعادل ١٢٪ من دخل نظيره الأمريكي . وحتى لو رفعت المكسيك مستوى المعيشة لديها إلى ٧٪ سنويا ، وهو أمر مستبعد ، فإنها تكون في حاجة لعشر سنين لتصل إلى ربع المستوى الأمريكي ، أما إذا أرادت المكسيك أن تصل إلى نصف المستوى الأمريكي ، فهي

بحاجة إلى عشرين سنة. وطوال هذه السنوات سوف يكون المكسيكيون الخارجون على القانون على استعداد للحصول على أي عمل في الولايات المتحدة . ويشير خصوم النافتا أيضاً إلى تقادم الآلات في المصانع المكسيكية وعدم فاعلية التطبيق الإداري ، الأمر الذي لا يسمح باعتبار المكسيك مكسباً ثميناً على المستوى الاقتصادي والإستراتيجي . أما الحجة الرئيسية والقياسية التي يطرحها خصوم النافتا فتتلخص في أن الشركات الأمريكية تسعى نحو الجنوب حيث تساوى ساعة العمل حوالي دولارين ، وحيث المستويات القياسية للبيئة أقل كثيراً من المحظوظ ، تاركة وراء ظهرها منطقة البطالة داخل الولايات المتحدة . إبان الحملة التي سبقت الانتخابات عام ١٩٩٢ وعام ١٩٩٦ تنبأ المرشح المستقل لرئاسة الولايات المتحدة الأمريكية روس بيررو بتفايلص زمن العمل إلى ٥.٨ مليون فرصة عمل في حالة إنشاء النافتا في الجنوب بدءاً من ريو جراندي ، وقد أعلن بيررو أن أول قاعدة في الحرب هي لا تطلق النار على نفسك. أما اتفاقياتنا التجارية مثل النافتا فهي تمثل خرقاً لهذه القاعدة . إن النافتا ، على وجه التحديد ، ستبتز من الولايات المتحدة الأمريكية حتى ٥.٨ مليون فرصة عمل ويتوقع معهد الاقتصاد السياسي ، والذي يتمتع بسمعة راسخة في الولايات المتحدة خسارة أقل دراماتيكية تتمثل في ٥٠٠ ألف فرصة عمل على مدى عشر سنوات . ومن الجدير بالذكر أن العجز السنوي في تجارة الولايات المتحدة مع المكسيك تجاوز في نهاية التسعينيات ١٥ مليار دولار. ترى هل ستنسلب المكسيك في القرن الحادى والعشرين فرص العمل ؟

يؤكد المراقبون أن من نتائج النافتا خسارة فرص عمل يتراوح عددها من ٢٥ ألف إلى ٣٥٠ ألف فرصة في الاقتصاد الأمريكي (٤٩) ألف يمارسون إعادة التدريب على العمل بسبب الخوف من النافتا . وقد تجاوز العجز السنوي في تجارة الولايات المتحدة مع المكسيك في نهاية التسعينيات ١٥ مليار دولار.

ويؤكد أنصار البيئة أن إنشاء منطقة تجارة حرة سوف يهبط بمستويات السلوك النظيف للشركات التي ستقوم بتجهيز مقالب قمامنة مثالية في المكسيك . بالإضافة إلى ذلك فإن هذه الشركات ستسعى للذهاب إلى الجنوب لتنفيذ القيود الصارمة

المفروضة في هذا الشأن داخل الولايات المتحدة . إن انهيار الاقتصاد المكسيكي عام ١٩٩٤ قد أضعف أكثر الآمال بهجة . إن أمريكا اللاتينية تشعر بالإحباط بالمعنى الاجتماعي . إنها تستثمر في إعادة الإنتاج ٢٠٪ من إجمالي الناتج القومي بينما يستثمر شرق آسيا ٣٦٪^(١٧) . إن المناخ الفكري الذي خلقه معارضو فكرة تأسيس سوق أمريكية مشتركة شكل عائقاً أمام إنشاء النافتا .

أهمية النافتا بالنسبة للعالم الخارجي

سألت مجلة إيكو الفرنسية السيد موراليس وزير خارجية المكسيك حول ما إذا كانت مخاوف الأوربيين والآسيويين بشأن تحول أمريكا الشمالية بمساعدة النافتا إلى قلعة أمريكية أمر له ما يوحيه ؛ فرد الوزير بالإيجاب قائلاً إن : خطورة المواجهة بين حلفين تجاريين على جانب الأطلنطي أمر قائم بالفعل^(١٨) . عنى أن العوائق الموجودة على طريق تكامل أمريكا الشمالية جسمية .

إن الاختلافات الثقافية هي اختلافات جوهرية ؛ فال المتعلمين المكسيكيين ينظرون إلى الثقافة الأمريكية أساساً باعتبارها ثقافة أنجلوسكسونية وبروتستانتية ، ولا يقبلون البراجماتية ضمن قيمهم ولا المادية التي تلهث وراء الربح . إن ما يزيد عن المائة مليون مكسيكي يعتبرون أنفسهم بعد عام ٢٠٠٠ مختلفين عن البيئة الفكرية والنفسية الأمريكية . وفي هذا الصدد يرى النقاد الأمريكيون لمفهوم الانتحاد القاري أن الثنائية اللغوية في العملية التعليمية التي تجري في الولايات المتحدة الأمريكية تجاه الناطقين بالإسبانية (وهؤلاء يصل تعدادهم مع مطلع القرن الحادى والعشرين إلى ما لا يقل عن ٢٥ مليون نسمة) هو خطأ جسيم . وخلافاً لغالبية المهاجرين (الإيطاليين على سبيل المثال) فإن السكان من الناطقين بالإسبانية يتمسكون بكل حزم بلغتهم وثقافتهم، وهو ما يزيد من شدة التناقضات . نتيجة لذلك اقترح عدد من المشرعين وعلى الأخص السيناتور أ. سمبسون مشروع قانون يتضمن قواعد صارمة منظمة للهجرة ، معتبراً أن من الضروري وقف تدفق المهاجرين الإسبان .

على جدول أعمال مشكلات النافتا المطروحة للمناقشة بشكل واسع في أمريكا الشمالية ، تجرى مناقشة قضية الهجرة غير المشروعية من المكسيك إلى الولايات

المتحدة الأمريكية . ويؤخذ في الاعتبار سراً أن إنشاء منطقة التجارة الحرة سوف يحد من تدفق المهاجرين غير الشرعيين إلى الولايات المتحدة ، فتوفير فرص عمل جديدة في المكسيك ذاتها ورفع مستوى حياة عمالها من شأنه أن يقلل نزوح المكسيكيين للتحرك نحو الشمال ، فمن الواضح أن النمو الصناعي المتتسارع يدفع إلى المدن بالملابحين من الفلاحين المكسيكيين . وعلى هذا فإن حركة هؤلاء القائمة على الفقر يمكن أن تتخذ من الشمال هدفاً لها .

على أن أكثر ما يفقد أنصار إنتحاد القارة حماسهم هو عدم الاستقرار داخل المكسيك ؛ فأسعار النفط في التسعينيات تراجعت مما كان له أثره البالغ في انخفاض عائدات البلاد . وقد أدى الانهيار المالي في عام ١٩٩٤ إلى تطبيق برنامج أساسى للإجراءات الاقتصادية القاسية، تبع ذلك انهيار آخر فى مستوى المعيشة بلغ مقداره ٤٠٪ واكتسبت الحدود المارة بريو جراندى أهمية بالغة . واتسع نطاق تفسير إدارة المخابرات المركزية الذى تضمن الحديث عن فرص انهيار النظام السياسى المكسيكى فى خلال الخمس سنوات القادمة بنسبة ٥:١ . وفي جلسات مجلس الشيوخ الأمريكى ورد ذكر دولة المكسيك مقررونا بعدد من الصفات مثل عدم المساواة وعدم الصلاحية والفساد .

وقد هاجم ر. ثوريتشيللى رئيس اللجنة الفرعية لشؤون نصف الكرة الأرضية الغربى بمجلس الشئون الخارجية منظمة النافتا انتلافاً من أن اتفاق منطقة التجارة الحرة لأمريكا الشمالية ينبغي أن يشمل فقط الدول صاحبة الأنظمة الديمقراطية المتقدمة... إن من حقنا أن نطلب من المكسيك أن تصل إلى مستوى محدد من المفرطة لمؤسساتها السياسية^(١٩) .

وعلى هذا النحو فإن تحقيق مفهوم إنتحاد القارة يعترضه صراع الآراء والمصالح في القيادة الأمريكية ؛ حيث المنافسون لمشروع القارة من القوة ما يمكنهم من محاصرة العديد من المبادرات السياسية والاقتصادية في هذا الاتجاه ، هذا من ناحية ، من ناحية أخرى فإن عنصري السياسة القارية - كندا والمكسيك - لم يتأثرا إطلاقاً بالافتقار الثابت بالحصول على بعض المكافئ مقابل بعض السلبيات . بالإضافة إلى

ذلك فإن كل من أتوا وموكسيكو ما يزالا يسعين لزيادة عدد شركائهم السياسيين والاقتصاديين عن طريق مخاطبة أوروبا وأسيا وأمريكا اللاتينية ، كل ذلك من شأنه أن يخفف من اندفاع أنصار الاتحاد القاري ويضع عوائق صخمة في طريق تحقيق المشروعات المذكورة . ومع ذلك فإن هناك حقيقة هامة تتمثل في اكتشاف النخبة السياسية الأمريكية لآفاق جديدة يمكن أن تكون لها أهمية فائقة في القرن الحادى والعشرين .

تحصل المكسيك من مواطنها العاملين في الولايات المتحدة ، والذين يرسلون أموالاً لذويهم ما لا يقل عن ٣ مليار دولار سنوياً ، وهو مبلغ مؤثر يذهب في النهاية إلى الغزانة المكسيكية .

يترتب على هذا أن خروج رأس المال من الولايات المتحدة عن طريق المهاجرين يصب في صالح المكسيك ؛ حيث يخفف هذا الأمر من الضغوط الاجتماعية داخلها . ولا يعود بأي نفع على دافعى الضرائب . يكتب البروفيسور ب . فولكر الأستاذ بجامعة برينستون مشيراً إلى أن هناك أيضاً شيئاً شكاً في أن النافتا تتضمن مقدمات لخروج أمريكا من آسيا (٢٠) .

مصير كندا

فيما يتعلق بكندا، فإن مصيرها التاريخي يبدو وثيق الارتباط بضياع أمريكا الشمالية . ولعل أحد التصورات التي تفوق في أهميتها أي تصور آخر في أتوا، هو السعي للوصول لحل مضمون لمشكلة إقليم كوبيك في إطار وحدة القارة . وتفترض كندا مصانعة تجارتها مع مطلع القرن الحادى والعشرين مع المكسيك - الشريك المتميز الجديد . وإذا كانت الولايات المتحدة وكندا أكثر تقاربها فيما بينهما من ناحية الثقافة واللغة ، فإن الاختلاف في علاقات كندا بأمريكا اللاتينية تجاه التقارب القاري أمر محسوس وخاصة في النواحي التالية . إن الكنديين برغم إدراكيهم التام لخطورة التقارب مع عملاق بحجم أمريكا اللاتينية لا يخشون أن ترسل الولايات المتحدة قواتها إلى الأقاليم الكندية ، أما المكسيك فليس لديها هذه الثقة إطلاقاً . وربما يكفي للدلالة على هذا أن نعدد عمليات التدخل التي قامت بها الولايات المتحدة في

المكسيك بدءاً من فيراكورس عام ١٩١٤ (هذا إذا ما اكتفينا بالحديث عن القرن العشرين فقط).

يصاحب التقارب الاقتصادي أعمال في مجال التعاون العسكري؛ فالأمريكيون قاموا بإمداد كندا بالتقنيات من أجل بناء غواصات نووية بهدف القيام بدوريات استطلاعية في المياه القطبية، وقد تم توقيع اتفاقات بشأن تعديل القيادة الموحدة للدفاع الجوي عن أمريكا الشمالية وكذلك شبكة محطات الرادار في القطب الشمالي.

كان لدى كندا بعض المخاوف؛ فعلى مدى حوالي ٥٠ عاماً تقريباً ظل الهدف الرئيسي للسياسة الخارجية لكندا هو خلق توازن لتأثير الولايات المتحدة الأمريكية والحيلولة دون وقوع كندا في عزلة داخل قلعة أمريكا الشمالية. وهذا الهدف جرى بحثه بين أعضاء حلف الناتو وأثناء تنسيق العلاقات مع أوروبا. والآن مع اختفاء التهديد السوفيتي وتتطور الاتحاد الأوروبي أصبح دعم الـ ٢١ ات مع أوروبا أمر أكثر صعوبة... وجاء ظهور منظمة النافتا ليقوى من النزعة القارية لأمريكا الشمالية^(٢١) يقول الخبراء الكنديون إن إمكانية إنشاء النافتا قد حطم الآمال التي كانت قائمة في السبعينيات بشأن تنمية العلاقات الكندية... لقد تجاوز حجم الصادرات الكندية إلى الولايات المتحدة ثلاثة عشر ضعف الصادرات إلى أوروبا في عام ١٩٩٦^(٢٢).

إن الولايات المتحدة وكندا كانتا -وما تزالان-، وبينما ستصبحان -أضخم شريكين تجاريين-، فتجارتهما البنية تنمو بمعدل سنوي مقداره ٢٠٪، وسوف تتضاعف هذه النسبة بعد تطبيق الاتفاق الأمريكي الكندي بشأن التجارة الحرة. لقد تجاوز حجم صادرات كندا إلى الولايات المتحدة في عام ١٩٩٥ المائة مليار دولار، وفي العام نفسه تعدت الصادرات الأمريكية إلى كندا الثمانين مليار دولار. لقد نجحت الدولتان في تجنب قيام حرب تجارية بينهما في سوق الحاصلات الزراعية، كما نجحتا في تحقيق نطور مها في مجال الطيران التجاري. وهناك مادة وردت في الاتفاق الخاص بإنشاء النافتا تصر كندا من خلالها على الدفاع عن صناعتها الثقافية من أخطار المنافسة المفتوحة، وهي مادة ما تزال محل جدل مستمر بين الدولتين.

سياسة كلينتون

في سياق حملته الانتخابية أعلن بيل كلينتون بما لا يدع مجالا للشك، أن منطقة التجارة الحرة سوف تصبح أمرا واقعا بحلول عام 1994 ، فالمكسيك ، هذه الدولة التي تشتراك مع الولايات المتحدة في حدود يبلغ طولها 3100 كيلو متر ويعبرها سنويا 500 مليون شخص، تقف الآن ، ونحن في عصر ما بعد الحرب الباردة ، على قمة أولويات الولايات المتحدة . وقد ألح الرئيس كلينتون على ضرورة توقيع اتفاقيات إضافية بشأن ظروف العمل والبيئة، ووعد بأنه سيكون أكثر عدوانية من إدارة الرئيس بوش فيما يتعلق بمنطقة التجارة الحرة في أمريكا اللاتينية . وذكر السيد مالروني رئيس وزراء كندا المعروف بحماسه في معرض حديثه عن آفاق توسيع الحلف : أن كندا سوف تعمل من أجل تطبيق اتفاق أمريكا الشمالية بشأن التجارة الحرة بأسرع ما يمكن، إننا نتحرك نحو شراكة تجارية واسعة في نصف الكرة الذي نعيش عليه ، والذي يضم شركاءنا المؤسسين للنافتا وكذلك أصدقاءنا في حوض الكاريبي وشركاءنا وسط وجنوب أمريكا (٢٣) . وفي المؤتمر الذي عقد بناء على مبادرة الرئيس كلينتون تحت اسم لقاء الأمريكيتين على أعلى مستوى (1994) طرح الرئيس الأمريكي فكرة إنشاء منطقة تجارة حرة للأمريكيتين (FTAA بحلول عام 2005) . إن الفكرة المطروحة هنا تبدو واضحة تماما وهي إبعاد المنافسين وراء المحيط . وقد عبر س. أيزينستات نائب وزير التجارة عنها بكل صراحة عندما أعلن قائلا: إن منافسينا خارج نصف الكرة الغربي لا يغمض لهم جفن... إن الأوروبيين والآسيويين يسعون سعيا محموما لزيادة نصيبهم من الصفقات التجارية مع أمريكا اللاتينية وهو أمر جديد... إن كل خطوة في هذا الاتجاه تشكل تحديا مباشرا للمكاسب الاقتصادية للتجارة الأمريكية التي تبحث عن التكامل في نصف الكرة الغربي (٤) .

خلال خمسة عشر عاما سوف يتم رفع كافة الحواجز القومية أمام تبادل السلع والخدمات ورؤوس الأموال وتقرير الأسس القانونية في أكبر منطقة للتجارة الحرة في العالم وهي المنطقة الواقعة من يوكاتان ، والتي يعيش فوق أراضيها ما يزيد على ٤٠٠ مليون نسمة . على أن هذا الأمر لم يسلم من النقد من الجانب الآخر

للمحيط ؛ فقد أكد ليون بريتين نائب رئيس لجنة الاتحاد الأوروبي أن على واشنطن ألا تنسى أن الولايات المتحدة الأمريكية هي من وجهة نظر المصالح الاقتصادية دولة عظمى عالمية وليس قاربة ، فالشركات الأمريكية العاملة في مجال الصناعة والخدمات مرتبطة بعلاقتها التجارية خارج حدود أمريكا الشمالية^(٢٥) . نستطيع أن نلحظ في هذه الكلمات بشكل واضح مدى الاستنكار لهذا الشكل الشاذ من النزعة الانعزالية الأمريكية الجديدة.

لو ظهرت النافتا على حيز الوجود على نحو مكتمل تكونت في العالم ثلاثة أحلاف: الاتحاد الأوروبي الموسع ، والحلف الآسيوي بزعامة اليابان والنافتا ذاتها ، والأخير يمكن اعتباره ندا للاتحاد الأوروبي من حيث تعداد السكان ، وإن تفوق عليه من ناحية المؤشرات الاقتصادية الأساسية .

إن قرار إنشاء اتحاد أمريكا الشمالية ، هو في واقع الأمر قفزة نوعية سواء من الناحية الاقتصادية أو السياسية ، ونحن نرى صعوبات كبرى تتعارض تتنفيذ هذه العملية ، ولكن يصبح من الممكن فتح حدود كل من دولة أمام الأخرى بشكل كامل فسوف يتبعن على كل من الولايات المتحدة الأمريكية وكندا والمكسيك تخطي عقبة النزعة القومية أولاً في الدول الثلاث ثم إلغاء مبدأ حماية الشركات الصناعية والنقابات ، وتخلّي الدخبة عن الفلسفة القومية الضيقية التي تعتنقها والميل للعودة إلى مبادئ حزب الشعب الأمريكي Populism كما سيتبعن عليهم إقناع مواطنיהם بأن تعاون الدول الثلاث بعضها مع بعض سيأتي بالفائدة على الجميع .

وعلى هذا النحو فإن تحقيق مفهوم اتحاد القارة يعترضه صراع الآراء والمصالح في القيادة الأمريكية ؛ حيث المنافسون لمشروع القارة لديهم من القوة ما يمكنهم من محاصرة العديد من المبادرات السياسية والاقتصادية في هذا الاتجاه ، هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى فإن عنصري السياسة القارية - كندا والمكسيك - لم يتأثرا إطلاقاً بالاقتتال الثابت بالحصول على بعض المكافئ مقابل بعض السلبيات . بالإضافة إلى ذلك فإن كل من أوتاوا ومكسيكو ما يزالا يسعian لزيادة عدد شركائهم السياسيين والاقتصاديين عن طريق مخاطبة أوروبا وأسيا وأمريكا اللاتينية . كل ذلك من شأنه أن

يخفف من اندفاع أنصار الاتحاد القارى ويضع عوائق صنخمة فى طريق تحقيق المشروعات المذكورة . ومع ذلك فإن هناك حقيقة مهمة تمثل فى اكتشاف النخبة السياسية الأمريكية لآفاق جديدة تنبئ عن الأوضاع السائدة فى الوقت الحالى . إن القوى الجديدة فى أوساط السياسة الأمريكية تشرع فى إعداد مفهوم للاتحاد القارى ووسائل تحقيقه .

مراجع الفصل السادس

- 1-Nuechterlein D. America Overcomited. U.S. National Interest in the 1980s. Lexington, 1985. P. 54.
- 2-The New York Times. April 8, 1994.
- 3-Hufbauer G., Schott J. North American Free Trade: Issues and Recommendations. W., 1992. P.24
- 4-Ball G.The Discipline of Power. Boston. 1968. P. 113.
- 5-Doran Ch., Singler J. (ds. Canada and U.S.:Enduring Friendship. Persistent Strese. Englwood Clifffs.1985. P. 157.
- 6-Doran Ch., Singler J. (eds). Op. cit . P . 157.
- 7-uysltig N., Bosworth B., Lawrence R. (eds). Assessing the Impact. North American Free Trade. W., 1992. P. 1.
- 8-Richman. L. How Nafta Will Help America // Fortune. April 1993. P. 52.
- 9-Postor R. NAFTA as a Center Of an Integration Process: The Nontrade Issues / N. Luystig, B. Bosworth and R. Lawrence. Op. cit. P. 204.
- 10-Economic integration and Nationalism: Canada, the United States and Mexico // Este Pais, No 1.April 1991.
- 11-Delal Baer M. North American Free Trade // Foreign Affairs. Fall 1991. P. 140.
- 12-Postor R. The Latin American Option // Foreign Affairs. Fall 1992. P. 125.
- 13- Delal Baer M. North American Free Trade. Op.cit. Fall 1991. P. 132.
- 14- Postor R. The Latin American Option. Op. cit . Fall 1992.p.107.
- 15-New york Times . April 11, 1993.
- 16-Coll A. America as the Grand Facilitator // Foreign Policy. Summer 1992. P. 67.
- 17-Edwards S. Latin American Underproformance // Foeign Affairs. March-April 1997 .P .95.
- 18-L'Echo. Janvier 15, 1993. P. 11-12.
- 19-Update on Recent Developments in mexico:hearing before the subcommittee on Western Hemispheric Affairs of the House Foreign Affairs Committee. 102d Congress. Isess.W.,1991.P.54-55

- 20-volcker P. The U.S., Japan, and a Changing Global Economy // The Washington Quarterly. Spring 1994.P.31.
- 21-Canadian Foreign Policy. Spring 1994.P.31.
- 22-Will NATO Go East ? The debate over enlarging the Atlantic Alliance.Toronto,1996.P.157.
- 23-Canadian Foreign Policy .Spring 1994.P.31.
- 24-Preeg E.H.The Post-Uruguay Free Trade Debate // Washington Quarterly.Winter 1996.P.227.
- 25-Tiel E.EU and NAFTA:Regional Integration and Transatlantic Relations // Aus-senpolitik,1997.No1.P.60

الفصل السابع

خبار واشنطن: تقرير المصير والسيادة

تف واشنطن وهى تحدد مسارها إلى القرن الحادى والعشرين أمام خيار حرج، فهى إما أن تساعد الدول الجديدة فى تقرير مصيرها وفى نهضتها ، هذه الدول التى خرجمت عن نطاق الحدود الدولية التى كانت مستقرة ، وإما أن تهب للدفاع عن الحدود الحديثة لمائتى دولة مستقلة. كلا المبدئين لها أنصارهما وسط النخبة الأمريكية. فالرئيس الأمريكى واشنطن يعد رمزاً لمبدأ الانفصال والخروج من نطاق الإمبراطورية البريطانية وتقرير المصير لولايات أمريكا الشمالية ، وفي الوقت نفسه كان الرئيس ليتكولن تجسيداً للرفض الكامل لهذا المبدأ.

وكلا المبدئين كانوا يطمحان للسيطرة على نظام العلاقات الدولية. من الجائز أن يكون مبدأ تقرير المصير القومى قد طرح على نحو أكثر وضوحاً من قبل الرئيس ودرو ويلسون من خلال الأربع عشرة نقطة الشهيرة ، والتى أعلنت فى يناير ١٩١٨ وكان هدفها محدداً تماماً. القضاء على العدوين متعددى القوميات: الإمبراطورية النمساوية المجرية والإمبراطورية العثمانية. وقد تحدثت المادة العاشرة من هذه الوثيقة عن تقديم أكثر الإمكانيات المناسبة واللامحدودة من أجل النمو المستقل للشعوب^(١).

وهناك مبدأ آخر من المبادئ العشرة ينبع عن قدسيّة حدود الدول ذات السيادة وعدم المساس بها . وقد اكتسب هذا المبدأ أهمية كبرى بعد ظهور الحركة التحريرية الوحديوية Irredentism^(*) التي نادى بها كما هو معروف كل من هتلر وموسوليني في نهاية الحرب العالمية الثانية بهدف تعديل الحدود السابقة. في نهاية عام ١٩٩٤ كتب الرئيس الأمريكي روزفلت قائلاً: أن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية تسعى جاهدة من أجل إنشاء منظمة دولية للأمن ، يمكن للولايات المتحدة ومعها كافة الأعضاء من الدول الأخرى أن يأخذوا على عاتقهم مسؤولية الحفاظ على الحدود المتفق عليها^(٢).

(*) حركة التحريرية الوحديوية: حركة قومية ظهرت في إيطاليا في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين واستهدفت ضم الأراضي المتاخمة والتي تسكنها أقليات إيطالية ولا تدخل في نطاق إيطاليا (المترجم).

وعلى امتداد العقود التي تلت الحرب شاع انطباع أن الصراع بين هذين المبدئين قد انتهى بظهور المواد الواردة في ميثاقى الأمم المتحدة وهلسنكي (١٩٧٥)، والذين أعلنا حرمة حدود الدول الأوربية، وكانت الحكومة الأمريكية قد أخذت زمام المبادرة ووافعت على كلتا الوثيقتين الأساسيةتين.

ثلاث ضربات هائلة في قوتها اجتاحت خلال فترة قصيرة (١٩٩٠ - ١٩٩١) مبدأ أبدية الحدود ورسوخها.

١- في الثاني عشر من يونيو ١٩٩٠ أعلن المجلس الأعلى لروسيا الاتحادية سيادة روسيا الاتحادية، الأمر الذي وضع خاتمة للاتحاد السوفييتي ، وأدى إلى ظهور خمس عشرة دولة بدلاً من دولة واحدة كان العالم بأسره معترفاً بها.

٢- أعلن البوندستاج (البرلمان) في ألمانيا الاتحادية التهامه للدولة الألمانية الثانية التي فررت الامتنال لمبدأ تقرير المصير القومي.

٣- في السادس والعشرين من ديسمبر ١٩٩١ اعترفت الحكومة الألمانية بسيادة الشقين المنكاملين لجمهورية يوغسلافيا- سلوفينيا وكرواتيا، الأمر الذي سرعان ما أدى إلى تفتقن الدولة بأكملها لتتحول إلى ست دول جديدة (حتى الآن).

هذه التحوّلات الثلاثة الحادة، من هيئة مبدأ وحدة الدولة إلى سيادة مبدأ تقرير المصير القومي، أدت بدورها لا إلى مجرد إعادة النظر في خارطة أوروبا وإنما إلى فتح صندوق باندورا (*) مع الأخذ في الاعتبار أن العالم به مائة دولة بها أقلويات عرقية تزيد في كل منها على مليون نسمة وهولاء هم الذين حددوا صورة القرن الحادى والعشرين). وفي حالة انتصار مبدأ تقرير المصير القومي فإن هذا القرن سيكون قرن ظهور ما يقرب من مائة دولة جديدة بما ينبع عن ذلك من توابع، ولعل أوضح مثال طبيعة هذه التوابع هو ما وقع في يوغسلافيا من أحداث. وهكذا فإن واشنطن باعتبارها الحارس الرئيسي للوضع الراهن، تقف مباشرةً أكثر من أي دولة أخرى- أمام الخيار الصعب.

(*) باندورا : امرأة أرسلها زيوس عقابا للجنس البشري ، بعد سرقة بروميثيوس للنار، وأعطاهما صندوقاً ما إن فتحته بداعف الفضول ، حتى انطلقت منه الشرور والرزايا فعمت البشر ولم يبق فيه سوى الأمل . (المترجم)

كان على ألمانيا - بعد اعترافها بسلوفينيا وكرواتيا - أن تنتظر ما سيسفر عن هذا الاعتراف ؛ فلهاوئها من الأوروبيين والأمريكيين لم يخونوا بعد مبدأ وحدة الدولة، أما الانحاد الأوروبي فقد قام بإنشاء لجنة برئاسة (روبير بادينتير) المختص الفرنسي في القانون الدستوري ، والذى انتهت توصياته إلى أن الأهداف التى تقف وراء ضرورة الحفاظ على السيادة القومية يمكن تحقيقها فى حدود الدولة القائمة وليس المطلوب بناء دولة مستقلة ، وقد أوصت اللجنة بشكل لا يقبل الجدل الانحاد الأوروبي برفض الاعتراف بالسيادة السلوفينية والكرواتية :

فالسيادة ينبغي تناولها باعتبارها مبدأ ينبع من الدفاع عن الحقوق الفردية للإنسان . إن الدفاع عن حقوق الجماعات لا يبرر مطلب إعطاء الحقوق لدولة مستقلة بعينها (٣) .

بعد كل من الرئيس چورج بوش رئيس الولايات المتحدة الأمريكية وسايروس فانس المبعوث الخاص للأمم المتحدة في يوغسلافيا والوزير السابق للخارجية الأمريكية وأخيراً اللورد كاربنتون رئيس مؤتمر السلام لشنون يوغسلافيا من المؤيدين لوجهة النظر المنادية بعدم السماح بالتضحيه بمبدأ الوحدة الإقليمية . وقد حذر بيريز دى كويار الأمين العام للأمم المتحدة من خطورة اعتراف الغرب السابق لأوانه بسيادة سلوفينيا وكرواتيا الأمر الذي يمكن أن يؤدي إلى اشتغال الصراع . وفي هذا الشأن اتخذت الحكومة الأمريكية موقفاً صارماً من الانفصال ، ورأت واشنطن أن من الضروري التقيد بتجديد الانحاد ، وقد حذر چيمس بيكر وزير الخارجية الأمريكي رسمياً من اتخاذ مواقف من جانب واحد : وأشار إلى أن الإدارة الأمريكية لن تعرف بتصرف أى جمهورية من الجمهوريات تحاول من خلاله أن تعلن استقلالها بشكل منفرد (٤) . كانت أمريكا - شأنها شأن كل دول العالم المتحضر - على استعداد لدعم المساواة السياسية لكافة المواطنين ، لكنها كانت ترفض مقوله أن الهوية الثقافية والمصالح الاقتصادية يمكن تلبيتها بواسطة إقامة دولة مستقلة .

على أن كل هذه التصورات لم توقف ألمانيا؛ فمن أجل تلبية حاجاتها الداخلية شوهدت الحكومة الألمانية الصورة الشاملة للأحداث ، وأصبحت الحركات العرقية

القومية الساعية لإقامة دول مستقلة عن طريق الانفصال عن يوغسلافيا، يتم تصويرها على أنها ضحية للعدوان الصارى الخارجى الرافض لحق تقرير المصير، الأمر الذى أثار موجة من التعاطف نحو مواطنى سلوفينيا وكرواتيا الفارين من السجن ، كما أثار فى الوقت نفسه الكراهية تجاه زبانية الصرب. على أن أى من الصحف المؤثرة لم تشر فى هذا الوقت الحرج إلى أن مستوى المعيشة فى سلوفينيا - على سبيل المثال . كان ضعف مستوى المعيشة فى صربيا ، وأن معظم السكان السلوفينيين كانوا يشعرون بأنهم يعيشون فى دولة كبرى .

لقد أعلن وزير الخارجية الألمانى عن نية ألمانيا الاعتراف بشطري الدولة المستقلة خلافاً للتقرير بادينتير المسمى بمبادئ الاعتراف بالدول الجديدة فى أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتى ، وخلافاً للرأى الذى عبر عنه كبار رجال الدولة فى الولايات المتحدة أيضاً فقد أصر هنرى ديتريش جينشر على أن بون اختارت جانبها واحداً من جوانب الصراع وأن سلوك الصرب يدفعه للتصريف بشكل محدد. لقد استغلت ألمانيا ثقلها من أجل إجبار الاتحاد الأوروبي على اتباع المثال الألماوى فى دعم مبدأ المصير القومى فى دولة متعددة القوميات . ويعبر الباحث الأمريكى كارل هوج عن حزنه إزاء ذلك بقوله خلال بضعة أيام بعد اعتراف بون ، عادت النغمة الكريهة القديمة بشأن العرقية القومية النازعة للتحرر الوحدى لتغرق صوت العقل ^(٥) . وتصل شاهدة العيان سوزان وودورد مؤلفة أكثر الكتب اكتتمالاً حول المأساة اليوغسلافية إلى استنتاج واضح مفاده أن الغرب بعد أن قبل الصراع حول تقرير المصير القومى تجاهل القوى المذاهنة للقوميين الراديكاليين وأساء إليها، بل إنه شجع بشكل غير مباشر الأحلام الكبرى للمنتفرين القوميين ^(٦) .

أما الرئيس الفرنسي ومعه رئيس وزراء بريطانيا فقد فضلا نسيان أن أسلافهما لويد جورج وكليمنسو هما اللذان أسسا يوغسلافيا الكبرى فى عام ١٩١٨ ، وأن تشرشل وقف عام ١٩٤٥ وراء تيتو ليسانده فى إعادة إعمار يوغسلافيا التى دمرها الألمان، وجاء الأحفاد لترتبط أسماؤهم ببناء أوروبا الغربية .

كتب هورج فائلاً: لقد استغلت حكومة كول القوة الجديدة التي اكتسبتها من وراء الوحدة الألمانية في الأزمة اليوغسلافية... وقد ارتكبت حكومة كول خطأ جسيماً عندما فضلت الحقوق الفردية الشخصية في مبدأ شرعية إقامة الدول في أوروبا بعد انتهاء الحرب الباردة.

إن السياسة الخارجية المسئولة في نهاية القرن العشرين ينبغي عليها أن تنظر إلى الحكم الذاتي باعتباره أداة سياسية لتحقيق حقوق الآخر لا باعتباره هدفاً في حد ذاته... وبقدر القليل الذي استخلصته أوروبا من دروس القرن العشرين؛ فهي لم تصم حق تقرير المصير باعتباره خطأ أو غثاء طاف على سطح السياسة العرقية القومية^(٢).

لقد أخفى هنري ديتريش جينشر مبدأ تقرير المصير وسط مبادئ إنسانية عامة أخرى، على أنه قد أصبح واضحاً بالنسبة لأوروبا كلها وللعالم من هو أكثر الأقطاب دعماً للحكم الذاتي القومي من ناحية النقاء العرقي. لقد أصبح المبدأ السائد بين غالبية الدول الجديدة الثلاثي والعشرين التي ظهرت محل الاتحاد السوفيتي ويوغسلافيا هو المبدأ الألماني القائل بقرابة الدم، والذي رفض تجربة الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وإنجلترا في التعددية القومية، ومن ثم فقد اقتفت أثر مبدأ المركزية العرقية الألماني. ومنذ اللحظة الأولى أصبحت سياسة المركزية العرقية التي تنتهجهما ألمانيا الاتحادية هي السياسة التي يرفع رايتهما أصحاب تأكيد الذات عرقياً من شركاء ألمانيا الأوروبيين، بل لم يعد بمقدور الدول المستقلة الجديدة أن تفك حتى في الثانية اللغوية الرسمية البلجيكية الفنلندية والكندية ولا في غيرها من مظاهر الاحترام الأخرى للأقليات في الدول الجديدة.

إجمالاً لم يعد بالإمكان بعد المبادرة الألمانية رفض الخطط الألمانية باستثناء مواجهة هذه الخطط من جانب الولايات المتحدة الأمريكية، لكن هذه المواجهة لم تحدث لعدة أسباب من أهمها: مباركة واشنطن التي رحبت بزعيم أوروبا الجديد ، بل وقدمت المساعدة لمبدأ تقرير المصير القومي (خلافاً للندن وباريis) .

شكوك الأميركيين

لم تكن المساعدة غير المشروطة التي قدمتها إدارة جورج بوش تعنى غياب الشكوك في دولة لينكولن ؛ ففي الوقت المناسب قام السناتور دانيال باتريك موينيخين بتذكير مواطنه بأن الرئيس ودرو ويلسون قد استخدم مبدأ تقرير المصير عام ١٩١٨ بهدف محدد هو تقليل الخصوم من أصحاب الجنسيات المتعددة باعتبار ذلك جزءاً من دبلوماسية زمن الحرب لقد حول أتباع التسعينيات السلاح الشرعي للدبلوماسية العسكرية إلى نتاج غير شرعي للنزعية القومية ودمروا القشرة الرقيقة للحضاراء، وأطاحوا باتفاقية هلنسكي لعام ١٩٧٥ بشأن الأفضلية المطلقة لمبدأ سيادة الدولة والحدود الأولية النهائية ، وقد كتب موينيخين عن الدرس العظيم للقرن وعن أن الأقليات ترغب في تقرير مصيرها وترفض تقرير الآخرين لمصيرهم^(٨) .

دخل النظام العالمي إلى القرن الحادى والعشرين بعد أن ظهرت المشكلة الأريترية، وبعد أن صوتت أسكتلندا وويلز لصالح إنشاء برلمانين مستقلين، ومرة أخرى تنفجر الأحداث في أيرلندا الشمالية وتندلع الحرب مع الأكراد وتسقط كشمير في أول الحرب، ويدور الصراع على الملا في كوسوفو ، يصبح واضحًا للجميع أن الصراعات العرقية قد حلّت محل المواجهة الكبرى بين الشرق والغرب . ونستطيع بكل جسارة أن نشارك هيرست هاتوم من جامعة تافت استنتاجه القائل بأن مبدأ وحدة الأرض ما زال يحظى بالاحترام، على أن انهيار الاتحاد السوفيتي ويوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا وإثيوبيا على مدى عقد واحد هو في رأي كثير من الدول المتقدمة التي تنادى بحق تقرير المصير القومي أهم سابقة في هذا المجال^(٩) .

ترى ما التنبؤات التي يحملها لنا القرن الحادى والعشرين ؟ يعترف غالبية المتخصصين في الغرب أن خبرة مائة عام من التفاعل بين حركات تقرير المصير القومي والديمقراطية ما تزال تمثل إشكالية كبرى^(١٠) . وفي هذا السياق فإن دبلوماسية بون - على الأقل . قد خلقت سابقة لا مثيل لها...لقد وصلت الرسالة التي تعنى أن مبدأ تقرير المصير يمكن أن يقضى على الدولة متعددة القوميات وبطريقة شرعية إلى كل من لوبليانا وزغرب وإلى كل من تمنى هذا المبدأ^(١١) . أما أفضل

وسيلة للحصول على دعم هذا المبدأ فيمكن تحقيقها عن طريق إثارة حرب دفاعية والحصول على تعاطف دولي معها، تعاطف يتخذ شكل الاعتراف الدبلوماسي بشرعيتها^(١٢). وحتى الآن على الأقل ما يزال غير واضح ما إذا كانت ستظهر في الأفق إرادة سياسية جماعية للدول المتحضرة، من شأنها أن تتخذ موقفاً يميل إلى معايير الحقوق المدنية التي تحمل في مضمونها مبدأ تقرير المصير، والذي يتطلب إضفاء الشرعية على الدول ذات السيادة^(١٣)، فلا المحامون الدوليون ولا المؤرخون يرون إمكانية إعداد معايير مجرية ومضمونة يامكانها أن تبرر النزعة الانفصالية، وما يزال الاتجاه العام لتفكير المتخصصين يتخذ المنحى التالي: من الضروري استمرار اتخاذ الإجراءات التعويضية التي تبدأ من الدفاع عن حقوق الفرد، ثم تنتقل إلى الدفاع عن حقوق الأقليات الذي ينتهي بالانفصال في الحالات القصوى^(١٤). هل يستحق الأمر في مثل هذه الأحوال اللجوء إلى العنف الثوري؟

في هذا الصدد لا تخامر كارل بوير - أيديولوجي الفلسفة العنصرية - أية شكوك في أن النزعة القومية تثير غرائزنا المتأججة ، وتخاطب الهوى الكامن في نفوسنا، كما تستثير الغرارات والعنين الجارف للتحرر من ثقل المسؤولية الفردية^(١٥) . أما العالم الإنجليزي البارز في هذا المجال - ألفريد كوبان - فهو لا يسلم بهذا اللبس ؛ إذ يرى أن تقرير المصير أمر فقد جذوره التاريخية^(١٦) . ويؤكد أنطون سميث أحد الخبراء المشهورين في هذه القضية أن ظهور دول جديدة الواحدة تلو الأخرى من شأنه أن يؤدي إلى ظهور تيار واسع من اللاجئين والمهاجرين الذين فقدوا طريقهم في الحياة^(١٧) .

وحتى ودرو ويلسون المنادي بتقرير المصير يفترض أن توافر كل الحقوق السياسية لدى مجموعة من السكان في الانشقاق الاختياري والانتخاب الطوعي وتقرير المصير داخلياً أمور كافية للدفاع عن الأقليات. ويشير الأميركيون ذوي النفوذ بكل ثقة إلى أهالي كتالونيا وأسكتلندا وويلز والتاميل الهندو وكوبيك. علي أن ترك مسألة تقرير المصير القومي على ما هي عليه الآن باعتبارها ادعاء غير حكومي يقف على قمة أولويات التسعينيات دون إيلانه الأهمية الكافية، وسيكون بلا شك أمر

سابق لأوانه. إن أول حملة سيقوم بها أصحاب اللون البرتقالي يجوبون فيها الأحياء الكاثوليكية سوف توقف الفتنة القديمة من مرقدتها.

عندما يبلغ الصنف الثقافي ذروته يهرب كهنة السلام والرفاية إلى الاستفتاءات العامة، كما لو كانوا قد فقدوا الإحساس تماماً بأن حامل القانون الثقافي العالي سوف يعطي في هذا الاستفتاء إجابة لا علاقة لها بالسؤال المطروح ، وإنما سوف يجيب عبر مشاعره إذا ما كان يحب عشيرته ولغته وتقاليده ، وبالطبع فإن من الجلي أنه وحتى قبل إجراء أي استفتاء يكون قد أجاب بأنه يحب عشيرته ولغته . إن المواطن يتصرف لا بوصفه متمنياً لوطنه، وإنما كابن مخلص لعرقه ، ومن ثم فإن من المستحيل أن تنزع عنه مشاعر البناء هكذا ببساطة . على أن هذا المواطن لن يصوت لصالح المتطرف الذي سيقوم في المستقبل باستغلال حبه الطيب أو غير الطيب، والذي سيحول ارتباطه بعشيرته إلى عداوة نحو الغرباء .

إن على أمريكا ببساطة أن تفك في هذا العالم الذي تمتلك فيه مقومات كل هذه القدرة الجبارية . إن خبرة التعايش الإنساني تستذكر هذا العمل الذي اتضح أنه دموي والذي قضى على أرواح تفوق في عددها ما أزهقته الحرب الباردة بأسرها . سوف يخبرنا تاريخ أي شعب ما من دولة على كوكبنا تقريباً إلا وتأسست نتيجة للغزو. ترى هل يعني هذا أن البشرية لم تتعلم أن مفهوم الحضارة هو مصطلح موجود في الموسوعات لكن يقول لنا إن الدماء التي أريقت في القرون السابقة هي السبب في إراقة دماء جديدة اليوم ؟ لم يكن بمقدور أي شخص في أي وقت من الأوقات (ولن يكون بمقدوره) أن يحدد حجم الثمن الذي ينبغي على الغزاة دفعه جزاء ما اقترفوه من ظلم على مدى امتداد القرون الماضية .إن المساواة المدنية هي الثمن الحقيقي وليس على الإطلاق الحق في تدمير العالم العاطفي والفكري والثقافي والاقتصادي ، الذي سيتم بناءه مستقبلاً بدماء البناء والمدافعين وليس بدماء المجرمين التاريخيين . يقول تشرشل إذا دخلنا في صراع مع الماضي ، فإننا سنفقد المستقبل .

المستقبل: العولمة أم تقرير المصير

تراهن الولايات المتحدة الأمريكية على المستقبل ، وسوف تواجه كل الأطراف الرئيسية والمنظمات الدولية الموجودة على الساحة الدولية في القرن الحادى والعشرين، بدماء من الأمم المتحدة ضرورة تنظيم علاقاتها تجاه قوى العولم المركزى فى عالمنا المعاصر، وإذا لم يتم الآن العثور على القواعد الأساسية فى هذه العلاقات ، فلن تكون هناك حدود لرد الفعل النوى للانهيار العرقى . وتبعاً لرأى هانوم فإنه من الضرورى رفض التأكيدات القائلة بأن كل شعب مميز عن الشعب الآخر إما عرقياً أو ثقافياً، وأن الأمة أو الجماعة العرقية تمتلك تلقائياً الحق فى إقامة دولتها المستقلة، أو أن من المقبول فى حد ذاته إقامة دول منحدرة من أصول عرقية واحدة وحتى فى هذه الظروف التى يتم فيها الحفاظ على الحقوق المدنية، فإن النظام العالمى للدول القائمة على المبدأ العرقى بشكل أساسى أو على ادعاءات تاريخية لا يمكن تحقيقه بشكل محدد ^(١٨) . على أية حال فإن انعزال أى قومية إنما يعني سقوطها فى المحيط العرقى للأقليات العرقية الجديدة . ومن جديد سوف تستقر الأغلبية العرقية لتعيد صياغة معتقدها القديم: الحصول على حقها لا بفضل المساواة ، وإنما بفضل الانفصال . إن المجتمع الدولى لم يعترف إطلاقاً بما يسمى حق الانفصال باعتباره معياراً ما ، وحتى القانون الدولى لا يطابق الشروط التى يمكن بمقتضاها الدفاع عن هذا الحق مستقبلاً . على سبيل المثال، نجد أن شمال قبرص بصفته الجديدة ، سوف يستمر زمناً أطول مما لو عاش الأتراك واليونانيون فى مجتمع واحد، على أن المجتمع الدولى لم يعترف بعد بالدولة القائمة فى شمال قبرص، كما أنه يرفض الاعتراف بضم تيمور الشرقية إلى إندونيسيا، ولا يؤيد المغرب فى مطالبتها بالصحراء الغربية .

والآن يبدو لنا أن الذين ظلوا على مدى العقود الأخيرة ينادون بنهاية التاريخ ، وينتفذون بالعصر الذى تعتمد الدول فيه بعضها على بعض وعلى عولمة التطور الدولى وعلى الإنترت و C.N.N وعلى توحد العالم اقتصادياً وإعلامياً كانوا وأهمين . لقد اتضح أن التحديث السابق لأوانه للوعى أمر منقطع عن الواقع . ويختصر هذا الواقع

في أن العالم بعد أن وقف في مواجهة سيطرة مبدأ تقرير المصير القومي قد جعل من القرن الحادى والعشرين القرن الذى ستظهر فيه على الخارطة مائتى دولة أخرى، ومن ثم سوف تكون عملية تكون هذه الدول (وليس الإنترنط) هي محور وجود جيلنا وجيلين آخرين بعده .

إن جزءاً محدداً من المؤسسة الأمريكية قد بدا بالفعل في الاستعداد الجاد لمواجهة هذا المنعطف في تاريخ البشرية وقبول مرحلة تقرير المصير باعتبارها أمراً حتمياً. وحتى جريك فوللر الرئيس السابق للمجلس القومى لشئون الاستخبارات بوكاناله المخابرات المركزية لم تساوره أية شكوك بشأن المستقبل ؛ فقد أعلن أن النظام العالمي المعاصر للحدود الدولية القائمة دون وضع إلا أقل القليل من الاعتبارات للرغبات العرقية والثقافية للسكان الذين يعيشون في نطاقها، هو نظام عفا عليه الزمن. إن القوى الناهضة ذات النزعة القومية والراغبة في تأكيد هويتها الثقافية، قد استكملت استعدادها لنفرض ذاتها. أما الدول غير المؤهلة لتعريض ما وقع من ظلم في الماضي، وتحقيق آمال المستقبل فسوف يكون مصيرها الدمار ليست الدولة - الأمة الحديثة، وإنما الجماعة العرقية المحددة ذاتها هي التي ستصبح مادة البناء الأساسية للنظام العالمي المقبل . ويفترض فوللر أن عدد الدول الأعضاء في الأمم المتحدة سوف يتضاعف ثلاثة مرات خلال القرن، ولن يصبح بالإمكان وقف هذا التيار؛ فعلى الرغم من أن الدولة القومية هي دولة أقل استنارة - من حيث شكل التنظيم الاجتماعي ومن حيث وجهات النظر السياسية - الثقافية والاجتماعية والاقتصادية - من الدولة متعددة العرقيات فإن وجودها وسيطرتها هما أمران حتميان.

إن الأمريكيين الذين يفكرون في المستقبل يدركون أن تحويل نظرية العالم باتجاه سيادة نزعة المركزية العرقية لن ترحم أحداً . على سبيل المثال فإن وجهة النظر السائدة هي وجهة النظر التي تقول إنه بعد الانهيار المحتم للنظام الشيوعي في الصين لن يكون بمقدور بكين التمسك بسكان التبت والأيغور والمنغول في إطار دولة واحدة . وكذلك الهند بالنسبة لكشمير . وهذا فقط هو قمة جبل الجليد ؛ إذ إن كل الحدود الدولية الحديثة هي من الناحية العملية تعد حدوداً مصطنعة (بما في ذلك،

على سبيل المثال، تلك الحدود الأمريكية التي بدا بعد لينكولن أنها حدود راسخة ، وذلك باعتراف عدد من الأمريكيين أنفسهم) . وإذا لم تتوقف هيمنة مبدأ تقرير المصير القومي ، وكذلك إضفاء طابع الغزو الديمقراطي عليه ، فإنه يمكن التنبؤ ببساطة بمصير التاميل والمائى والفلسطينيين وغيرهم .

إن الدولة ذات السيادة هي الضحية الأولى للتحول العالمي الحادث ، فالدول التي نالت استقلالها حديثاً معرضة لأنهيار فوراً إذا ما اتجهت في الحقيقة نحو مبدأ سيطرة تقرير المصير القومي ، ومهما مالت هذه الدولة نحو العولمة باعتبارها منقذة لها ففي العولمة هناك حتماً الرابع والخاسر ، أما في وجود سيطرة فكرة تقرير المصير ، فإن هذه الفكرة سوف تسرع فقط من الانهيار باعتباره أسلوب الحياة الذي ستنتهجه البشرية في القرن الحادى والعشرين .

لم يضع المؤيدون لمبدأ تقرير المصير في حسابهم ما ينتظرون من خسائر تمثلت في زيادة البطالة وأنهيار الاقتصاد في المدن وإهمال البيئة واتخاذ الحياة ظهراً بدانياً وعدم ملاءمة اللغة الحكومية الجديدة لمعايير الحضارة التقنية المعاصرة وسقوط التكافل الاجتماعي وما إلى ذلك من خسائر. لعل أكثر ما يثير الحزن هو أن نهاية هذه العملية لا تبدو قريبة حتى الآن. يتساءل الخبر الأمريكي قائلاً: لقد حصلت جورجيا الصغيرة على استقلالها من موسكو، وسرعان ما يطالب الجزء الشمالي الغربي منها، ونعني به أبخازيا بالاستقلال. ترى من الذي يمكنه أن يضمن إلا يطالب شمال أنجازيا المسلم بالاستقلال عن جنوب أنجازيا المسيحي ؟ (٢٠) . وماذا عن إسكيمو الشمال في كوبك ؟ إن مبدأ تقرير المصير إذا ما أخذ باعتباره هو الأساس، فلن يكون هناك عندئذ أى إجماع بشأن من نعطي ومن لا نعطي صفة الدولة. يقول الأمريكيون ذاتهم إن الرئيس الأمريكي كلينتون لن يرسل الجيش إلى كاليفورنيا ، أما لينكولن فقد عاش في زمن ساد فيه مبدأ آخر. وإلى جانب ما سبق فالدولة الآن، في ظروف وجود كل هذه التكنولوجيا الجبارة والمتطرفة، عرضة للسقوط، وخاصة إذا ما تجاوزت قوة الأقلية المشبعة بروح الاعتداء المعيار الإنساني . ولو أن الحكومة المركزية ذاتها اعترفت بسيطرة مبدأ تقرير المصير القومي ، فسوف يكون من العسير عليها العثور

على جنرال آخر مثل شيرمان ، وحتى إذا ما وجدته فإنه لن يحرق أطلاتنا ، لأنه سيكون فقد الأهلية منذ اللحظة الأولى .

على أن قطاعا من الخبراء الأمريكيين يدعون الدول الكبرى بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية (التي تميل إلى البحث عن الاستقرار في أي شكل من أشكاله، حيث إن هذا الاستقرار يكفل الدفاع عن الوضع الراهن المفيد) إلى التوصل لإدراكحقيقة أن العدود الدولية سوف تتغير عندما تغيرا جذريا^(٢١)؛ فهل من المتعدد إعادة الأمر إلى نصابه ؟ إن على الولايات المتحدة الأمريكية اتخاذ قرار صعب ، ولكنه ضروري : فإذا العودة إلى الوحدة الإقليمية للدولة المستندة إلى منظمة الأمم المتحدة ، وعلى وحدة الأعضاء الخمسة الدائمين في مجلس الأمن التابع لهذه المنظمة وأما تقرير المصير القومي .

إن الإستراتيجية الأمريكية في القرن الحادى والعشرين تقف أمام الخيار . إن هذه الإستراتيجية (وفق تعريف ستيفان بلانك البروفيسور بالكلية العسكرية الأمريكية) تبذل محاولات لإزاحة معضلة الاختيار الصعبة بين الوحدة الإقليمية للدولة وتقرير المصير جانبا^(٢٢) .

مراجع الفصل السابع

- 1- أرشيف العقيد هاوس . موسكو ، ١٩٣٩ . المجلد الثالث من ٢٣٦ .
(ابن دادماندل هاوس (١٨٥٨ - ١٩٣٨) مستشار الرئيس الأمريكي ريلسون شارك في إعداد النقاط الأربع عشرة ومقررات تأسيس عصبة الأمم (المترجم)
- 2-Harriman A.and Abel Special Envoy to Churchill and Stalin. 1941-1946.
N.Y.,1975.p.175.
- 3-Gow J. Shared Sovereignty , Enhanced Security : Lesson from the Yugoslav War /
S. Hashmi (ed.). State Sovereignty: Change and Persistence In International Rela-
tions . Pennsylvania University Park. 1997 .P.159-166.
- 4-Barker j. The Politics of Diplomacy . War and Peace , 1989-
1992.N.Y.,1995.P.482-483.
- 5-Hodge C. Botching the Balkans : Germany's Recognition of Slovenia and Croatia /
/ Ethics of International Relations. Summer 1998 .P. 14.
- 6-Woodward S.Balkan Tragedy : Chaos and Dissolution after the Cold
War.Washington,1995.P.147.
- 7-Hodg C. Op.cit.189.
- 8-Woodward S.op.cit.P.189.
- 9-Hannum H. The Specter of Secession. Responding to Claims for Ethnic Self-
Determination // Foreign Affairs. March-April 1998.P.13.
- 10-Hodge C.Op.cit.P.13
- 11-Bunchheit L. Secession : The Legitimacy of Self - Determination . New Hawen,
1978, P.222.
- 12-Crawford B. Explaining Defection from International Cooperation : Germany's
Unilateral Recognition of Croatia // World Politics . July 1996.P.482-521.
- 13-Fuller G.Redrawing the World Borders //World Policy Journal. Spring 1997 .P. 11
- 14-World Policy Journal . Spring 1997.P.16.

- 15-Popper k. *The Open Society and Its Enemies* . Princeton, 1963. Vol. 2. P 49.
- 16-Cobban A. *The Nation State and National Self - Determination*. N.Y., 1970.P.280.
- 17-Smith A. *The Ethnic Origins of Nations*. Oxford , 1986. P.219.
- 18-Ibid . P. 16.
- 19-*World Policy Journal* . Summer 1998 . P. 30.
- 20-Fuller G. *Op. cit.* p. 17
- 21- Ibid . P. 19.
- 22-Blank S. *Draft and Mastery // European Security*. Autumn 1997. P.3.

الفصل الثامن

شكوك الدولة العظمى

لكى تحافظ الولايات المتحدة الأمريكية فى القرن الحادى والعشرين على موقع الزعامة فى المنظومة العالمية يجب عليها التضحية بمواطنيها الأمريكيين والاستعداد لدفع الضرائب وإرسال أبنائهما فيما وراء المحيطات ؟ فهل أمريكا مستعدة لتقديم مثل هذه التضحيات التى لا مفر منها ؟ مع نهاية الحرب الباردة بدأ هذا الاستعداد يفتر أكثر فأكثر، وقد أجرت مجلة تايم الأمريكية دراسة عام ١٩٩١ أثبتت أن ٧٦ % من الشعب الأمريكي يعارض قيام أمريكي بدور شرطى العالم. فيما أثبت استطلاع رأى آخر أجرى مجلس العلاقات الدولية فى شيكاغو وجود رغبة شديدة عند غالبية الشعب الأمريكي فى تقليص الوجود العسكري الأمريكي خارج الولايات المتحدة^(١).

مذهب الانعزالية الجديد

إذا كان أحد لم يشك فى الماضى فى صواب السياسة الخارجية النشطة فإنه وعلى اعتاب القرن الحادى والعشرين أصبح من الواضح أن الدولة الأمريكية تهتم أكثر بقضاياها الداخلية ؛ فقد شهدت الانتخابات التكميلية لاختيار عضو مجلس الشيوخ عن ولاية بنسلفانيا لعام ١٩٩١ قيام الديمقراطي هـ - ووفورد بعد فوزه على منافسه الجمهورى الذى غلت القضايا الخارجية على الداخلية فى برنامجه برفع شعار «دعونا نفك فى أنفسنا قبل كل شيء». وأنذاك كتب ووفورد في مجلة «فورين بوليسي»، أن العالم يهمه بالدرجة الأولى أن تقوم الولايات المتحدة بحل قضاياها الداخلية^(٢) ، هذا التطور داخل الديمقراطية كان له آثار كبيرة ؛ فقد قام كل من رشح منهم لمنصب رئيس الولايات المتحدة الأمريكية بعد ذلك برفع شعارات الانعزالية الجديدة فى حين اعتبر النواب ت . هاركين و ر. كيرى ومحافظ فيرجينيا تغيير أسبقية السياسة الخارجية أساسا لحملتهم الانتخابية فى عام ١٩٩٢ .

وكان ب . بيوكيينين أكثر من رفع شعار الانعزالية الجديدة داخل حزب الجمهوريين المنافس ؛ فهو يرى أن المهاجرين يهددون الوحدة الثقافية والمصالح

الاقتصادية لأمريكا ، كما أن المنافسة من جانب المهاجرين على الوظائف تولد مشكلة البطالة ، علاوة على ذلك فإن المساعدات الاقتصادية التي تقدمها الولايات المتحدة للدول الأجنبية والمؤسسات الدولية تشكل عبئاً على موارد الدولة . ويقوم حلفاء أمريكا بإرغامها على القيام بسياسات ضد مصالحها الخاصة ، والإجراءات الواجب اتخاذها تتتمثل في توفير الحماية الاقتصادية ورفض تقديم مساعدات خارجية وفرض قيود شديدة على الهجرة والعمل على تحجيمها ، كما يجب استخدام القوات المسلحة الأمريكية فقط في الأماكن التي تتعرض المصالح الأمريكية فيها للخطر . لا يوجد معنى لإنشاء أي نظام عالمي جديد ؛ حيث إن هذا سيكون إجراء مكلف للغاية وفاشل حتى في ظل التفوق الأمريكي الساحق على الساحة العالمية ، كما أنه سيستقطب الموارد الوطنية المهمة .

إن «ثورة الانعزal» التي يقودها بـ . بيوكينين هزت بشدة حزب الجمهوريين ؛ حيث أظهرت قوة هذا الاتجاه داخل الطبقة الحاكمة في الولايات المتحدة . إن بيوكينين الذي كتب في السابق خطابات الرؤساء نيكسون وريغان توجه بنداء ودعوة لإعادة القوات الأمريكية من قواعدها خارج أمريكا ورفض المشاركة في أي عمل عسكري خارج حدود الوطن ووقف أي مساعدات خارجية وعدم تقديم أي معونات مالية لصندوق النقد الدولي والبنك الدولي والتعامل مع اليابان وأوروبا باعتبارهما خونة وتركيز الاهتمام على مصلحة أمريكا فقط . وحتى السيد و . هايلز المعروف باعتداله يعترف بأن حملة بـ . بيوكينين لم تكن مزاحاً ، وأن هذا الرجل قد لمس أوتاراً حساسة عند كثير من الأمريكيين ^(٢) .

ويصف السيد د . رونكوف الأستاذ بجامعة كولومبيا الموقف قائلاً : لقد تجمع كل من ليمينيين واليساريين في كل من الحزبين السياسيين الرئيسيين في حلف واحد يدعو إلى الانعزal ، هذا التحالف أعاد بشكل كبير الاتجاه السياسي الذي استمر لنحو ستين عاماً ، والذي يهدف لتوسيع نطاق التجارة الحرة ، وأصبح هذا التحالف يركز أكثر على التغلب على التهديدات أكثر من تحقيق آمال من خلال إقامة علاقات مع دولة هامة مثل الصين أو غيرها من الأسواق المحورية الأخرى . وهذا التحالف وضع

نصب عينه استغلال كل الامكانيات المتاحة للانسحاب من المشاكل العالمية ووقف استغلال الإمكانيات الأمريكية لفرض زعامة مؤثرة ، وهناك خطر جاد يتعلّق بعدم قدرة أمريكا مستقبلاً على مواجهة هذا التحدى بالشكل المناسب^(٤).

وإبان الانتخابات الأمريكية التي أجريت عام ١٩٩٢ كانت النجاحات في السياسة الخارجية التي حققها چورچ بوش تمثل نقطة ضعف بالنسبة له وليس ورقة رابحة. وانتشرت في هذه الفترة -وشكل واسع - شعارات راديكالية مثل «السياسة الأمريكية يجب أن تسير وفقاً لمصالحها الوطنية الخاصة»،^(٥) واكتشف الرئيس چورج بوش هذا الاتجاه في المرحلة الأخيرة فقط من حملته الانتخابية؛ فقام بإلغاء زيارته لآسيا بسرعة ، وأصبح فجأة يتحدث عن توفير وظائف جديدة وحول الميزانية وتوقف عن المطالبة بمساعدة روسيا.

وقد حاز روس بيرو الذي انقسم الجمهوريون حوله على تأييد واسع وسط الأمريكيين الفقراء الذين لم يرضوا عن سياسة قادتهم الأمريكية ، وذلك بفضل سياساته نحو الانعزالية الجديدة (حيث دعا لمقاطعة حتى منظمة التجارة الحرة لدول شمال أمريكا) وقد قام الرئيس المنتصر بيل كلينتون بتكرير خطاب انتخابي واحد فقط للحديث عن السياسة الخارجية. وكان شعاره الرئيسي ، والذي لقى انتشاراً هو «السر يمكن في تحسين الاقتصاد» ، واقتراح كلينتون تقليص الاعتمادات المقررة لتحقيق أهداف سياسة خارجية ، كما قلص الكونجرس هذه الاعتمادات أيضاً مما أعطى هذا القرار تأييداً شعبياً واسعاً. وقد اجرى مجلس العلاقات الدولية في شيكاغو استطلاعاً للرأي في فبراير ١٩٩٥ بين السكان حول أهم ثلاثة قضايا تشغّل السياسة الخارجية الأمريكية. وكان جواب الكثيرين منهم يبعث على الصدمة: التدخل الزائد عن الحد في شؤون الدول الأخرى ، الإسراف في تقديم مساعدات خارجية ، والهجرة غير الشرعية بينما أثبت استجواب جيل لاب أن مشكلة تقليص المساعدات الخارجية تمثل المكانة الرئيسية. وأصبحت أمريكا بشكل واضح تبتعد عن القضايا الخارجية كما ابتعدت الطبقة العليا المثقفة في أمريكا أيضاً عن مبدأ الأهمية والاهتمام بالقضايا الدولية. ومن بين أهم المفكرين الذين عارضوا فكرة تورط أمريكا في شؤون دول

أخرى يمكن أن نذكر الاقتصادي لـ تورو من معهد ماساشوستس للتكنولوجيا والاقتصادي أر . هيلبرونر والرئيس السابق للوقد التجارى الأمريكى فى المحادثات الدولية ك . بريستوفيتيس . إن هؤلاء على وجه التحديد شكلوا فى الولايات المتحدة ما يمكن تسميته بحركة «القومية الجديدة» .

هذه الحركة تتمتع بدعم فكري قوى وتعمل على تفسيره ونشره معاهد بحثية بأكملها ، كما تؤيده وتدعمه قطاعات صناعية عانت من المنافسة الأجنبية مثل صناعة الحديد والصلب الأمريكية وصناعة السيارات والغاز والنسيج ، كما تقف خلفها نقابات أمريكية على مستوى تنظيمي عال وكذلك مناهضو الهجرة وأعضاء منظمات حماية البيئة .

ويخشى جزء من رجال الأعمال الكبار المنافسة الأجنبية كما تخشى النقابات فقدان الوظائف في حين يعتقد أعضاء منظمات البيئة أن فتح البلاد أمام الأجانب من شأنه أن يضر بالبيئة المحيطة .

إن الإجراءات التي اتخذتها الحكومة مثل إنهاء «جولة مباحثات أورجواي»، في إطار اتفاقية الجات والاتفاق مع المكسيك وكندا حول منطقة التجارة الحرة (نافتا) وعدم القدرة على إيقاف تيار بضائع جنوب شرق آسيا كل هذا يولد دافعا قويا للابتعاد والتوقف عن السياسة السابقة بالاندماج الواسع في العالم الخارجي . ويعتقد د. جوردون الاقتصادي أن النصيحة التي قدمها الخبير جيمس كينز لبريطانيا في الثلaities هي الأنسب بالنسبة لأمريكا حالياً، وهذه النصيحة تتمثل في تحقيق الاكتفاء الذاتي «عليينا أن نبدأ العمل على تحويل أمريكا إلى اقتصاد عملاق مستقل عن العالم ، ويجب أن نجد شكلًا من الاكتفاء الذاتي لسنا منظرين للسعى وراء الزعامة» . ويؤكد أ. تونيلسون نفس هذا الرأي قائلاً بأن الاستقرار السياسي العالمي يمكن تحقيقه «فقط في عالم شبيه بعالم القرن التاسع عشر لا تتفق فيه أمريكا عسكرياً للحفاظ على أمن حلفائها ، الأمر الذي يؤدي إلى إضعافها» .

إن مؤسسى نظرية الانعزالية الجديدة والمعبرين عنها ينطلقون من مقدمات أساسية متباعدة بشدة . أول هذه المقدمات : يتمثل في الاعتراف بالأهمية القصوى لحالة

الاقتصاد الأمريكي. مشكلات التضخم المطرد وتقلص الموارد المادية للولايات المتحدة الأمريكية. ويعتقد أنصار سياسة الانعزالية الجديدة أنه «في الوقت الذي تتبع فيه ألمانيا سياسة صناعية تعتمد على أوروبا الأكثر توحداً وتكاملاً، وتحدد فيه أوروبا مع آسيا فإن الولايات المتحدة تتوجه نحو الانهيار حيث لا تملك إستراتيجية اقتصادية محددة وتقودها رؤى جيوبوليتيكية عفا عليها الزمان»^(١).

وقد عبر السيد بـ. تارنوف مساعد وزير الخارجية الأمريكي أثناء حكم كلينتون عن نفس الموارد بهذه الكلمات، لم يعد لدينا ببساطه ذراع اليمين أو الفوز الكافي وليس لدينا في الوقت الحالي توجه لاستخدام القوات المسلحة؛ إذ لم نعد نملك الموارد اللازمة لذلك،^(٢). وقد عبر السيد و. هايلند عن نفس الفكرة بقوله «إن موارد أمريكا لا تتناسب مطلباً دعم مواقفها الاستثنائية التي اتخذتها في فترة ما بعد الحرب».

وقد توصل صندوق كارنيجي ، والذى استشهد بتوجيههالأممى الواضح إلى نتيجة مفادها أن «الهدف الأول للولايات المتحدة يجب أن يكون دعم الوضع الاقتصادي الداخلى الذى تأثر بشكل سلبى نتيجة النشاط الخارجى الطارئ»^(٣) . إن أمريكا يجب أن تعوض سنوات نقص الاستثمارات فى القطاع الاقتصادى ، ويشهد أسلوب التفكير لدى الأمريكين نمواً في هذا التوجه ، وتصور أن وضع أمريكا على الساحة العالمية يتوقف في النهاية على قوة اقتصادها الوطنى و «نمو عضلاته»، وعلى درجة رضاء الأمريكيين عن الحالة الداخلية في البلاد ، وعندئذ فقط سيكون الشعب الأمريكي مستعداً للتصدي من أجل الدفاع عن مكانة وصورة أمريكا في الخارج . ويعتقد د. كاليو مدير مركز الأبحاث الأوروبية التابع لجامعة جونز هووكينز أنه حتى في حالة المقارنة مع دول أوروبا الغربية فإن «الولايات المتحدة لا تملك لا الدوافع ولا الموارد ولا الاهتمام الضروري للعب دور الزعامة في العقد القادم»^(٤) . إن خمسة تريليونات من الدولارات هي حجم الدين الوطنى تمثل عائق قوى أمام أي نشاط أمريكي في العالم الخارجي . فهل أصبح ضرورياً بالنسبة لأمريكا اعتماد ميزانية عسكرية سنوية تفوق الميزانية العسكرية للدول الست العظمى التي تليها؟ إن الولايات المتحدة تتفق

على احتياجاتها العسكرية ما نسبته ٣٧٪ من حجم الإنفاق العسكري العالمي (طبقاً لبيانات معهد لندن للدراسات الإستراتيجية). ويبلغ حجم الإنفاق العسكري لحلفاء أمريكا (الناتو واليابان وإسرائيل وكوريا الجنوبية) حوالي ٣٠٪ من حجم الإنفاق العسكري العالمي ، فيما ينفق أعداء أمريكا (الرسميون) مثل إيران والعراق وسوريا وكوريا الشمالية وكوبا حوالي ١٥ مليار دولار ؛ فهل هناك أى مبرر لأمريكا للقلق من خطر مت남 ؟

ويعتقد الأكاديميون أمثال ج. بينين عميد مدرسة القضايا الدولية العليا ، والتي تحمل اسم ودرا ويلسن والتابعة لجامعة برينستون أن أمريكا يجب عليها قبل أى شيء أن تنظم بيتها من الداخل أولاً . وقد لخص الرئيس بوش وجهة النظر هذه كما يلى: إن ما تملكه أمريكا من الإرادة يفوق ما تملكه من المال^(١٠).

وثاني هذه المقدمات ازدياد نفوذ تيار الانعزالية الجديدة يتمثل في تصور العدوانية الشديدة والمعنوية في العالم الخارجي تجاه أمريكا وعدم جدوا التنازلات الأمريكية التي تقدمها لمنافسيها غير الرحمة عبر المحيط . وقد استطاعت أمريكا خلال فترة المباحثات في إطار اتفاقية الجات ، والتي أجريت منذ ١٩٤٧ وحتى الآن أن تحصل من شركائها على تنازلات بلغت حوالي ١١٩٠ مليار دولار في حين قدمت هي نفسها تنازلات قدرها ١٧٧٠ مليار دولار^(١١). وخلال الفترة من انتهاء جولة كيدى ١٩٦٨ وحتى ١٩٩٢ خسرت الولايات المتحدة آلاف الوظائف بسبب المنافسة الخارجية^(١٢) . كما أثرت فترة تورطها عالمياً بشكل سلبي على العمال الأمريكيين ؛ ففي ١٩٩١ بلغت قيمة ما حصل عليه العمال الأمريكيان أقل بـ ٢٠٪ مما حصلوا عليه عام ١٩٩٢ كما خسرت صناعة المنسوجات حوالي ٦٠٠ ألف وظيفة وصناعة السيارات نصف مليون وظيفة^(١٣).

ويصف السيد ك. بريستوفيتس رئيس معهد الإستراتيجية الاقتصادية الموقف قائلاً بينما كان انتهاء الحرب الباردة يبشر ببداية عهد جديد فقد بدأ الأمريكان يتفهمون ما تمكن اليابانيون والأوريبيون من فهمه منذ وقت بعيد: إن الاقتصاد يمثل

المفتاح لحل كل المشاكل العالمية^(١٤). واكتشف الأميركيون حقيقة أن هناك أشكالاً كثيرة من الرأسمالية يملك كل شكل منها جذور عميقة في المنافسة مع الآخرين . إن المبدأ الرئيسي للقوميين الجدد: «أن إدارة حرب تجارية سيحل في المستقبل محل إدارة العرب التقليدية». السبب الرئيسي واحد هو أن التفوق العام في إنتاجية العمل بالمقارنة مع الدول المنافسة الكبرى سينقص وينهار بسبب قدم المعدات وارتفاع القيمة النسبية لعوامل الإنتاج المرتبطة بارتفاع قيمة الاقتصادية للمنظومة العسكرية والسياسية، الأمر الذي يؤدي إلى ارتفاع الرسوم الضريبية».

وثالث تلك المقدمات يتمثل في ضعف الإرادة الوطنية . يشير أ. واليرستين إلى حالة التوتر الزائد التي تسسيطر على أمريكا إمبراطورية العالم وهو نفس الشيء تقريباً الذي أصاب فينيسيا في عام ١٥٠٠ وهولندا في عام ١٦٦٠ وبريطانيا عام ١٨٧٣ وكذلك أمريكا عام ١٩٦٧ . ويتحدث د. كيندي عن الصعوبات التي تعانى منها المجتمعات الجديدة بسبب النفقات العسكرية الباهظة ، وهو الأمر الذي يعيق ميلاد أحداث تشبه تلك التي كان لها تأثير قوى على ألمانيا هتلر وإسبانيا فيليب الثاني وروسيا نيقولاى الثانى^(١٥) ، ويصل كيندي إلى نتيجة مفادها أن تركيز أمريكا الزائد عن العد على السياسة الخارجية يجب أن يتم تقليله والحد منه ، ويتحدث أو. هاريس عن العادة الأمريكية غير الصحية ، والتي دمرت الإرادة الوطنية وأضعفتها في النهاية ، وهي العادة التي اكتسبها المجتمع الأميركي إيان العرب الباردة ، والتي تتمثل في السعي للهيمنة المطلقة والسيطرة في ظل عدم استشارة الآخرين ثم بعد ذلك الشكوى من أن الآخرين لا يقاومون أميركا مشاكل العالم وأعبائه. ويصر البينج وأولسن - وهما من كبار المتخصصين في العلوم السياسية - على ضرورة الخروج والتخلص من الخطر الغير مأمول. فالدول العظمى مثلها مثل أبطال رفع الأثقال في منافساتهم في حاجة إلى الاختيار الحكيم للثقل والإمكانيات - حتى يجاروا المنافس ويحتلون الزعامة وحتى يتوقفوا عن ذلك ويكتفوا بمحاجته،^(١٦).

ولعل من أسباب ضعف تعبئة الإرادة قلة الاهتمام بما يحدث في العالم الخارجي. فالأمericيون قد ولوا وجوههم عن الأحداث المتلاحمة التي تحدث فيما وراء البحار وهو

ما تؤكده الإحصائيات التي قامت بها ثلاثة من كبريات الشبكات التليفزيونية الأمريكية (انظر الجدول) حيث تم تقليص الوقت المخصص للأخبار الدولية في وسائل الإعلام الأمريكية إلى النصف في الفترة من ١٩٦٦-١٩٨٨.

تحقيقات خارجية			السنة
ان. بي. سى	سى. بي. إس	اي. بي. سى	
١٠١٣	١٠٩٠	١١٥٨	١٩٨٨
٧٤٩	٧٣٦	١٠٣٧	١٩٩٢
٣٢٧	٦٩٢	٥٧٧	١٩٩٦

أضواء على السياسة الخارجية			السنة
ان. بي. سى	سى. بي. إس	اي. بي. سى	
٦٧٤	٧١٣	٥٩٧	١٩٨٨
٦٧٤	٧١٣	٥٩٧	١٩٩٢
٣٢٠	٤٤٦	٣٤٣	١٩٩٦

المصدر: مجلة الشؤون الخارجية، مارس - أبريل ١٩٩٧ ص ٥

ويصل السيد ش. أو. ينس الذي تولى رئاسة تحرير مجلة «فورين بوليسي» لسنوات طويلة إلى نتيجة محددة، وذلك من خلال قراءته لما يقرب من ستة آلاف بحث ومقالة في السياسة الخارجية. وتتمثل النتيجة التي وصل إليها إلى أن على المستوى الدولي سيصبح الأميركيون أكثر عداءً كلما مر الوقت لفكرة أنهم يتحملون ولو قدر بسيط من المسئولية في دعم ومساعدة من هم أقل حظاً منهم. إن الدعم الأميركي

للبرامج الرسمية للمساعدات التنموية يقل ويقترب باستمرار ، وستكون الولايات المتحدة في القريب العاجل على رأس الدول المتقدمة التي تقاس نصيب ونسبة هذه المساعدات في ميزانيتها. إن هناك مناطق إقليمية بأكملها يتم تجاهلها من جانب الولايات المتحدة^(١٧).

ورابع هذه المقدمات : يتمثل في تغيير مفهوم المصلحة الوطنية في حد ذاته؛ حيث يتحدث هنري كيسنجر عن طرح جديد لهذا المفهوم ويصف المصلحة الوطنية بأنها المقدرة على انتقاء الأهداف وتجاوز أي عقبات تحول دون تحقيقها ، وهي مصلحة تقوم على استخدام أسلوب أكثر عقلانية في التعامل مع القضايا^(١٨). ويشير السيد د . كريستول الباحث البارز في مجلس السياسة الخارجية الأمريكية معتبراً عن هذه البراجماتية الجديدة قائلاً «إن علاقاتنا مع الدول والأمم الأخرى سيتم إدارتها بشكل أكثر بساطة وبطريقة الواحد تلو الآخر والتعامل بشكل منفصل مع كل قضية أو مشكلة»^(١٩).

إن الشعور بعدم جدوى صياغة الأمر نكر استراتيجي عالمي طويل الأمد يسيطر على المواطن الأمريكي في الوقت الحالي. ويعارض السيد ب. بيوكينين صياغة سياسة تعتمد على تدخل أمريكي دائم ولا نهائي في المنازعات والشعوب في مناطق لا تتعرض فيها المصالح الأمريكية الحيوية للتهديد المباشر،^(٢٠).

ويؤكد ش. أو. مينس على أولوية الاهتمام المتزايد بالمصالح الوطنية حيث كان آخر الأمثلة التي مارست فيها الولايات المتحدة دور القيادة وتصرفت كزعيمة للعالم هي الفرات التي شهدت افتراح منفرد من الولايات المتحدة لضم أعضاء جدد للذانو وفرض عقوبات منفردة تجاه إيران وكوبا ، وكذلك الحملة المضادة ضد إعادة ترشيح بطرس غالى لمنصب أمين عام الأمم المتحدة^(٢١). وتعتقد مجلة «فورين أفيرس» أن تحمل الأعباء والمسؤوليات الجسيمة أصبحت غير مبررة على الإطلاق. في حين أن صياغة نظام لتوزيع الأعباء والمسؤوليات يعد تحديا خطيرا للسياسة الخارجية الأمريكية^(٢٢).

ويصر كل من أو. هاريس و م. ليند على أن «الوسيلة الأفضل لحماية المصالح الأساسية طويلة الأمد للدول العظمى تتمثل في وجود نظام عالمي لا تسعى فيه دولة عظمى أو تحالف مجموعة من الدول لتأكيد هيمنتها وسيطرتها»^(٢٣).

ويرى العديد من الباحثين في هيئة الأمم المتحدة أن التنظيم الجماعي هو الحل الأفضل في عالم يشهد انحسار الامكانيات الأمريكية. وقد أعلنت اللجنة الوطنية التابعة لصندوق «كارينجي»، أن «أى دور مقبول للولايات المتحدة في العالم يجب أن يتأسس على عودة المساهمات المالية الأمريكية إلى حصينة الأمم المتحدة... يجب علينا أن ننصح بقدر من سيادتنا التي حافظنا عليها على مدى التاريخ بكل قوّة»^(٢٤)، ونصحت جريدة نيويورك تايمز الرئيس الأمريكي كلينتون بتحرير أمريكا من الدور غالى الثمن الذي تلعبه وهو دور الشرطى ، وذلك عن طريق تحويل الأمم المتحدة إلى أداة فعالة وأمّولة لتحقيق الأمن الجماعي^(٢٥) ، وأن على أمريكا في القرن العادى والعشرين أن تتخلى عن أهدافها العسكرية وأهمها الانتصار في حربين كبيرتين في وقت واحد. فطبقاً للاستفتاءات الحالية التي تجري (ولنقل في مجلس شيكاغو للشئون الخارجية) فإن ٤٨ % من الأمريكيين يعارضون إرسال القوات الأمريكية في حالة اندلاع أي نزاع بين الكوريتين . ويعتقد أغلبية الشعب الأمريكي أن أمريكا كان لزاماً عليها العمل على توسيع حلف الناتو وبناء كوردون وقائي حول روسيا في ظل ظهور أغراض انتقامية روسية واضحة ، وقد حذر السناتور الأمريكي كليبورن بيل (ومثله كثيرون) من بناء خطوط فاصلة جديدة في أوروبا. إن الإسراع بتوسيع الناتو في هذه الفترة الغامضة والمفاجئة في تاريخ روسيا من شأنه أن يضمننا في الموقف الأسوأ من نوعه^(٢٦) .

سيشهد القرن العادى والعشرين ضرورة تشكيل صياغة جديدة للسلوك الدولى بما يتناسب مع العصر الصناعى الجديد. وستلعب التجارة والاستثمار الدور الأهم بينما يأتي دور الجيوش في المؤخرة ، كما يجب إعادة هيكلة عمل جهاز المخابرات الأمريكية ووزارة الدفاع الأمريكية بحيث تنفصل الإدارات الاقتصادية لتصبح منظمات مستقلة تدعم بشكل جاد الاقتصاد الأمريكي. يجب أن يتم تغيير هيكل

الخبراء فلم يعد هناك أهمية لوجود خبراء في شئون الاتحاد السوفيتي السابق في حين هناك حاجة ماسة لخبراء متخصصين في شئون الصين واليابان وأوروبا الغربية.

وبحسب استطلاع للرأي لمجلس شئون المنافسة تبين أن ٩٠٪ من الأميركيين يعتقدون أن سبب فشل الأداء السياسي الأميركي الخارجي هو أن أمريكا تركز جهودها في دعم دول أخرى وليس فيما تحتاج إليه أمريكا نفسها^(٢٧).

إن الاتجاه القومي الجديد الذي يتحلى بشئ من النزعة الانفصالية يقوى تدريجيا في كلا المعسكرين. وظهرت بدبيهات جديدة فمثلا الدولار الذي ينفق خارج الولايات المتحدة هو دولار مهدور ، والوقت الذي أنفقه الرئيس الأميركي مثلا في تسوية مشكلة الشرق الأوسط أو إعادة تنظيم الناتو هو وقت لم ينفق على تحسين نظام التعليم والصحة داخل أمريكا. ومن هنا توصل البعض إلى ضرورة أن تتوجه أمريكا القرن الحادى والعشرين إلى مشاكلها الداخلية ودعم اقتصادها الوطنى .

إن دبلوماسية ريجان وبوش الأمريكية والتي عفا عليها الزمن لم تفصل بين مصالح الوطن ومصالح الآخرين ، ومهمة كلينتون ومن يأتى بعده رئيسا للولايات المتحدة خلال القرن الحالى تتمثل فى تقليص المسؤولية الأمريكية إلى الحد الأدنى . وليرتحملها من يشعر بمخاوف حقيقة وجادة جراء حروب أو صراعات محيطه . إن اهتمام أمريكا بشئونها الداخلية سيعود بالتفع على أمريكا أكثر من أى شيء آخر . ونقل الأولوية فى الاهتمام إلى التطوير والتنمية الداخلية يمثل المخرج الوحيد والأفضل لنا وللعالم بشكل عام،^(٢٨) . ويعتقد الكثيرون من أنصار الانعزالية الجديدة، أن التاريخ قد منح أمريكا مهلة من ١٥-١٠ سنة فقط لتنظيم البيت الداخل. ويؤكد رئيس تحرير مجلة «فورين آفيرز»، أو. هايلند أن «هناك حاجة إلى عشر سنوات من بذل الجهود الدعوية من قبل الكونجرس ورئيس الدولة لكي تتخلص أمريكا من روابطها مع العالم الخارجي وتصل بها إلى الدرجة من الانعزالية التي كانت عليها في الثلاثينيات من القرن العشرين»^(٢٩) .

وهكذا تبدو السياسة الأمريكية في القرن الجديد حسبما يراها مؤيدو الانعزالية الجديدة .

إمكانات أصحاب نزعة التدخل

ما لا شك فيه أن الولايات المتحدة الأمريكية تهيمن على الاقتصاد العالمي، وتمثل فترة التسعينيات الفترة الأفضل في الاقتصاد الأمريكي ، كما تهيمن أيضاً في مجال نشر المعلومات.

وقد تضاعف عدد العمال والدارسين والسائرين الأمريكيين بشكل كبير في الفترة الأخيرة . ويسيطر الإعلام الأمريكي والموسيقى الأمريكية وبرامج الكمبيوتر والكتب وأفلام السينما والإصدارات المطبوعة على مستوى العالم أجمع حيث تنتج أمريكا ما يزيد على ٧٥٪ من الإنتاج العالمي لبرامج الكمبيوتر سنوياً و ٦٠٪ من الإنتاج الموسيقي ، ٣٢٪ من إصدارات الكتب . وكما يؤكد السيد د. روتكيوف فإن الولايات المتحدة الأمريكية تملك كل الامكانيات التي تزهلها لزعامة العالم إعلامياً وفي مجال نشر المعلومات في القرن الجديد (٣٠).

ويمثل حجم التبادل التجارى بين أمريكا والعالم الخارجى ٢٥٪ من إجمالي الناتج القومى السنوى لأمريكا وستزداد هذه النسبة في المستقبل . وبفضل الأقمار الصناعية والكمبيوتر أصبح من السهل التواصل مع أماكن متباعدة من الكون ، ولن يشهد القرن الجديد حلولاً قومية لمشاكل عالمية من قبيل الإرهاب وتجارة المخدرات والإيدز وارتفاع درجة حرارة الأرض . بل سيكون للعمل الجماعي بين الأمم على حل هذه المشكلات تأثيراً قوياً كما وكيفاً . إن غياب زعامة الدول العظمى - حسب رأى ج. هاى - سيقلل من قدرة الدول على التعامل مع هذه القضايا المشتركة ، ومن المتوقع أن تسود العالم فوضى سياسية بشكل سريع وتؤثر بالسلب على أداء الدول في حالة قيام أمريكا بتنقيص جهودها للحفاظ على زعامتها العالمية . إن أمريكا يمكنها أن تنفق على شؤونها الداخلية الاجتماعية كما يمكنها أيضاً أن تنفق خارجياً للحفاظ على الأمن الدولي . والرأي الذي يقول إننا لا نستطيع تحمل كل هذا الإنفاق هو رأي كاذب؛ حيث إن الضرائب في أمريكا تمثل نسبة ضئيلة من حجم الناتج الإجمالي القومي وأقل بكثير من نظيرتها في دول منظمة التعاون الاقتصادي والاجتماعي، (٣١).

ويمكن لأمريكا أن تطرق أبواب وتسير في اتجاهات يصعب على غيرها أن يحدوها حذوها فمثلا يمكنها استغلال المحيطات والفضاء الخارجي بشكل أفضل وأشمل. فأمريكا فقط لديها الامكانيات والتكنولوجيا الازمة لإنعام هذه الخطط في القرن الجديد.

والسؤال : ما الدور الجديد الذي يجب على أمريكا أن تلعبه في الفترة القادمة؟ ويتمثل هذا الدور - في رأى عالمي السياسة و. كريستول ور. كاجان - في الهيمنة الشاملة على العالم . إن الولايات المتحدة بانتصارتها على إمبراطورية الشر قد حققت نفوذا إستراتيجيا وأيديولوجيا غير مسبوق. إن الهدف الأول والأساسي للسياسة الخارجية الأمريكية يجب أن يتمثل في الحفاظ وتدعيم هذا النفوذ من خلال دعم الأمن الأمريكي . وتقديم المساعدة للأصدقاء والحفاظ على المصالح الأمريكية في العالم كله (٣٢) ، وحتى إذا انطلقنا من التصورات التي تتسم بالأنانية ؛ فإن أمريكا بعد انتهاء الحرب الباردة لها مصلحة جيوسياسية في الحفاظ على الأمن والاستقرار الدولي ، كما أن لها مصالح طويلة الأمد في أن لا تسيطر قوى معادية على القارة الأوربية وأن لا تؤدي التناقضات الأوروبية إلى طرد أمريكا من الفضاء الأوروبي كما حدث من قبل مرتين خلال القرن الماضي (٣٣) .

كثيرون يتعاملون مع مصطلح الهيمنة بحرص بالغ ، إلا أن المهيمن تعنى بكل بساطة القائد أو الزعيم الذي يملك التأثير والنفوذ الطاغي . وبهذا المعنى يمكن وصف أمريكا في الوقت الحالى بالدولة المهيمنة . ولم يكن الإعلان المشترك الذى أدى به رئيس روسيا والصين بوريس يلتسين وزيمين فى لقاء مشترك وللذان انتقدا فيه معا سياسة الهيمنة لم يكن ذلك من قبيل الصدفة . الواقع يفرض نفسه فأمريكا هي المهيمن الحقيقي والوحيد على العالم المعاصر، فهو من ناحية ترتبط بشكل مباشر بكل ثقافات العالم وكل التطورات الحضارية فى دولة المختلفة حيث يسكنها أناس ينتمون لشعوب مختلفة . ومن ناحية أخرى فإن النهاضة الذى يشهدها عصر ثقافة الجماهير تحدث بالذات فى دولة تعد الأولى التى قامت بإبداع تلك الثقافة والتى يمثل العالم كله سوقا استهلاكية لها . وحتى الآن لا يمكن القول بوجود تيار ما ملحوظ يمكنه أن يمثل تهديد لمكانة الأدب والثقافة والموسيقى والسينما الأمريكية .

إن إستراتيجية أمريكا في التدخل في شؤون الدول الأخرى ترتكز على عدة قواعد أساسية:

١- لا توجد شواهد قريبة تدل على تدهور في الدور الأمريكي : والتذمر من موضوع انهيار أمريكا لا يقوم على أساس واقعية ، صحيح أن نصيب أمريكا في الاقتصاد العالمي بعد انتهاء الحرب العالمية يفوق نصيبها الآن ، إلا أن هذا كان سببه انهيار اليابان وألمانيا اقتصاديا والضعف الذي ألم بالعديد من القوى الصناعية العظمى . بعد ذلك عادت أمريكا لتحصل على نصيبها الواقعي من الاقتصاد العالمي ، والذي يمثل ٢٥ - ٣٠ % من حجم الإنتاج العالمي وسوف تحافظ على هذا المعدل خلال القرن الحادى والعشرين . وكما يرى د.ج . هانيا فان «النظريات التقليدية حول نهوض وانهيار الدول العظمى يمكن أن تقود أمريكا إلى مأزق»^(٣٤) .

ويبدى ثلاثة من المتخصصين ج . ناي و جورج . ناي و ش . كراونهامر معارضه شديدة لكل التكهنات بانهيار أمريكا ؛ حيث خصص الأول كتابا كاملا يدحض فيه فكرة الانهيار، يؤكّد الثاني أن الولايات المتحدة قدر لها أن تترّبّع العالم على الدوام في حين لا يرى الثالث أى بديل للهيمنة الأمريكية في القرن الحادى والعشرين^(٣٥) .

وفي إجابته على سؤال: لماذا تنفق أمريكا أموالاً هي في حاجة إليها على شؤون خارجية لا نفع منها يجيب ج. ناي قائلاً «إن الإجابة ببساطة تتمثل في أن العالم المعاصر متشابك ومتراّبط ، ولذا فإن أي خلل وعدم انتظام في النظام الدولي يمكن أن يمثل تهديداً على الشعب الأمريكي»^(٣٦) . فالسلاح النووي والذي سرق من احدى جمهوريات الاتحاد السوفيتى السابق يمكن نقله وتهريبه إلى الولايات المتحدة كما أن الفوضى السائدة في الشرق الأوسط تشجع الإرهابيين في أمريكا . بالإضافة إلى ذلك فإن انهيار الرقابة في الدول الكاريبي أدى إلى تدفق المخدرات إلى داخل أمريكا ناهيك عن ثقوب الأوزون والتي تسببت فيها دول أخرى . ويؤكد السيد و . هايلد الرأى السابق محذراً أنه في حالة تحقيق التيار الانعزالي لمariese فسوف يكون في

استطاعة دسته من الدول تملك السلاح النووي الأمر الذي يمكن أن يؤدى بالعالم إلى أزمة عالمية واسعة النطاق (٣٧) . وهذا الخطر يستشعره عدد كبير من النخبة الحاكمة في أمريكا .

٢ - حتى إذا قررت الولايات المتحدة الانعزال عن العالم فإن وسائل الاتصال الحديثة من شأنها إعاقة هذا التوجه. إن مؤيدي سياسة التدخل في الشؤون الداخلية للدول يذكرون المجتمع بأهمية الإحصاءات التالية: نمو حجم الاستثمار الأجنبي في الولايات المتحدة خلال الثمانينيات بشكل كبير. ففي عام ١٩٨٠ بلغ حجم الاستثمار الأجنبي حوالي ٨٣ مليار دولار في حين بلغ ٤٠٩ مليار عام ١٩٩١ ومن الملاحظ توجه الاستثمارات إلى قطاعات معينة : صناعة السيارات ، الإلكترونيات ، الصناعات الكيماوية والمنتجات الغذائية والبورصة . وإذا كان المستثمرون الأجانب يضخون أموالهم في الاقتصاد الأمريكي ؟ فهذا معناه أنهم يثثون بهذا الاقتصاد وفي نمو منظومة هذا الاقتصاد في الملوية الجديدة .

وفي نفس الوقت فإن أكثر من ٤٠ % من حجم النمو الاقتصادي الأمريكي في الفترة من ١٩٨٧ - ١٩٩٧ أتى على حساب تشجيع التصدير الأمريكي ؟ فقد وفر هذا القطاع وحده أكثر من ٤ ملايين فرصة عمل خلال تلك الفترة. فهل على الولايات المتحدة الأمريكية أن تحجم إمكانياتها التصديرية ؟ وهى التي تصدر ما نسبته ١٣ % من إجمالي الناتج القومي و ٢٠ % من الإنتاج الصناعي و ٣٠ % من الإنتاج الزراعي. هل يمكن أن تسمع أمريكا لنفسها بالانسحاب من خطوط التجارة العالمية دون أن يؤثر ذلك بالسلب على اقتصادها.

هناك اعتقاد آخر في الرسوخ يتمثل في أنه إذا تجنبت الولايات المتحدة الأمريكية التدخل العسكري في أزمة تلو الأخرى فإن ذلك بلا شك سيحفز قوى عظمى أخرى للقيام بهذا الدور وملاً هذا الفراغ. إن سياسة عدم التدخل ستؤدي ليس فقط إلى زعزعة الاستقرار في العالم بل وإلى تحويله إلى عالم مسلح ولي انتشار الأسلحة في كل مكان بأرجائه، وهو الأمر الذي سيؤثر بلا شك على المصالح الأمريكية في الصعيد، (٣٨) .

إن القرن الجديد سيكون أكثر أمريكا من القرن العشرين والسبب الرئيسي في ذلك هو هيمنة المعلوماتية ، وهو المجال الذي تتفوق فيه أمريكا على العالم من خلال الأقمار الصناعية والانترنت . وكما يؤكد ج . ناي و أ . اونس فإن المعلوماتية تمثل العمدة الجديدة في منظومة العلاقات الدولية والولايات المتحدة تحتل مكانة متقدمة في هذا المجال مقارنة بغيرها من الدول الكبرى . ومن خلال منظومة المعلومات المتطرفة تستطيع الولايات المتحدة مضاعفة فعاليتها قدرتها العسكرية . إن الهيمنة في مجال المعلومات ستجعل القرن الجديد أمريكا (٣٩) . وينتفق مع هذا الرأي البروفوسيرا . كوبن من جامعة جونس هوبكينز الذي يؤكد أهمية المعلومات في المجال العسكري قائلاً إن ثورة المعلومات تمنح فرصة للدول الكبيرة والصغيرة سويا ، إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية تعد المستفيد الأكبر (٤٠) .

٣- إن العالم الآن في حاجة ماسة إلى زعامة : وهناك قطاع كبير من الأمريكيين يؤيد وجهة النظر القائلة بأن قدر الولايات المتحدة أن تحتل مكانة الزعامة في العقود الأولى على الأقل من القرن الحادى والعشرين . والأمر هنا لا يتعلق فقط بالموارد والثروات بل وبالقدرة على رؤية المستقبل (٤١) . والولايات المتحدة بصفة خاصة تحدد مصير العالم بأكمله شاءت أم أبت ، كما أنها ترسم ملامح السياسة الداخلية والخارجية للعشرات من دول العالم من خلال صندوق النقد الدولي والبنك الدولي والعديد من المنظمات الأخرى ، كما تستخدم الأمم المتحدة للتاثير على أنظمة غير صديقة لها مثل ليبيا والعراق وإيران . بالإضافة إلى أنها تستخدم برامج المساعدات للتاثير على الشعوب إن شبكة العلاقات الاقتصادية الضخمة مع الولايات المتحدة بالإضافة إلى التأثير المهيمن للاقتصاد والثقافة الأمريكية سمح للأمريكيين بفرض نفوذهم من خلال أساليب عديدة لم يكونوا ليتخيلوها (٤٢) .

إن أمريكا تلعب دور الدولة العظمى المهيمنة بدون أي مشاكل قومية ملحوظة . والسؤال الذي طرح نفسه بعد الحرب الباردة حول مصدر التهديد في العالم يجب أن يصاغ بشكل آخر؛ ففى عالم يتوقف فيه ازدهار وأمن أمريكا على القوة الأمريكية والصرامة في استخدام هذه القوة فإن الخطر الأساسي يتمثل هنا في الضعف الأمريكي

ذاته. إن الهيمنة الأمريكية تعد الوسيلة الوحيدة المأمولة للحفاظ على النظام الدولي من الانهيار، ولذلك فإن الهدف الرئيسي للسياسة الخارجية الأمريكية يتمثل في الحفاظ على هذه الهيمنة لأطول فترة ممكنة. ولتحقيق هذا الهدف فإن الولايات المتحدة تحتاج إلى صياغة سياسة تحقق التفوق العسكري والثقة المعنوية^(٤٢). وفي أثناء ذلك فإن كثيرا من علماء السياسة يتبنون أن النصف الأول من القرن الحادى والعشرين يمثل فترة انتقالية خطيرة. ويؤكد ذلك السيد ر. نومان عضو مركز الأبحاث الإستراتيجية والدولية؛ حيث يؤكد أن المنظومة السابقة والصارمة في العلاقات الدولية قد انهارت أما الجديدة فلم تنشأ بعد. إن لبنة العالم تحدث بسرعة متزايدة، وتبعد مؤشرات ذلك في دول العالم المختلفة ، ولذا يلزم التفكير ليس في الحفاظ على السلام بل في فرضه على الأطراف المتصارعة.

ويصر مزيدو صياغة سياسة خارجية أمريكية نشطة على أن العالم في القرن الجديد لن يكون أكثر أمنا عنه إبان سنوات الحرب الباردة؛ حيث سيشهد هذا القرن حالة من الانقسامات في العالم وانتشار المصراعات الدولية وزيادة القوى السياسة والعسكرية؛ فباستثناء أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية لا توجد في العالم مشروعات للتكامل أو إنشاء تحالف. وطبقاً لتوقعات وكالة الاستخبارات الأمريكية فإنه مع حلول عام ٢٠٠٠ هناك ١٥ دولة نامية على الأقل لديها إمكانية لانتاج صواريخ بالستية ، ثمانية منها تمتلك أسلحة كيماوية وعشرة بيولوجية. والانسحاب من منظومة العلاقات الدولية في عالم كهذا يعني التعرض لهذه المخاطر في أي وقت وفي عقر الدار.

٤- إن ترك ساحة الأحداث الآخرين أمر غير معقول أيضا؛ فالتنافس الاقتصادي بين الولايات المتحدة وحلفائها يمثل خطراً كبيراً بالنسبة لها؛ فهناك احتمالات مؤكدة لحدوث صدامات حادة مع اليابان وأوروبا في حالة استمرار التوجه الدولي على ما هو عليه. فماذا سيحدث إذا اتجهت أمريكا إلى الانعزal السياسي . إن اليابان وألمانيا في هذه الحالة سيسعيان وسيتمكنان من أن تصبحا دولتين نوويتين ، كما أن روسيا- والتي تعاني من مصاعب داخلية -ستسعى في هذه الحالة للحصول على تعويضات منحمة مقابل تفوقها الرئيسي في المجال العسكري. في حين ستسقط الأنظمة العربية

المعتدلة في مواجهة الراديكالية الإسلامية وترجم بذلك إسرائيل على الاعتماد على قوتها النووية. وسيزداد التناقض المتصارع بين الصين واليابان وبين روسيا وألمانيا؛ فهل حدوث حرب عالمية ثالثة مستبعد في مثل هذه الظروف ؟ (٤٤) وفي مثل هذه الظروف فإن أمريكا سيكون من الصعب عليها القيام بنفس دور بريطانيا في القرن التاسع عشر وهو إحداث التوازن ؛ حيث من الصعب تكرار التجربة البريطانية التي كانت تقوم على إحداث التوازن بين دول ثقافة واحدة وهي الثقافة الأوروبية. أما الآن فالوضع على النقيض ؛ فهناك دول تتنمي لحضارات مختلفة وإحداث توازن بينها أمر خطير جدا ؛ فهل يمكن لعالم تقوم فيه أمريكا بمحاولة إحداث توازن بين روسيا والصين واليابان وألمانيا أن يكون مستقرا ؟

ويرى السيد ج . مورا فتشيك أن - وعلى امتداد ٩٠ عاما - أوروبا لم تستطع تحمل عبء الزعامة الدولية ، كما أنها لا تستطيع حتى أن توفر الأمن لنفسها ؛ حيث أصبحت «ساحة لاندلاع حربين عالميين» . وأمريكا بالطبع تسعى لتحقيق مصالحها الخاصة وليس هناك مجال للحديث عن المثالى هنا إلا أن أمريكا على النقيض من أوروبا استطاعت أن تنشئ تواصلا وعلاقة بين تحقيق مصالحها الخاصة والفائدة العامة ، وهذا هو أساس أي زعامة، (٤٥).

فهل كان العالم ليتمكن من معاقبة العراق - الدولة المعتدلة في الخليج العربي عام ١٩٩١ - دون زعامة أمريكا، كما أن أية مساعي في البوسنة كانت لتفشل لو لا اشتراك الأمريكيين. فقد حاول الأوروبيون ولمدة عامين متواصلين حل هذه القضية بأنفسهم إلا أنهم اضطروا في النهاية إلى اللجوء إلى مساعدة واشنطن: «فإذا انتفى لدى الأمريكيين الشعور بوجود مهمة يؤدونها في العالم فإنهم سيطالبون بتقليل الإنفاق العسكري على السياسة الخارجية الأمر الذي سيؤثر بالسلب على الهيمنة الأمريكية، (٤٦).

إن وجهة نظر كثرين من مؤيدي سياسة التدخل تتلخص في أن هيئة الأمم المتحدة ستصبح في القرن الواحد والعشرين عبارة عن مجموعة من الدول لا يحترم معظمها قواعد القانون الدولي أو يؤيد السلام ، كما أنهم لا يعبروا عن رغبة الناخبين

في معظمهم. وستنقسم الآراء داخل المنظمة فقط في حالة ظهور خطر عام شامل^(٤٧). إن الديمقراطيات الأوروبية يمكن أن تصبح حلفاء أقوى لأمريكا لا منافسا لها، كذلك الوضع بالنسبة للأمم المتحدة التي يمكنها فقط أن تتمم وتؤكد الرعامة الأمريكية لا أن تحل محلها.^(٤٨) وها نحن نعيش مرحلة تاريخية مهمة؛ حيث بدأت الولايات المتحدة في ازدراء المؤسسة الدولية التي أنشأتها بنفسها.

وكما يعتقد السيناتور الأمريكي السابق جيمس بيكر وعضو معهد الاقتصاد الدولي السيدة آ. فروست فإن الرؤية الأمريكية للعالم في القرن الجديد تقوم على ضمان حماية الحقوق المدنية والديمقراطية تحت إشراف الولايات المتحدة الأمر الذي يؤدى إلى إنشاء أنظمة موالية لأمريكا، والقدرة على رد أي اعتداء دون تحمل خسائر أمريكية كبيرة أو تعريض الاقتصاد الوطني لأى أعباء إضافية والسيطرة على النفط والمصادر الحيوية الأخرى في العالم لمساعدة الدول الصديقة وضمان مستوى معيشى مرتفع^(٤٩).

إن هدف مؤيدى سياسة التدخل هو الحفاظ على الرعامة العالمية والتوازن الإقليمي لصالح أمريكا وحلفائها. ومهمة الولايات المتحدة في القرن الحادى والعشرين تتمثل في الهيمنة والسيطرة على تلك المناطق التي تعتبرها حيوية بالنسبة لها (فى أوروبا والمحيط الهادى فى المقام الأول).

وحيث إن هناك دولأ مثل اليابان وألمانيا تتحرك وتسعى لتصبح دولاً عظمى في القرن الحادى والعشرين فإن شكل العلاقة بين هذه الدول وأمريكا سيتغير ضرورياً، ويرى مؤيدو سياسة التدخل أن الدور الأكبر الذى يجب أن تقوم به أمريكا في القرن الجديد هو تحجيم تلك القوى التي تسعى للهيمنة ورد إدعائاتها بذلك ، وهو الدور الذى يشبه ما قامت به بريطانيا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. ويؤكدون بثقة أن الولايات المتحدة ستتمكن في المستقبل المرئى كل الامكانيات الضرورية سواء من منظور الأمن الجغرافي أو التفوق العسكري أو النفوذ السياسي لكن توسيس تحالفات يمكنها ردع أي قوة إقليمية ذات مطامع توسعية أو أحلام بالهيمنة.^(٥٠). ويعتقد مساعد وزير الدفاع الأمريكي كول أن الطريق الأمثل للولايات المتحدة يتمثل في

دعم التحالفات القائمة مع أوروبا الغربية واليابان بالإضافة إلى إنشاء سلسلة من التحالفات المرنة أو المتنقلة يمكنها مساعدة الولايات المتحدة في مناطق الصراعات.

٥- نهضة شرق آسيا : يعتقد كل من جورج ترتيبين وب. ستوكتون أن الوقت قد حان لتحويل الاهتمام إلى مناطق التحديات الجديدة بعد أن ظل طويلاً منصباً على المشاكل الأوروبية والسوفيتية . ويجب أن تتشكل النخبة الجديدة في أمريكا بشكل أساسى من علماء متخصصين في آسيا وخبراء في التجارة والاستثمار والدفاع والعلم والتكنولوجيا (٥١) .

لقد كانت قضية الصراع القائم مع الصين - هو أفضل الكتب مبيعاً عام ١٩٩٧ وخصصت مجلة «فورين افيرز» نقاشات دائمة حول الخطر والتهديد القادم من جنوب شرق آسيا ، كما أن تحقيقاً قام به مجلة «نيويورك تايمز» لم يكن ليدعوا أبداً إلى التفاؤل ؛ إذ جاء فيه : «إن الصين تمكّن سلاحاً نووياً ونزاعات حدودية مع أغلب جيرانها وجيشاً ضخماً ومتطولاً يستطيع خلال عشر سنوات أو نحوها أن ينهي كل هذه النزاعات الحدودية لصالحه ... في الوقت الذي تقلص فيه معظم الدول نفقاتها العسكرية فإن الصين تستخدم الفزعة الاقتصادية الهائلة لتمويل خطط بناء عسكري طويل الأمد ؛ فالصين تسعى للتمتع بنفوذ الدولة العظمى» (٥٢) . ويقول ج. مورافشيك : «يجب علينا الاعتراف بأن الصين في طريقها لكي تصبح منافساً لأمريكا في القرن الجديد» (٥٣) .

٦- المستقبل الغامض لروسيا : ولم تفقد الجبهة المناوئة لروسيا داخل المجتمع الأمريكي أهميتها وحقها في التنبؤ بالمستقبل ؛ حيث تتوقع هذه الجبهة العودة إلى العرب الباردة مع كل تحول في العلاقات الروسية الأمريكية . إن هدفاً الرئيسى يتمثل في تحاشى قيام منافس جديد لنا على أراضى الاتحاد السوفيتى السابق أو فى مكان آخر يمكنه أن يمثل تهديداً شبيهاً بذلك الذى كان إبان الاتحاد السوفيتى (٥٤) .

٧- العامل الإسلامي : لقد انتقلت بؤرة الاهتمام في هذا النطاق من إيران إلى العراق ولibia والسودان ومصر والجزائر ولبنان وسوريا وفلسطين وحتى تركيا . ويقول ج . مورافتشيك ، إذا استطاع الإسلام الراديكالي أن يصل للحكم في تلك البلدان فإن العالم تنتظره هزات عنيفة لا يمكن تخيلها ، (٥٥) .

٨- قضية خطر نشر الأسلحة النووية وتكنولوجيا الصواريخ : لقد أدت سياسات دول مثل كوريا الشمالية والهند وباكستان ولibia وجنوب أفريقيا بسعيها للانضمام للنادي النووي إلى تعقيد منظومة العلاقات الدولية .

إن المهام التي تنتظر الولايات المتحدة في القرن الجديد تمثل في تحسين أسلوب عمل الاستخبارات التي تراقب برامج التسلح السرية والتأثير على المنتجين الكبار لهذه الأسلحة من خلال القيود والمعوقات التجارية وتعييدهم إذا اقتضت الضرورة .

وهناك قطاع عريض ومتزايد من معتنقي سياسة التدخل الأمريكية يؤيد إعادة صياغة اتفاقية الدفاع ضد الصواريخ ١٩٧٢ وبناء منظومة دفاع تكتيكية ؛ حيث تتزايد الثقة في الإمكانيات التكنولوجية لهذه المنظومة يوما بعد يوم . كما يزداد عدد المؤيدين للاتفاق مع روسيا حول تعديل نظام دفاع الصواريخ في حين يطالب جزء من مؤيدي سياسة التدخل بتجاهل الموقف الروسي في هذا الشأن .

الموقف الرسمي لواشنطن

يمثل التيار الغالب على الساحة السياسية الأمريكية مع مطلع قرن جديد خليطا من الاتجاهين السالف ذكرها . وكان للقيادة الأمريكية رد فعل تجاه إنذارات تيار الانعزالية الجديدة . ففي أغسطس ١٩٩٠ أشار الرئيس الأمريكي بوش إلى سقوط عالم القطبين الأوحدين ، وأعلن ليس فقط عن ضرورة تشكيل منظومة عالمية جديدة بل وتحديد قائمة متدرجة بالحلفاء والمناطق والهدف للسياسة الأمريكية وفق قيمة كل منها ، وأبدى أهميتها بالنسبة للولايات المتحدة حتى لا تنفق أمريكا مواردتها في مناطق لا تمثل أهمية ولا تخدم المصالح الأمريكية .

ويمكن أن تتصور أن الرئيس الأمريكي قام بشكل خاص بإعادة توجيه إدارته نحو حل القضايا الداخلية . وفي رسالة حول حالة البلاد عام ١٩٩٢ أشار قائلاً يمكننا الآن التوقف عن تقديم تصريحات كنا نبذلها في الماضي عندما كانا نواجه دولة عظمى معاذية عدم بذل تصريحات أكثر أصبح يمثل شعاراً لسياسة خارجية نشطة ، إلا أنه لم يتمكن من إتمام عملية إعادة توجيه إدارته هذا حيث فقد شعبيته بشكل حاد. ولم يكن هناك بين الجمهوريين ريجان جديد وكان أفضل تعبير عن البيان المنهي للجناح المحافظ بين الجمهوريين عامي ١٩٩٦، ١٩٩٢ هو ما قاله السيد باتريك بيوكينين أمريكا قبل كل شيء لا يجب أن ننفت إلى الدول الخارجية عديمة الجدوى،

هل يمكن حل مشكلة الزعامة عن طريق الاعتماد على منظمة الأمم المتحدة؟ في نوفمبر ١٩٩٣ أعلن الرئيس جورج بوش الأب أن «الأمم المتحدة لديها فرصة في أن تحول إلى أداء رئيسية لتجنب وحل الخلافات والحفاظ على السلام»^(٥١) ، وأنشأت واشنطن لجنة زيادة فاعلية الأمم المتحدة . وأصدر السكرتير العام للأمم المتحدة بطرس غالى بياناً من نوع خاص أطلق عليه جدول أعمال العالم طالب فيه بتأسيس قوات مسلحة موحدة وقيادة عسكرية موحدة وعلى ما يبدو فإن الأحداث التي وقعت في الصومال (أكتوبر ١٩٩٣) أصبحت نقطة تحول في سياسة بوش - كلينتون ذات التوجه نحو الأمم المتحدة في البداية ، والتي وقعت في مأزق خيبة الأمل فيما بعد. وقد طالب أعضاء الكونجرس بإجراء تحقيقات واسعة حول سبب تحول الجنود الأمريكيان إلى أهداف حية في مقديشو. وعلى وجه السرعة ظهرت قضية تقليص المساعدات المادية الأمريكية المقدمة لتمويل عمليات الأمم المتحدة العسكرية. وانخفضت فيما بعد استخدام قوات الأمم المتحدة في النقاط المشتعلة (الصومال، رواندا والبوسنة) بشكل واضح. وترى أمريكا أن الأمم المتحدة قد أظهرت ضعفها. ومع نهاية القرن الماضي فإن أغلب دول الأمم المتحدة لم تعد دائماً تحالف مع الغرب أو إلى الولايات المتحدة في عملية التصويت.

ليس هناك شك في أن عام ١٩٩٢ شهد قيام معظم المؤيدون لسياسة الانعزالية بالتصويت لصالح بيل كلينتون ؛ حيث اعتبروا هذه السياسة أفضل رد فعل على

أحداث العالم الخارجي وقام كلينتون السياسي الذي نشأ في ولاية اركنساس وصاحب خبرة التعلم في أكسفورد بإدخال عنصر جديد على السياسة الأمريكية دائمة التغيير إلا وهو عنصر المركبة الأمريكية الكبرى وعبر عن هذا العنصر الجديد بشكل خاص جدا ، فلم يقم كلينتون بالإسراع بعملية الخروج والابتعاد الشامل عن العالم الخارجي ، إلا أنه - وللمرة الأولى في تاريخ أمريكا ما بعد الحرب - أعلن أن أمريكا لا يمكنها حل القضايا العالمية بمفردها . وقد عبر وزير الخارجية الأمريكي وارين كريستوفر والذي وقع اختيار كلينتون عليه عن هذا العنصر الجديد على النحو التالي : إن كثيرا من أهدافنا المهمة لا يمكن تحقيقها بدون التنسيق مع الآخرين^(٥٧) .

وقد صرخ الرئيس الأمريكي الجديد في مارس ١٩٩٣ عن قراره الخاص بحجم إنفاق عسكري قدره ١,٣ تريليون دولار في خلال الفترة من ١٩٩٤ - ١٩٩٨ (بمتوسط ٢٦٠ مليار دولار سنويا) وهذا يعني الإنفاق على جيش قوامه مليون ونصف نظامي و مليون احتياطي ويملاك ١٩ فرقة برية و ١٢ حاملة طائرات و ٣٤٦ سفينة عسكرية و ٢٠ سربا جويا و ١٨٤ قاذفة و ٣٥٠ رأس نووية^(٥٨) .

وفي الشهور الأولى لحكم كلينتون أظهر الديمقراطيون ميلهم الانعزالي الجديد . ففي ربيع ١٩٩٣ صرخ نائب وزير الخارجية للقضايا السياسية بـ . تارنوف لمجموعة من مندوبي وسائل الإعلام قائلاً أن الولايات المتحدة لن تتدخل في مشكلة البوسنة وغيرها من الخلافات التي ظهرت بعد انتهاء الحرب الباردة لسبب بسيط وهو أن أمريكا لا تملك أموالاً لذلك^(٥٩) .

إلا أن إدارة كلينتون قامت بتجهيز قائمة بامكانيات وزارة الدفاع وصاغت استراتيجية حول إمكانية اشتراك الولايات المتحدة في حل نزاعيين متحتملين على نطاق واسع في وقت واحد ولنقل في جنوب غرب آسيا وفي شبه الجزيرة الكورية . وقد انتقد زعماء التواب الجمهوريين دول وغيره عدم كفاية جهود الإدارة الديمقراطية كما انتقدتها رئيس لجنة القوات المسلحة إس . تيرموند ورئيس لجنة الأمن فـ . سبينس . ويؤكد هؤلاء المنتقدون أنه في حالة حدوث أزمة في كوريا فإن أمريكا ستكون مضطرة لإرسال أربعين ألف جندي وقوات عسكرية منخمة إذا تجددت أزمة الخليج

العربي مرة أخرى ، إلا أن هؤلاء جمیعا لم یلقوا أی دعم لوجهة نظرهم هذه في واشنطن .

وتحت هذا الضغط الشدید وعده الرئيس في رسالته الأولى حول «حالة البلاد»، بعدم تقلیص الإنفاق العسكري الأمريكي مرة أخرى. إن النصر الذي حققه الجمهوريون في انتخابات الكونجرس ۱۹۹۴ أثار تداخلاً يدعو للفضول، ثورة الليبراليون الديمقراطيون المطالبون «بوضع سلمي متمیز ومفضل على الساحة العالمية بعد انتهاء الحرب الباردة ورؤیة خاصة للمصالح الأمريكية لدى مجموعة جديدة من الجمهوريين أصبحت المیزانیة الوطنية وتقلیص النفقات الاتحادية بالنسبة لهم شيئاً مقدساً. ويشیر و. هایلاند إلى التحول التاریخي في مواقف القوى السياسية في البلاد.

وعندما وجد الجمهوريون المنتصرون في انتخابات ۱۹۹۴ لفة مشتركة مع الليبراليين الداعین للانعزالية الجديدة في الحزب الديمقراطي حاول الرئيس کلينتون تجنبه وتبعدة القوى المناهضة لهذا التيار. حيث اعتبر الداعین لتقلیص النفقات الخارجية انعزاليين وانتقدوا الهجوم على صلاحیات الرئيس في صياغة وإدارة برنامج سياسي خارجي^(۶۰). وأشار وزير الخارجية وارین کریستوفر إلى أن التقلیص الحاد في النفقات على السياسة الخارجية «سيکبد المصالح الوطنية وإمکانیات تولی الزعامة خسائر فادحة»^(۶۱).

ويفضل جهود السناتور الجمهوري دول قدم مجلس الشیوخ مشروع قرار حول تحديد العلاقة بين أمريكا ومنظمة الأمم المتحدة. ويسعى القرار إلى رفع القيود المفروضة على أمريكا للقيام بإجراءات سياسية من أجل الحفاظ على مصالحها^(۶۲)، وطبقاً لهذا القانون فإنه سیحظر على القوات الأمريكية أن تخدم تحت قيادة أجنبية. ويؤكد دول أن الشعب الأمريكي ليس لديه استعداد لفقدان أيقانه من أجل الالتزام بسياسة التدخل غير المسؤولة^(۶۳).

ويعد أهم رد فعل للرئيس الأمريكي بیل کلينتون على الانتصارات المتواصلة للقوى المؤيدة للانعزالية هو المنشور الرئاسي رقم خمسة وعشرون حول تحديد وتقلیص حجم اشتراك الولايات المتحدة في عمليات جماعية للحفاظ على الأمن الدولي. ويشیر

المنشور صراحة إلى أن الولايات المتحدة لن تشارك في قوات الأمم المتحدة ولن توجه قواتها للاشتراك في عمليات تقوم بها الأمم المتحدة^(٦٤) ، وبعد هذا القرار ذات أهمية مستقبلية كبيرة ؛ حيث إن أكبر قوة في العالم ترفض القيام بأى عمل مشترك مع أكبر منظمة دولية ألا وهي الأمم المتحدة التي أنشأت بمبادرة من الولايات المتحدة نفسها والتي تعكس إرادة غالبية المجتمع العالمي . وفي أثناء ذلك فإن الولايات المتحدة تحتفظ وتندعم وسائلها الخاصة لفرض نفوذها القوى على نطاق واسع.

إن سياسة التدخل في شؤون الدول الأخرى لم تتراجع مطلقاً في أمريكا؛ فبعد فترة هدوء وتوقف استمرت من ١٩٩٠-١٩٩٢ سادت في أمريكا وجهات نظر واتجاهات تدعو إلى تقليص الإنفاق العسكري مع نهاية التسعينيات (انظر التقارير الدورية لوزارة الدفاع الأمريكية (لفترة من ١٩٩٠-١٩٩٢) . فيما يؤكد التقرير الرئيسي الصادر في فبراير ١٩٩٥ حرص الولايات المتحدة على الحفاظ على قواتها المسلحة والتزاماتها العسكرية وزيادتها في بعض المناطق^(٦٥) . وقد أعلن مركز أبحاث العيزانية التابع للكونгрس عام ١٩٩٥ أن الجيش الأمريكي سيحصل على مبلغ دعم قيمته تتراوح بين ٥٣ - ١٠٠ مليار دولار إضافية خلال السنوات الخمس التالية . وفي ربيع ١٩٩٥ اتفق الرئيس كلينتون مع الكونгрス الجمهوري على زيادة تدريجية للإنفاق العسكري من ٢٦٠ مليار دولار عام ١٩٩٥ إلى عام ٢٠٠٢^(٦٦) . وكان شعار أنصار سياسة التدخل في شؤون الدول الأخرى هو يجب علينا أن نبذل كل القوى حتى نبني القوى العظمى الوحيدة وأن لا يظهر لنا منافسون عسكريون . ولهذا فيجب علينا دعم قدراتنا العسكرية وبشكل خاص فإن أمريكا يجب عليها في المستقبل محاصرة المنافسة العسكرية من جانب روسيا وألمانيا في أوروبا واليابان والصين في آسيا^(٦٧) . إن السيطرة على انتشار الأسلحة النووية والكيماوية والبيولوجية يجب أن يصبح في المقام الأول للاهتمامات الأمريكية في القرن الواحد والعشرين ، وقد اعتبر وزير الخارجية الأمريكية السابق وارين كريستوفر إيان مفادرته لمنصبه من الضروري أن يحذر شعبه من مخاطر تيار الانعزالية الجديد قائلاً إن أكثر ما يهدد سياستنا الخارجية في الوقت الحالى يتوقف على مدى مقدرتنا على تحمل النفقات الضرورية للقيام بنشاط سياسي خارجي فعال أو لا . إننا نصطدم بخطر شكل جديد من

الانعزالية يطلبون في ظله من أمريكا أن تحافظ على الزعامة ، ولكنهم يفقدوها المقدرة على لعب دور الريادة . كما صرخ الرئيس كلينتون في خطاب ألقاه في يناير ١٩٩٩ حول «حالة البلاد» مؤكداً زيادة الميزانية العسكرية بما قيمته ٢٥ مليار دولار وهو ما يعتبر أكبر زيادة طرأة على الميزانية بعد انتهاء الحرب الباردة .

ويشكل عام فإن القيادة الأمريكية والخبراء يؤملون بأنه إذا كان القرن ١٩ هو قرن توازن القوى في العالم فإن القرن الواحد والعشرين سيصبح قرن عدم توازن القوى الصارخ لصالح أمريكا . ولا تستطيع أمريكا أن تتحول ببساطة إلى واحدة من الدول . وهي لم تستطع ذلك في السنوات العشر الأخيرة ، ولن تستطع تجنب هذا المصير في القرن الواحد والعشرين . لقد خرجنا من الحرب الباردة كقوة عظمى أوحد وأخذنا على عاتقنا مسؤولية شؤون العالم يضاهينا في ذلك الإمبراطورية الرومانية والبريطانية في فترات ازدهارها . فإذا رفضنا أن نقوم بدور الزعامة الذي ينبع بشكل أساسى من موقفنا وقدراتنا فإن الساحة العالمية ستغتصب للتوازن . ولن تستطع أي دولة كبيرة أو قوى ديمقراطية كبيرة أن تجد في نفسها القوى لتحمل تبعات الزعامة أو محاولة التطاول عليها وهم جميعاً يعيشون في العباءة الأمريكية (٦٨) .

وقد كتب رئيس مجلة «ناشيونال إنترست» السيد أو. هاريس تملك أمريكا سراً صغيراً قدراً يتلخص في أن أمريكا تستمتع بوضعها كقوة عظمى . ويطرح السؤال نفسه: هل النفقات العسكرية باهظة التكاليف؟

إن فترة ازدهار إسبانيا وفرنسا وانتعاش روسيا شهدت أيام الملك فيليب الثاني ولودفيك ويطرس الأكبر بإنفاق ما يتراوح بين ٧٥ - ٨٥٪ من إجمالي دخل ممالكهم وتتفق الولايات المتحدة على احتياجاتها العسكرية فقط ٢٥٪ من ميزانيتها الحكومية وأقل من ٥٪ من إجمالي ناتجها القومي؛ فالولايات المتحدة لم تفرط كثيراً في الإنفاق . ويستعين المحافظ السابق لولاية كلورادو أر. لام بكلماته أ. تونب القائلة: سبب سقوط أي إمة عظيمة يتمثل في الانتحار وليس الضغوط الخارجية . فهل الحفاظ على مكانة الإمبراطورية يكلف الكثير؟ ويعتقد المفكرون الأمريكيون أنه لا تجب المبالغة الشديدة . لقد أنفقت أمريكا في ١٩٩٨ على سياستها الخارجية (الميزانية

العسكرية- المساعدات الاقتصادية الخارجية - الاستخبارات- التفود الثقافي ...
«إلخ» ما يقرب من ٣٠,٨ % من إجمالي ناتجها القومي وهى النسبة الأقل على مدى نصف قرن مضت^(٦٩) . فى حين شهدت الفترة من ١٩٥٢ - ١٩٦٣ حجم إنفاق أمريكي على نفس الأهداف بلغ أكثر من ١٠ % من إجمالي الناتج القومى سنويًا. فى السنوات العشر التالية بلغ ٩ % أى ضعف النسبة الحالية ، وفى المستقبل سيكون من الضرورى إنفاق ٤ % من إجمالي الناتج القومى .

ويرى كل من و. كريسلور. كاجان أن القرن القادم يجب أن يشهد زيادة حجم الميزانية بمقدار ٨٠-٦٠ مليار دولار على الأقل ، وأقل من ذلك يمكن أن يمثل تهديد لمكانة أمريكا المهيمنة على العالم ؛ حيث إن دور الولايات المتحدة الذى تلعبه يختلف عن أدوار الدول العظمى الأخرى ؛ فكلما كانت واشنطن أكثر إقناعا فى تأكيد عدم جدوى أى منافسة أو صراع مع القدرة الأمريكية سواء لتفوقها العسكري أو التكنولوجى كلما قلت الفرص السانحة أمام دول كالصين وإيران للتحمس لفكرة إعادة النظر فى النظام العالمى الحالى . وهذا يعني أن الولايات المتحدة لديها إمكانية توفير أموالها على المدى القصير، ولكنها من المفید لها أكثر أن تنفق الآن على أن تفقد الكثير جدا نتيجة صراع عسكري مستقبلى^(٧٠) ؛ فما هو حجم الإنفاق العسكري الكافى مع بداية القرن الواحد والعشرين ؟

إن صناع السياسة وواضعى الميزانيات العسكرية والدفاعية لا يعرفون حجم المطلوب الكافى للمتطلبات المستقبلية (ولنقل الفترة من ٥ - ١٠ سنوات) إلا أنهم يجب أن يضعوا فى اعتبارهم الاحتمال الأسوأ^(٧١) .

وهناك فكرة تلقى شيوعا فى الأوساط الأمريكية وتمثل فى أنه يجب على أمريكا مثلها مثل بريطانيا فى القرن التاسع عشر أن تضع لنفسها قاعدة وأساس تسير عليه: أن تمتلك قوات مسلحة تعادل قوة ثلاثة أو أربع دول كبرى تلى أمريكا من حيث القوة (بعض النظر عن وجود أى تهديد أو خطر عسكري فى الوقت الحالى) . ويجب على الولايات المتحدة أن لا تسترشد بالمبادئ البسيطة على شاكلة «عش ودع الآخرين يعيشون» أو سياسة تهدئة النفس السلبية فى انتظار ظهور تهديد محتمل ، بل

يجب عليها أن تعمل على نشر المبادئ الأمريكية في العالم مثل الديمقراطية والسوق الحرة واحترام الحريات المدنية . ولقد انتصرت هذه المبادئ منذ وقت قرب ومساعدة أمريكا في دول مثل الفلبين وكوريا الجنوبية وأوروبا الشرقية وجمهوريات الإتحاد السوفيتي السابق .

تتركز الإستراتيجية الأمريكية للقرن الواحد والعشرين في تحقيق الأهداف التالية :

أولاً: الحفاظ على موقع الزعامة العالمية التي تتمتع به الدولة وتدعم مكانتها كمساهم رئيسي في الثورة العلمية التكنولوجية وقوة مسيطرة في منطقة شمال الأطلسي وشرق آسيا.

وثانياً : تحاشى ظهور أي منافس تصعب السيطرة عليه (أو على الأرجح اتحاد من المنافسين) يمكنه مع حلول منتصف القرن الحالى أن ينزع الصدارة في السباق العالمي من أيدي زعماء الغرب : الولايات المتحدة وألمانيا وفرنسا وبريطانيا وإسبانيا ويوسون عالماً جديداً يختلف فيه الغرب ولأول مرة منذ خمسة عقود عن مقدار الرغبة .

إن الجدل العام المحتمل في أمريكا على أعقاب الألفية الجديدة يعكس عظمة هؤلاء الذين وصلوا إلى القمر ، إلا أنه يعكس أيضاً الشكوك المنطقية التي تساور من ينظر إلى مصير زعماء العالم السابقين عبر التاريخ الذين أنفقوا طاقاتهم وجهودهم الهائلة لتحقيق السيطرة على العالم ، وعن شكوك في جدوى وإمكانية التأثير في هذا العالم الذي ينمو على نحو تسوده الفوضى .

فهل الولايات المتحدة مستعدة لتحمل عبء التضحية أم أن الميل الطبيعي لتحقيق الذات والاستمتاع بملذات الحياة والبعد الأبيقورى سوف يقضى على قوة التقاليد المحافظة وإنكار الذات الذي تميز به الرواد ويمحو مآثرهم في إخضاع القارة وتأسيس عالم جديد ، هؤلاء الرواد الذين مثلوا طليعة التحول المادى والاجتماعى ؟ إن السؤال الرئيسى هو سؤال الثمن ، أي مدى الاستعداد للتضحية وإنفاق الثروات المادية وأرواح المواطنين ؟ فإلى مدى سوف تستمر الهيمنة الأمريكية المعاصرة ، وإلى متى سيظل العالم تابعاً لهذا الزعيم . إن الشعب الأمريكي هو أول من يمكنه الإجابة على هذا السؤال .

مراجع الفصل الثامن

- 1-Foreign Affairs . America and the World.1991-1992 .P.16.
- 2-Wofford H. The Democratic Challenge // Foreign Policy . Spring 1992. P.102.
- 3-Hyland W. The Case for Pragmatism // Foreign Affairs .America and the World .1991-1992. P. 41.
- 4-Rothkopf D. In Praise of Cultural Imperialism? // Foreign Policy. Summer 1997 .p .50.
- 5- Foreign Policy. Winter 1991-1992.P.136.
- 6-Pastor R. The Latin American Opinion // Foreign Policy. Fall 1992 .p.1070
- 7-Newsday. May 30, 1993.
- 8-Carnegie Endowment for International Peace. National Commission on America and the New World . Changing our Ways. Washington, 1992. P. 18.
- 9-Calleo D. Rejuvenating Americana. The International Economy and Clinton Administration // World Policy Journal. Spring 1993.P.45.
- 10-Weekly Compilation of Presidential Documents. Jnuary 27, 1989.p.100.
- 11-Eckes A. Trading American Interests // Foreign Affairs. Fall 1992.P.137.
- 12-Prestowitz C. Trading Places. N.Y.,1998.p.217-218.
- 13-Eckes A. Op. cit.152.
- 14-Prestowitz C. Beyond Laissez - Faire// Foreign Policy . Summer, 1992..P.57.
- 15-Kennedy P. the Rise and Fall of the Great powes. N.Y., 1988.P.412.
- 16-Elling R., Olson O. A New Pacificific Profile // Foreign Policy. Winter 1992-1993.P.138.
- 17-Maines Ch. W. A Closing World // Foreign Policy. Spring 1997.P.14.
- 18-Kissinger H. What Kind of World Order // New York Post. Dec. 3, 1991.
- 19-Kristol W. Defining National Interest // America's purpose. San Francisco, 1991.P.141.
- 20-Biden J. How I Learned to Love the New World Order // Wall Street Journal. April 23,1992.

- 21-Maynes Ch. W. A Closing World // Foreign Policy. Spring 1997.P.15-16.
- 22-Foreign Affairs. July-Aug.1996.P.12.
- 23-Harries O., Lind M. Realism and its Rivals // the National Interest. Winter 1993-1994.P.111.
- 24-Carnegie Endowment. Changing Our Ways. Washington, 1992.P.54,13.
- 25-New York Times. Nov.10.1992.
- 26-Foeign Affairs. July- Aug.1996.P.13.
- 27-Alden A., Schurmann F. Neo-nationalist Fallacies // Foreign Policy . Summer 1992. P.109-110.
- 28-Calleo D. Op. cit. P.44.
- 29-Hyland W.Op.cit.P.39.
- 30-Foreign Policy . Summer 1997.P.43,51.
- 31-Nye J. Bound to Lead The Changing Nature of American Power. N.Y.,1990.P.258-260.
- 32-Kristol W., Kagan R. Toward a Neo- Reaganite Foreign Policy //foreign af-firs.july-Aug.1996.P.20.
- 33-Nye J . What New world Order ? // Foreign Affairs . Spring 1992 . P . 94 .
- 34-Nye J . Bound to Lead . P . lx, x .
- 35-Nau H . The Myth of America' Decline : Leading the World Economy into 1990 ' s . Oxford; ggo,Nye j . bound to lead ; Krauthammer Ch . The Lonely Superpower // New Republic . july 29, 1991 . P . 23-27 .
- 36-Nye J . What New World Order? P . 4 .
- 37-Hyland W . The Case for Pragmatism . P . 39 .
- 38-Luttwak E . A Post- Heroic Military Policy // Foreign Affairs . july-Aug . 1996 . P - 44 .
- 39-Nye J., Owens W. America's Information Edge // Foreign Affairs. March-April 1996.P.35.
- 40-Cohen E.A Revolution in Warfare // Foreign Affairs. Marsh- April 1996.P.52.

- 41-Foreign Affairs. Spring 1992.P.112.
- 42-Foreign Affairs. July -Aug . 1996.P.2.
- 43-Kristol W., Kagan R. Toward a Neo-Reaganite Foreign Policy. Op. cit. P.23.
- 44-Muravchik J. The Imperative of American Leadership. A Challenge To Neo-isolationism. Washington , 1996.P.30.
- 45-Ibid. P. 70.
- 46-Kristol W., Kagan R. Op. cit. P. 28.
- 47-Washington Post. Sept. 8. 1993.
- 48-Muravchik J. Op. cit. P. 82.
- 49-Baker H., Frost E. Rescuing the US- Japan Alliance //Foreign Af-fairs,1992.P.101.
- 50-Coli A. America as the Grend Facilitator // Foreign Policy. Summer 1992. P.55.
- 51-Tritten J., Stockton P.(eds). Reconstituting Defnce P.oblems of the new US na-tional security strategy. N.Y., 1992. P.3.
- 52-Kristof N. The Rise Of China // Foreign Affairs . Nov.- Dec. 1993.P.65.
- 53-Muravchik J.Op. cit. P. 147.
- 54-Typer P. U.S. Strategy Plan Calls for Insuring No Rivals Develop // New York Times . March 8, 1992.
- 55-Muravchik J. Op. cit. 1996.P. 27.
- 56-National Security Strategy of the United States. The White House,, jan.1993.P.7.
- 57-Foreign Affairs. July-Aug. 1995.P.5.
- 58-Foreign Affairs . Nov.- Dec 1995.P.33
- 59-Muravchik J. Affording Foreign Policy // Foreign Affairs. March-April1996.P.8.
- 60-Washington Post. May 24. 1995.
- 61- U.S. Department of State Dispatch. May 22,1995. Vol . 6. No 21. P. 411.
- 62-Foreign Affairs. July-Aug. 1995.P.6.
- 63-Ibid.

64-Ibid.

65-Congressional Quarterly. Jan. 1995. P. 166-168.

**66-Korb L. Our Overstuffed Armed Forces // Foreign Affairs . Nov.-Dec. 1995.
P.22.**

67-Muravchik J. Op. cit. P. 146-147.

68Muravchik J. Op. cit. P. 206-207.

**69-Budget of the United States ? FY 1996: Historical Tables . Washington, 1995.
Tables 8.4 and 15.5.**

70-Kristol W., Kagan R.Op. cit. P. 26.

**71-Colin S. Grey off the Map: Defense Planning after the Soviet Threat // Strategic
Review. Spring 1994. P. 28-29**

المؤلف في سطور

- المؤلف : أنا تولى إيفانوفيتتش أونكين
 - دكتوراه في العلوم التاريخية
 - متخصص في الدراسات الأمريكية
- مدير معهد الدراسات الدولية بمعهد الولايات المتحدة الأمريكية وكندا التابع لأكademie العلوم الروسية .

المترجمان في سطور

• أنور محمد إبراهيم : مواليد القاهرة ١٩٤٦

- حاصل على الدكتوراه في الأدب الروسي من جامعة موسكو عام ١٩٨٣ ، وكان- موضوع رسالته «البناء الفنى في رواية دستويفسكي «الأبله»، ترجم عن الروسية «تطور الفكر الاجتماعي العربي من ١٩١٧ إلى ١٩٤٥»، «العربىة السعودية والغرب» ، تاريخ القرصنة في العالم»، «الامبراطورية العثمانية وعلاقتها الدولية» .

- نشر عدداً من المقالات والترجمات عن الأدب والاستشراق الروسيين في العديد من المجلات العربية المتخصصة ، يعمل حالياً وكيلاً لوزارة الثقافة للعلاقات الثقافية الخارجية .

• محمد نصر الدين محمد الجبائى : مواليد ١٩٧١

- دكتوراه في الفلسفة في الأدب الروسي من جامعة سان بطرسبرج عام ٢٠٠١ ، وكان موضوع رسالته «ملامح السيرة الذاتية في أعمال سولجنتسين»، يعمل حالياً مدرساً للغة الروسية وأدابها بكلية الألسن جامعة عين شمس ، له مقالات ودراسات حول الأدب الروسي .

المشروع القومني للتوجة

- | | | |
|---|---------------------------------------|--|
| ١- اللغة العليا (طبعة ثانية) | جون كوين | ت : أحمد درويش |
| ٢- الوثنية والإسلام | لـ. مادهو بانيكار | ت : أحمد فؤاد بلبع |
| ٣- التراث المسروق | جورج جيمس | ت : شوقي جلال |
| ٤- كيف تم كتابة السيناريو | انجا كاريكتونفا | ت : أحمد الحضري |
| ٥- ثريا في غيبوبة | إيساعيل فسيع | ت : محمد علاء الدين منصور |
| ٦- اتجاهات البحث اللسانى | ميكا إيفيتش | ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد |
| ٧- العلوم الإنسانية والفلسفه | لوسيان غولمان | ت : يوسف الأنطكى |
| ٨- مثلث العراق | ماكس فريش | ت : مصطفى ماهر |
| ٩- التغيرات البيئية | أندرو سـ. جودى | ت : محمود محمد عاشور |
| ١٠- خطاب الحكاية | چيرار چينيت | تـ: محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر حلبي |
| ١١- مختارات | فيسبوفا شيمبورسكا | تـ: هناء عبد الفتاح |
| ١٢- طريق الحرير | ديفيد براونستون وايرين فرانك | تـ: أحمد محمود |
| ١٣- بيانة الساميـن | روبرتسن سميث | تـ: عبد الوهاب علوب |
| ١٤- التحليل النفسي للأدب | جان بيـلـمان نـوـيل | تـ: حسن المودن |
| ١٥- الحركات الفنية | إـلـوارـد لـوـيس سـمـيث | تـ: أشرف رفـيق عـفـيفـي |
| ١٦- أثـيـنة السـوـدـاء | مارتن بـرـنـالـ | تـ: بـلـاشـافـتـ: أـحمد عـتمـان |
| ١٧- مختارات | فـيلـيـب لـازـكـين | تـ: محمد مصطفى بدوى |
| ١٨- الشعر النـاسـيـ فيـ أمـريـكا الـلاتـينـيـة | مـختارـات | تـ: طـلـفـ شـاهـين |
| ١٩- الأعمـالـ الشـعـرـيـةـ الكـامـلـةـ | چـورـجـ سـفـريـسـ | تـ: تعـيمـ عـطـيةـ |
| ٢٠- قـصـةـ الـعـلـمـ | چـ. جـ. كـراـوـثـرـ | تـ: يـعنـيـ طـرـيفـ الخـولـيـ / بـدـوىـ عبدـ الفتـاحـ |
| ٢١- خـرـخـةـ وأـلـفـ خـوـخـةـ | صـدـ بـهـرـنجـيـ | تـ: مـاجـدـ العـتـانـيـ |
| ٢٢- مـذـكـراتـ رـحـالـةـ عنـ الـمـصـرـيـنـ | جونـ أـنتـيسـ | تـ: سـيدـ أـحمدـ عـلـىـ النـاصـرـىـ |
| ٢٣- تـجلـيـ الـجـمـيلـ | هاـنـزـ جـيـورـجـ جـادـامـرـ | تـ: سـعـيدـ توـفـيقـ |
| ٢٤- ظـلـلـ الـمـسـتـقـبـلـ | باتـرـيكـ بـارـنـدرـ | تـ: بـكـرـ عـيـاسـ |
| ٢٥- مـشـوـىـ | مولـاناـ جـلـالـ الدـينـ الرـومـيـ | تـ: إـبرـاهـيمـ السـوسـقـىـ شـتاـ |
| ٢٦- دـينـ مصرـ الـعـامـ | محمدـ حـسـينـ هيـكلـ | تـ: أـحمدـ مـحمدـ حـسـينـ هيـكلـ |
| ٢٧- النـقـوـعـ الـبـشـرـىـ الـخـلـاقـ | مقـالـاتـ | تـ: نـخبـةـ |
| ٢٨- رسـالـةـ فـيـ التـسـامـحـ | جونـ لـوكـ | تـ: مـنـيـ أـبـوـسـتهـ |
| ٢٩- الـمـوتـ وـالـوـجـودـ | جيـمـسـ بـ. كـارـسـ | تـ: بـدرـ الدـبـبـ |
| ٣٠- الوـثنـيـةـ وـالـإـسـلامـ (٢ـطـ) | لـ. مـادـهـوـ بـانـيـكارـ | تـ: أـحمدـ فـؤـادـ بلـبعـ |
| ٣١- مـصـارـبـ بـراـسـةـ التـارـيـخـ إـسـلـامـيـ | جانـ سـوـفـاجـيـهـ -ـ كـلـودـ كـايـنـ | تـ: عبدـ الـسـtarـ الطـوـجـيـ / عبدـ الوـهـابـ عـلـوبـ |
| ٣٢- الـاقـرـاضـ | ديـفـيدـ روـسـ | تـ: مـصـطفـىـ إـبرـاهـيمـ فـهـمىـ |
| ٣٣- التـارـيـخـ الـاقـتصـادـيـ لـأـفـرـيقـياـ الـفـرىـبةـ | أـ. جـ. هوـيـكـزـ | تـ: أـحمدـ فـؤـادـ بلـبعـ |
| ٣٤- الـرواـيـةـ الـمـرـبـيـةـ | روـجـرـ آـنـ | تـ: حـصـةـ إـبـراهـيمـ المـنـيفـ |
| ٣٥- الـأـسـطـرـةـ وـالـحدـادـةـ | پـولـ .ـ بـ. دـيـكـسـونـ | تـ: خـلـيلـ كـلـفـتـ |

- ت : حياة جاسم محمد والاس مارتن ٤٦ - نظريات السرد الحديثة
 ت : جمال عبد الرحيم بريجيت شيلفر ٤٧ - واحة سية وموسيقاها
 ت : أنور مغيث الن تودين ٤٨ - نقد العادة
 ت : متيرة كروان بيتر والكت ٤٩ - الإغريق والجسد
 ت : محمد عبد إبراهيم أن سكستون ٤٠ - قصائد حب
 ت : علطف الحد / إبراهيم قهى / مصطفى ملد بيتر جران ٤١ - ما بعد المركبة الأوروبية
 ت : أحمد محمود بنجامين باربر ٤٢ - عالم ماك
 ت : المهدي آخريف أوكتافيو پاٹ ٤٣ - الله المزدوج
 ت : مارلين تالرس الوس هكسل ٤٤ - بعد عدة أصياف
 ت : أحمد محمود روبيرت ج دنيا - جين ف آفain ٤٥ - التراث المغير
 ت : محمود السيد على بابلو نيرودا ٤٦ - شرون قصيدة حب
 ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد رينيه ويليك ٤٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (جا)
 ت : ماهر جويعاتي فرانسا نوما ٤٨ - حضارة مصر الفرعونية
 ت : عبد الوهاب علوب ه . ت . نوريس ٤٩ - الإسلام في البلقان
 ت : محمد براونة وعثمانى المليون و يوسف الشعلانى جمال الدين بن الشيخ ٥٠ - ألف ليلة وليلة أو القول الأسير
 ت : محمد أبو العطا داريو بيازونيا وخ . م بيتانياليسى ٥١ - مسار الرواية الإسبانية أمريكية
 ت : لطفي فطيم وعادل نمرداش بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . رو جسيفيتز وروجر بيل ٥٢ - العلاج النفسي التدعيى
 ت : مرسى سعد الدين أ . ف . النجتىن ٥٣ - الدراما والتعليم
 ت : محسن مصيلعى ج . مايكل والتون ٥٤ - المفهوم الإغريقى للمسرح
 ت : على يوسف على جون بولكتنجروم ٥٥ - ما وراء العلم
 ت : محمود على مكى فديريكو غرسية لوركا ٥٦ - الأعمال الشعرية الكاملة (١)
 ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى فديريكو غرسية لوركا ٥٧ - الأعمال الشعرية الكاملة (٢)
 ت : محمد أبو العطا كارلوس موينيث ٥٨ - مسرحيتان
 ت : السيد السيد سهيم جوهانز ايتين ٥٩ - العبرة
 ت : صبرى محمد عبد الفتى شارلوت سيمور - سميث ٦٠ - التصميم والشكل
 مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى بولان بارت ٦١ - موسوعة علم الإنسان
 ت : محمد خير البقاعى . لأن وود ٦٢ - لذة النص
 ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد برتوند راسل ٦٢ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج)
 ت : رمسيس عوض . أنطونيو جالا ٦٤ - برتراند واسل (سيرة حياة)
 ت : رمسيس عوض . فرناندو بيسوا ٦٥ - فى مد الكسل ومقولات أخرى
 ت : عبد اللطيف عبد العليم فالنتين راسبوتين ٦٦ - خمس مسرحيات أندلسية
 ت : المهدى آخريف فرناندو بيسوا ٦٧ - مختارات
 ت : أشرف الصباغ فالنتين راسبوتين ٦٨ - ناشاش العجوز وقصص أخرى
 ت : أحمد فؤاد متولى وهيدا محمد نهى عبد الرشيد إبراهيم ٦٩ - العلم الإسلامي في أول القرن الميلادى
 ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد أوخينيتو تشانج روبريجت ٧٠ - ثقافة وحضارة أمريكا اللاحقة
 ت : حسين محمود داريرو فو ٧١ - السيدة لا تصلح إلا للرمى

- ت : فؤاد مجلبي
ت : حسن ناظم على حاكم
ت : حسن بيومي
ت : أحمد درويش
ت : عبد المقصود عبد الكريم
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
ت : أحمد محمود ونوراً أمين
ت : سعيد القانسي وناصر حلبي
ت : مكارم الفخرى
ت : محمد طارق الشرقاوى
ت : محمود السيد على
ت : خالد العالى
ت : عبد الحميد شيبة
ت : عبد الرازق بركات
ت : أحمد فتحى يوسف شتا
ت : ماجدة العنانى
ت : إبراهيم الدسوقي شتا
ت : أحمد زايد ومحمد محى الدين
ت : محمد إبراهيم مبروك
ت : محمد هناء عبد الفتاح
- ت : نادية جمال الدين
ت : عبد الوهاب علوى
ت : فوزية العشماوى
ت : سرى محمد محمد عبد الطيف
ت : إيوار الغراظ
ت : بشير السباعى
ت : أشرف الصياغ
ت : إبراهيم قنديل
ت : إبراهيم فتحى
ت : رشيد بنتحوى
ت : عز الدين الكاذنى الإدريسى
ت : محمد بنليس
ت : عبد الفقار مكارى
ت : عبد العزيز شبيل
ت د. أشرف على دعور
ت : محمد عبد الله الجعیدى
- ت . س . إليوت
چين . ب . توميكتز
ل . ا . سيمينوفا
أندريه موروا
مجموعة من الكتاب
ريثنه ويليك
رونالد روبرتسون
بوريس أوسبنسكى
الكسندر بوشكين
بنديكت أندرسون
ميغيل دي أونامونو
غوتفرید بن
مجموعة من الكتاب
صلاح ذكرى أقطاى
جمال مير صادقى
جلال آل أحمد
جلال آل أحمد
أنتونى جيدنز
ميجل دي ترباتش
المسرح والتجربة بين النظرية والتطبيق
باربر الاسوستكا
- السياسى المعبوز
نقد استجابة القراء
صلاح الدين والمالك فى مصر
فن الترجمة والسير الذاتية
چاك لakan وإناء التحليل النفسى
تاريخ النقد الأدبي الحديث ج ٢
الولعة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكوبية
شعرية التأليف
بوشكين عند «نافورة الدموع»
الجماعات التخيالية
مسرح ميجيل
مخارات
موسوعة الأدب والنقد
منصور العلاج (مسرحية)
طول الليل
نون والقلم
الابتلاء بالتفرب
الطريق الثالث
وسم السيف
المسرح والتجربة بين النظرية والتطبيق
- أساليب ومضامين المسرح
الإسبانوأمريكى المعاصر
محدثات الولعة
الحب الأول والصحبة
مخارات من المسرح الإسباني
ثلاث زنبiqات ووردة
هوية فرنسا (المجلد الأول)
الهم الإنساني والابتزاز المصهيونى
تاريخ السينما العالمية
مساطة العولمة
النص الروانى (تقنيات ومناهج)
السياسة والتسامح
قبر ابن عربى يليه أيام
أويرا ماهروجنى
مدخل إلى النص الجامع
الادب الاندلسى
صورة الفدائى في الشعر الأمريكى المعاصر
- ٧٢
-٧٣
-٧٤
-٧٥
-٧٦
-٧٧
-٧٨
-٧٩
-٨٠
-٨١
-٨٢
-٨٣
-٨٤
-٨٥
-٨٦
-٨٧
-٨٨
-٨٩
-٩٠
-٩١
-٩٢
-٩٣
-٩٤
-٩٥
-٩٦
-٩٧
-٩٨
-٩٩
-١٠٠
-١٠١
-١٠٢
-١٠٣
-١٠٤
-١٠٥
-١٠٦
-١٠٧
- نخبة

- ت : محمود على مكى
 ت : هاشم محمد محمد
 ت : منى قطان
 ت : ريهام حسين إبراهيم
 ت : إكرام يوسف
 ت : أحمد حسان
 ت : نسيم مجلى
 ت : سمية رمضان
 ت : نهاد أحمد سالم
 ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
 ت : ليس النقاش
 ت : ياسرا/روف عباس
 ت : نخبة من المترجمين
 ت : محمد الجندي ، وإيزابيل كمال
 ت : منيرة كروان
 ت : أنور محمد إبراهيم
 ت : أحمد فؤاد بلبع
 ت : سمحى الخولي
 ت : عبد الوهاب علوب
 ت : بشير السباعى
 ت : أميرة حسن فويرة
 ت : محمد أبو العطا وآخرين
 ت : شوقي جلال
 ت : لويس بقطر
 ت : عبد الوهاب علوب
 ت : طلعت الشايب
 ت : أحمد محمود
 ت : ماهر شقيق فريد
 ت : سحر توفيق
 ت : كاميليا صبحى
 ت . وجيه سمعان عبد المسيح
 ت : مصطفى ماهر
 ت : أمل الجبورى
 ت : نعيم عطية
 ت : حسن بيومى
 ت : عدى السمرى
 ت : سلامة محمد سليمان
- مجموعة من النقاد
 چون بولوك وعادل درويش
 حسنة بييوجوم
 فرانسيس فينستون
 أرلين علوى ماكلابود
 سادى بلانت
 مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع وول شوبنكا
 فرجينيا وولف
 سينثيا نلسون
 ليلى أحمد
 بث بارون
 أميرة الأزهى سنبل
 ليلي أبو لغد
 فاطمة موسى
 جوزيف فوجت
 نيتل الكسندر وفناولينا
 چون جرائى
 سيدريك ثورب ديفى
 ثولانج إيسير
 صفاء فتحى
 سوزان باستنت
 ماريا بولورس أساس جاروه
 أندريه جوندر فرانك
 مجموعة من المؤلفين
 مايك فينرستون
 طارق على
 بارى ج. كيمب
 ت. س. إلبيوت
 كينيث كونو
 جوزيف ماري مواري
 إيلينا تارونى
 ريشارد فاجنر
 هربرت ميسن
 مجموعة من المؤلفين
 أ. م. فورستر
 ديريك ليدار
 كارلو جولدونى
- ١٠٨ - ثلاث دراسات عن الشعر الكلىس
 ١٠٩ - حروب المياه
 ١١٠ - النساء فى العالم النامي
 ١١١ - المرأة والجريمة
 ١١٢ - الاحتجاج الهادئ
 ١١٣ - رأية الترد
 ١١٤ - مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع وول شوبنكا
 ١١٥ - غرفة تخصل المرء وحده
 ١١٦ - امرأة مختلفة (درية شفيق)
 ١١٧ - المرأة والبنوسة فى الإسلام
 ١١٨ - النهضة النسائية فى مصر
 ١١٩ - النساء والأسرة وقوتين الطلق
 ١٢٠ - الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط
 ١٢١ - الدليل الصغير عن الكاتبات العربيات
 ١٢٢ - نظام العبوبية القديم ونموزج الإنسان
 ١٢٣ - الإمبراطورية العثمانية وعلاقتها الدولية
 ١٢٤ - الفجر الكاتب
 ١٢٥ - التحليل الموسيقى
 ١٢٦ - فعل القراءة
 ١٢٧ - إرهاب
 ١٢٨ - الأدب المقارن
 ١٢٩ - الرواية الإسبانية المعاصرة
 ١٣٠ - الشرق يصعد ثانية
 ١٣١ - مصر القيمة (التاريخ الاجتماعي)
 ١٣٢ - ثقافة العولمة
 ١٣٣ - الخوف من المرأة
 ١٣٤ - تshireخ حضارة
 ١٣٥ - المختار من تقد. س. إلبيوت
 ١٣٦ - فلاحو الباشا
 ١٣٧ - مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية
 ١٣٨ - عالم التليفزيون بين الجمال والعنف
 ١٣٩ - بارسيفال
 ١٤٠ - حيث تلتقي الأنهر
 ١٤١ - اثنتا عشرة مسرحية يونانية
 ١٤٢ - الإسكندرية : تاريخ ودليل
 ١٤٣ - قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى
 ١٤٤ - ماحبة الوكائنة

- ت : أحمد حسان
- ت : علي عبد الرؤوف البعبي
- ت : عبدالفالح مكالوى
- ت : علي إبراهيم على متوفى
- ت : أسامة إسبر
- ت : منيرة كروان
- ت : بشير السباعي
- ت : محمد محمد الخطابي
- ت : فاطمة عبدالله محمود
- ت : خليل كلفت
- ت : أحمد مرسي
- ت : مى التمسانى
- ت : عبد العزيز بقوش
- ت : بشير السباعي
- ت : إبراهيم فتحى
- ت : حسين بيومى
- ت: زيدان عبد الحليم زيدان
- ت: صلاح عبد العزيز محجوب
- ت: بإشراف: محمد الجومرى
- ت: نبيل سعد
- ت: سهير المصارفة
- ت: محمد محمود أبو غدير
- ت: شكرى محمد عياد
- ت: شكرى محمد عياد
- ت: شكرى محمد عياد
- ت: سام ياسين رشيد
- ت: هدى حسين
- ت: محمد محمد الخطابي
- ت: إمام عبد الفتاح إمام
- ت: أحمد محمود
- ت: وجيه سمعان عبد المسيح
- ت: جلال البنا
- ت: حصة إبراهيم المنيف
- ت: محمد حمدى إبراهيم
- ت: إمام عبد الفتاح إمام
- ت: سليم عبد الأمير حمدان
- ت: محمد يحيى
- ت: ياسين طه حافظ
- ت: فتحى العشري
- كارلوس فويتنس
- ميجيل دي ليس
- تانكريت نورست
- إنريك أندرسون إمبرت
- عاطف فضول
- روبرت ج. ليتمان
- فرنان برودل
- نخبة من الكتاب
- فيولين فاتووك
- فيل سليتر
- نخبة من الشعراء
- جي أنجل ولان وأوديت فيرمود
- الظامى الكترونى
- فرنان برودل
- ديفيد هووكس
- بول إيرلыш
- اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا
- يوحنا الأسيوى
- جوردن مارشال
- چان لاكتير
- أ. ن. أفانا سيفا
- يشعياهو ليفمان
- رابيدرانات طاغور
- مجموعة من المؤلفين
- مجموعة من المبدعين
- ميغيل دليبيس
- فرانك بيجو
- مخترارات
- ولرت. ستيس
- إيليس كاشمور
- لورينزو فيلشس
- توم تينبرج
- هنرى تروايا
- نخبة من الشعراء
- أيسوب
- إسماعيل فصيح
- فنست. ب. ليتش
- وب. بيتس
- رينيه چيلسون
- الورقة الحمراء
- خطبة الإدانة الطويلة
- القصة القصيرة (النظرية والتقنية)
- النظرية الشعرية عند بيروت وألونيس
- التجربة الإغريقية
- هوية فرنسا مع ٢ ، ج ١
- عدالة المهاود وقصص أخرى
- غرام الفراونة
- مدرسة فرانكلورت
- الشعر الأمريكي المعاصر
- المدارس الجمالية الكبرى
- حسرو وشيرين
- هوية فرنسا مع ٢ ، ج ٢
- الإيديولوجية
- آلية الطبيعة
- من المسرح الإسباني
- تاريخ الكنيسة
- موسوعة علم الاجتماع
- شامبوليون (حياة من نجد)
- حكايات الثعلب
- العلاقات بين التقينيين والعلمانيين في إسرائيل
- فى عالم طاغور
- دراسات فى الأدب والثقافة
- إبداعات أدبية
- الطريق
- وضع حد
- حجر الشمس
- معنى الجمال
- صناعة الثقافة السوداء
- التليفزيون فى الحياة اليومية
- نحو مفهوم للاتصاليات البنية
- أنطون شيخوف
- مخترارات من الشعر اليونانى الحديث
- قصة جاريد
- النقد الأدبي الأمريكى
- العنف والتباينة
- جان كوكتو على شاشة السينما

- ت: نسوفي سعيد
 ت: عبد الوهاب علوى
 ت: إمام عبد الفتاح إمام
 ت: محمد علاء الدين منصور
 ت: بدر الدين
 ت: سعيد الفائز
 ت: محسن سيد فرجاني
 ت: مصطفى حجازى السيد
 ت: محمود سلامة علوى
 ت: محمد عبد الواحد محمد
 ت: ماهر شفيق فريد
 ت: محمد علاء الدين منصور
 ت: أشرف الصياغ
 ت: جلال السعيد الحفناوى
 ت: إبراهيم سلامة إبراهيم
 ت: جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد الطيف حماد
 ت: فخرى لبيب
 ت: أحمد الانصارى
 ت: مجاهد عبد المنعم مجاهد
 ت: جلال السعيد الحفناوى
 ت: أحمد محمود هويدى
 ت: أحمد مستجير
 ت: على يوسف على
 ت: محمد أبو العطا عبد الرزوف
 ت: محمد أحمد صالح
 ت: أشرف الصياغ
 ت: يوسف عبد الفتاح فرج
 ت: محمود حمدى عبد الفتى
 ت: يوسف عبد الفتاح فرج
 ت: سيد أحمد على الناصرى
 ت: محمد محمود محى الدين
 ت: محمود سلامة علوى
 ت: أشرف الصياغ
 ت: نادية البنهاوى
 ت: على إبراهيم على منوفى
 ت: طلعت الشايب
 ت: على يوسف على
 ت: رفعت سلام
- هائز إيندورفر
 توماس تومن
 ميخائيل إنورود
 بُنْدُجْ علَى
 الفين كرنان
 بول دى مان
 كونفوشيوس
 العاج أبو بكر إمام
 زين العابدين المراغى
 بيتر أبrahamز
 مجموعة من النقاد
 إسماعيل فتحى
 فالتنين واسبوتين
 شمس العلماء شبلى التعمانى
 ادونين إمرى وأخرين
 يعقوب لاندولى
 جيرمى سيمروك
 جوزايا رويس
 رينيه ويليك
 الطاف حسين حالى
 زالمان شازار
 لوچین لوچا کافاللى- سفیرزا
 جیمس جلایک
 رامون خوتاستندر
 دان اوبيان
 مجموعة من المؤلفين
 سنانى الغزوى
 جوناثان كلر
 مربزان بن رستم بن شروين
 ريمون فلادر
 أنتونى جيبنز
 زين العابدين المراغى
 مجموعة من المؤلفين
 ص. بيكيت
 خوليو كورتازان
 كازو ايشجورو
 بارى باركر
 جريجورى جوزدانيس
- ١٨٤ - القاهرة... حالة لا تنام
 ١٨٥ - أسفار الهدى القديم
 ١٨٦ - مجم مصطلحات هيجل
 ١٨٧ - الأرضة
 ١٨٨ - موت الأدب
 ١٨٩ - العلم والبصرة
 ١٩٠ - محاررات كونفوشيوس
 ١٩١ - الكلام رأسمايل
 ١٩٢ - سياحة نامة إبراهيم بك ج٢
 ١٩٣ - عامل المجتمع
 ١٩٤ - مختارات من النقد الانجلو-أمريكى
 ١٩٥ - شتاء ٨٤
 ١٩٦ - الملة الأخيرة
 ١٩٧ - الفاروق
 ١٩٨ - الاتصال الجماهيري
 ١٩٩ - تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية
 ٢٠٠ - حضايا التنمية
 ٢٠١ - البانب الدينى للسلطة
 ٢٠٢ - تاريخ النقد الأدبى الحديث ج٤
 ٢٠٣ - الشعر والشاعرية
 ٢٠٤ - تاريخ نقد المهد القديم
 ٢٠٥ - العبيبات والشعوب واللغات
 ٢٠٦ - البيولىة تصنع علمًا جديداً
 ٢٠٧ - ليل إفريقي
 ٢٠٨ - شخصية العربي في المسرح الإسرائيلى
 ٢٠٩ - السرد والمسرح
 ٢١٠ - مشتوبات حكيم سنانى
 ٢١١ - فريدييان بوسپير
 ٢١٢ - قصص الأمير مربزان
 ٢١٣ - مصر منذ قديم تأليبيون حتى رحيل محمد الناصر
 ٢١٤ - قواعد جديدة للمنهج في علم الاجتماع
 ٢١٥ - سياحة نامة إبراهيم بك ج٣
 ٢١٦ - جوانب أخرى من حياتهم
 ٢١٧ - مسرحيتان طليعيتان
 ٢١٨ - لعبة المجلة (رايولا)
 ٢١٩ - يقابا اليوم
 ٢٢٠ - البيولىة فى الكون
 ٢٢١ - شعرية كافانى

- ت: نسيم مجلن
ت: السيد محمد نفادي
ت: هنري عبدالظاهر إبراهيم السيد
ت: السيد عبد القاهر السيد
ت: طاهر محمد على البربرى
ت: السيد عبدالظاهر عبدالله
ت: ماري تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
ت: أمير إبراهيم العمري
ت: مصطفى إبراهيم فهمي
ت: جمال أحمد عبد الرحمن
ت: مصطفى إبراهيم فهمي
ت: طلعت الشايب
ت: فؤاد محمد عكود
ت: إبراهيم الدسوقي شتا
ت: أحمد الطيب
ت: عنایات حسين طنطع
ت: ياسر محمد جاد الله وعربى مدبولى أحمد
ت: نادى سليمان حافظ إيهاب صلاح فايق
ت: صلاح عبد العزيز محجوب
ت: ابتسام عبدالله سعيد
ت: صبرى محمد حسن عبد النبى
ت: على عبد الرؤوف البهنى
ت: نادى جمال الدين محمد
ت: توفيق على منصور
ت: على إبراهيم على منوفى
ت: محمد طارق الشرقاوى
ت: عبد اللطيف عبد الحليم عبد الله
ت: رفعت سلام
ت: ماجدة محسن أباظة
ت: بإشراف: محمد الجوهري
ت: على بدران
ت: حسن بيومى
ت: إمام عبد الفتاح إمام
ت: إمام عبد الفتاح إمام
ت: إمام عبد الفتاح إمام
ت: محمود سيد أحمد
ت: عباده كھليلة
ت: فاروجان كازانجيان
- رونالد جرائى
بول فيراينر
برانكا ماجاس
جابريل جارثيا ماركت
ديفيد هربت لورانس
موسى مارديبا ديف بودكى
جانيت وولف
نورمان كيجان
فرانسواز جاكوب
خايمي سالوم بيدال
توم ستينز
أوشر هومان
ج. سينثي تريمنجهام
جلال الدين مولوى رومس
ميشيل تود
روبين فيرين
الإنكاد
جيلا رافر - رايرخ
كامى حافظ
ج. م كويتز
ولام إمبسون
ليلى بروفنسال
لورا إسكييل
إليزابيتا أيس
جاريل جارثيا ماركت
والتر إرمبرىست
أنطونيو جالا
دراجو شاتمبوك
دومينيك فينيك
جوردن مارشال
مارجو بدران
ل. أ. سيمينوفا
ديف روپنسون وجروز
ديف روپنسون وجروز جروفز
ديف روپنسون ، كريس جرات
وليم كل رايت
سيير أنجوس فريزر
الفلسفة
أفلامون
ديكارت
تاریخ الفلسفة الحديثة
الغجر
مخترارات من الشعر الأرمني عبر العصور . اقلام مختلفة
- ـ٢٢٢ فرانز كافكا
ـ٢٢٣ العلم في مجتمع حر
ـ٢٤٣ دمار يوغسلافيا
ـ٢٥٥ حكاية غريق
ـ٢٦٦ أرض المساواة وقصائد أخرى
ـ٢٧٣ المسرح الإسباني في القرن السابع عشر
ـ٢٨٤ علم الجمالية وعلم اجتماع الفن
ـ٢٩٩ مأذق البطل الوحيد
ـ٣٠ عن الذباب والفنان والبشر
ـ٣١ المراويل
ـ٣٢ ما بعد المعلومات
ـ٣٣ فكرة الأضليل
ـ٣٤ الإسلام في السودان
ـ٣٥ بيوان شمس تبريزى ج ١
ـ٣٦ الولاية
ـ٣٧ مصر أرض الوادى
ـ٣٨ العولمة والتغير
ـ٣٩ العرب في الأدب الإسرائيلي
ـ٤٠ الإسلام والغرب وأمكانية العوار
ـ٤١ في انتظار البرابرية
ـ٤٢ سبيعة أنماط من الموضوع
ـ٤٣ تاريخ إسبانيا الإسلامية (المجلد الأول)
ـ٤٤ الظليان
ـ٤٥ نساء مقاتلات
ـ٤٦ مختارات قصصية
ـ٤٧ الثقافة الصهاينة والحداثة في مصر
ـ٤٨ حقول عن الخضراء
ـ٤٩ للة التمزق
ـ٥٠ علم اجتماع العلوم
ـ٥١ موسوعة علم الاجتماع (ج ٢)
ـ٥٢ رائدات الحركة النسوية المصرية
ـ٥٣ تاریخ مصر الفاطمية
ـ٥٤ الفلسفة
ـ٥٥ أفلاطون
ـ٥٦ ديكارت
ـ٥٧ تاریخ الفلسفة الحديثة
ـ٥٨ الغجر
ـ٥٩ مختارات من الشعر الأرمني عبر العصور . اقلام مختلفة

- ت: باشراف: محمد الجوهرى
ت: إمام عبد الفتاح إمام
ت: محمد أبو العطا عبد الرزوف
ت: على يوسف على
ت: لويس عوض
ت: لويس عوض
ت: عادل عبد المتنم سليم
ت: بدر الدين عرويكي
ت: إبراهيم الدسوقي شتا
ت: صبرى محمد حسن
ت: صبرى محمد حسن
ت: شوقى جلال
ت: إبراهيم سلامة
ت: عنان الشهاوى
ت: محمود مكى
ت: ماهر شفيف فريد
ت: عبد القادر التمسانى
ت: أحمد فوزى
ت: طريف عبدالله
ت: طلعت الشايب
ت: سمير عبد الحميد
ت: جلال العفتانى
ت: سمير هنا صادق
ت: على البمبى
ت: أحمد عثمان
ت: سمير عبد الحميد
ت: محمود سلامة علوى
ت: محمد يعنى وأخرين
ت: ماهر البطوطى
ت: محمد نور الدين عبد المنعم
ت: أحمد زكريا إبراهيم
ت: السيد عبد الظاهر
ت: السيد عبد الظاهر
ت: نخبة من المترجمين
ت: رجاء ياقوت صالح
ت: بدر الدين حب الله الدبيب
ت: محمد مصطفى بدوى
ت: ماجدة محمد أنور
- جوردن مارشال
رکى نجيب محمود
إدوارد منوئلا
چون جرین
هوراس/ شلى
أوسكار وايلد وصموئيل جونسون
جلال آل أحد
ميلان كونديرا
جلال الدين الرومى
وليم جيفر بالجريف
وليم جيفر بالجريف
توماس سى. باترسون
س. س والتز
جوان أر. لوك
رومولو جلاجوس
أفلام مختلفة
فرانك جوتيران
بريان فورد
إسحق عظيموف
ف.س. سوندرز
بريم شند وأخرين
مولانا عبد الحليم شرر الكھنوي
لويس وليرت
خوان رولفو
يوبيديس
حسن نظامى
زين العابدين المراغى
انتونى كنج
ديفيد لودج
أبو نجم أحمد بن قوص
جوجون مونان
فراشسكي رويس رامون
فراشسكي رويس رامون
دوجر آلان
بوالو
جوزيف كامبل
وليم شكسبير
نيونسيوس ثراكس - يوسف الأهمانى
- ٢٦٠- موسوعة علم الاجتماع ج ٢
٢٦١- رحلة في فكر زكي نجيب محمود
٢٦٢- مدينة المعجزات
٢٦٣- الكشف عن حالة الزمن
٢٦٤- إبداعات شعرية مترجمة
٢٦٥- روايات مترجمة
٢٦٦- مدير المدرسة
٢٦٧- فن الرواية
٢٦٨- ديوان شعس تبريزى ج ٢
٢٦٩- وسط الجزيرة العربية وشرقاها ج ١
٢٧٠- وسط الجزيره العربيه وشرقاها ج ٢
٢٧١- الحضارة الغربية
٢٧٢- الأديرة الأثرية في مصر
٢٧٣- الاستعمار والثورة في الشرق الأوسط
٢٧٤- السيدة باربارا
٢٧٥- س. إلبيوت شاعرا وناديا وكانتا مسرحيا
٢٧٦- فنون السينما
٢٧٧- الجيئات: الصراع من أجل الحياة
٢٧٨- الديانات
٢٧٩- الحرب الباردة الثقافية
٢٨٠- من الأدب الهندى الحديث والمعاصر
٢٨١- الفروس الأعلى
٢٨٢- طبيعة العلم غير الطبيعية
٢٨٣- السهل يحترق
٢٨٤- هرقل مجذتنا
٢٨٥- رحلة الخواجة حسن نظامى
٢٨٦- سياحت نامة إبراهيم بد ج ٢
٢٨٧- الثقافة والعلوة والنظام العالمي
٢٨٨- الفن الروائى
٢٨٩- ديوان منجوهرى الدامقانى
٢٩٠- علم اللغة والترجمة
٢٩١- المسرح الإسباني فى القرن العشرين ج ١
٢٩٢- المسرح الإسباني فى القرن العشرين ج ٢
٢٩٣- مقدمة للأدب العربى
٢٩٤- فن الشعر
٢٩٥- سلطان الأسطورة
٢٩٦- مكتب
٢٩٧- فن النحو بين اليونانية والسريانية

- ٢٩٨- مأساة العيد
- ٢٩٩- ثورة في التكنولوجيا الحيوية
- ٣٠٠- أسطورة بروميثيوس في الأدبين لويس عوض الإنجليزي والفرنسي مج ١
- ٣٠١- أسطورة بروميثيوس في الأدبين لويس عوض الإنجليزي والفرنسي مج ٢
- ٣٠٢- فنجلشتين
- ٣٠٣- بودا
- ٣٠٤- ماركس
- ٣٠٥- الجلد
- ٣٠٦- الحماسة - النقد الكانطي للتاريخ
- ٣٠٧- الشعور
- ٣٠٨- علم الوراثة
- ٣٠٩- الذهن والمخ
- ٣١٠- يونج
- ٣١١- مقال في المنهج الفلسفى
- ٣١٢- روح الشعب الأسود
- ٣١٣- أمثال فلسطينية
- ٣١٤- الفن كعمر
- ٣١٥- جرامشى فى العالم العربى
- ٣١٦- محاكمة سقراط
- ٣١٧- بلا غد
- ٣١٨- الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة
- ٣١٩- صور دريدا
- ٣٢٠- لغة السراج فى حضرة الناج
- ٣٢١- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ج ١)
- ٣٢٢- وجهات غربية حديثة فى تاريخ الفن
- ٣٢٣- فن الساتورا
- ٣٢٤- اللعب بالنار
- ٣٢٥- عالم الآثار
- ٣٢٦- المعرفة والمصلحة
- ٣٢٧- مختارات شعرية مترجمة
- ٣٢٨- يوسف وزليخا
- ٣٢٩- رسائل عبد الميلاد
- ٣٣٠- كل شيء عن التمثيل الصامت
- ٣٣١- عندما جاء السردين
- ٣٣٢- القصة القصيرة فى إسبانيا
- ٣٣٣- الإسلام فى بريطانيا
- ت: مصطفى حجازى السيد
- ت: هاشم أحمد فؤاد
- ت: جمال الجزيرى وبهاء جاهين
- وابزابل كمال
- ت: جمال الجزيرى و محمد الجندي
- ت: إمام عبد الفتاح إمام
- ت: إمام عبد الفتاح إمام
- ت: إمام عبد الفتاح إمام
- ت: صلاح عبد الصبور
- ت: نبيل سعد
- ت: محمود محمد أحمد
- ت: ممدوح عبد المعمم أحمد
- ت: جمال الجزيرى
- ت: محى الدين محمد حسن
- ت: فاطمة اسماعيل
- ت: أسعد حليم
- ت: عبدالله الجعدي
- ت: هoria السباعي
- ت: كاميليا صبحى
- ت: نسيم مجلن
- ت: أشرف الصياغ
- ت: أشرف الصياغ
- ت: حسام نايل
- ت: محمد علاء الدين منصور
- ت: ثيبة من المترجمين
- ت. خالد مقلح حمزه
- ت: هاتم سليمان
- ت: محمود سلامة علوى
- ت: كرستين يوهوف
- ت: حسن صقر
- ت: توفيق على منصور
- ت: عبد العزيز بقوش
- ت: محمد عبد إبراهيم
- ت: سامي صلاح
- ت: سامية دياب
- ت: على إبراهيم على متوفي
- ت: بكر عباس
- أبو بكر تقوابلية
- جين ل. ماركس
- لويس عوض
- الإنجليزى والفرنسى مج ١
- لويس عوض
- جيتن هيتن وجروفر
- جين هوپ ويورن فان لون
- ريوس
- كريزو ماالبارته
- جان - فرنسوا ليوتار
- ديليد بابينو
- ستيف جوز
- أنجوس چيلاتى
- ناجي هيد
- كونتجورد
- وليم دى بويز
- خابرر بيان
- جيئس مينيك
- ميتشيل بروندينيو
- آف. ستون
- شير لايموفا- زن يكن
- نخبة
- جايتير ياسبيفاك وكروستوفر فوربس
- مؤلف مجہول
- ليفى برو فنسال
- دبليو بوجين كلينباور
- تراث يوثانى قديم
- أشرف أسدى
- فيليب بوسان
- جورجين هابرماس
- نخبة
- نور الدين عبد الرحمن بن أحمد
- تد هيوز
- مارفن شيرد
- ستيفن جرائى
- نخبة
- نبيل مطر

- ٢٢٤- لقطات من المستقبل
 ٢٢٥- عصر الشك
 ٢٢٦- متون الأهرام
 ٢٢٧- فلسفة الولاء
 ٢٢٨- نظرات مأثرة (وتحصص أخرى من الهند)
 ٢٢٩- تاريخ الأدب في إيران ج٢
 ٢٣٠- اضطراب في الشرق الأوسط
 ٢٣١- قصائد من رلكه
 ٢٣٢- سلامان وأبسال
 ٢٣٣- العالم البرجوازي الزائل
 ٢٣٤- الموت في الشمس
 ٢٣٥- الركض خلف الزمن
 ٢٣٦- سحر مصر
 ٢٣٧- الصبية الطائشون
 ٢٤٨- المتصولة الأولون في الأدب التركي ج١
 ٢٤٩- دليل القارئ إلى الثقافة الباجة
 ٢٥٠- بانوراما الحياة السياحية
 ٢٥١- مبادئ المنطق
 ٢٥٢- قصائد من كنافيس
 ٢٥٣- الفن الإسلامي في الأنجلس (الزخرفة الهندسية)
 ٢٥٤- الفن الإسلامي في الأنجلس (الزخرفة النباتية)
 ٢٥٥- التيارات السياسية في إيران
 ٢٥٦- الميراث المر
 ٢٥٧- متون هيرميس
 ٢٥٨- أمثال الهوس العالمية
 ٢٥٩- محاورات بارمنيدس
 ٢٦٠- أنشوبولوجيا اللغة
 ٢٦١- التصرع: التهديد والمجايبة
 ٢٦٢- تلميذ بابنبريج
 ٢٦٣- حركات التحرير الأفريقية
 ٢٦٤- حداثة شكسبيرو
 ٢٦٥- سام باريس
 ٢٦٦- نساء يركضن مع الثبات
 ٢٦٧- القلم الجرىء
 ٢٦٨- المصطلح السردى
 ٢٦٩- المرأة في أدب نجيب محفوظ
 ٢٧٠- الفن والحياة في مصر الفرعونية
 ٢٧١- المتصولة الأولون في الأدب التركي ج٢
- أثر س كلارك
 ثاتالي ساروت
 نصوص قديمة
 جوزايا رويس
 نخبة
 على أصغر حكمت
 بيرش بيربير جلو
 راينر ماريا رلكه
 نور الدين عبد الرحمن بن أحمد
 نابين جورنير
 بيتر بلانجهوره
 بوته نداني
 رشاد رشدي
 جان كوكتو
 محمد فؤاد كويريلى
 أرثر والبرون وآخرين
 أفلام مختلفة
 جوزايا رويس
 قسطنطين ككافيس
 باسيليو بايون مالدونادو
 باسيليو بايون مالدونادو
 حجت مرقصى
 بول سالم
 نصوص قديمة
 نخبة
 أفلاطون
 أندرية جاكوب ونويلا باركان
 آلان جرينجر
 هايبرش شبورال
 ريتشارد جيبسون
 إسماعيل سراج الدين
 شارل بودلير
 كلارسا بنتكولا
 نخبة
 جيرالد برنس
 فورية العثماني
 كليرلا لوبيت
 محمد فؤاد كويريلى
- ت: مصطفى فهمى
 ت: فتحى العشري
 ت: حسن صابر
 ت: أحمد الانصارى
 ت: جلال السعيد العلناوى
 ت: محمد علاء الدين منصور
 ت: فخرى لبيب
 ت: حسن حلمى
 ت: عبد العزيز بقوش
 ت: سمير عبد ربه
 ت: سمير عبد ربه
 ت: يوسف عبد الفتاح فرج
 ت: جمال الجزيري
 ت: بكر الحلو
 ت: عبدالله أحمد إبراهيم
 ت: أحمد عمرو شاهين
 ت: عطية شحاته
 ت: أحمد الانصارى
 ت: نعيم عطية
 ت: على إبراهيم على منوفى
 ت: على إبراهيم على منوفى
 ت: محمود سلامة علارى
 ت: بدر الرفاعى
 ت: عمر الفاروق عمر
 ت: مصطفى حجازى السيد
 ت: حبيب الشاروينى
 ت: ليلى الشربينى
 ت: عاطف معتمد وأمثال شاور
 ت: سيد أحمد فتح الله
 ت: صبرى محمد حسن
 ت: نجلاء أبو عجاج
 ت: محمد أحمد حمد
 ت: مصطفى محمود محمد
 ت: البراق عبدالهادى رضا
 ت: عابد خزندار
 ت: فوزية العثمانوى
 ت: فاطمة عبدالله محمود
 ت: عبدالله أحمد إبراهيم

- ٣٧٢- عاش الشباب
 ٣٧٣- كيف تقد رسالة بكتوراه
 ٣٧٤- اليوم السادس
 ٣٧٥- الخلود
 ٣٧٦- الفوضى وأحلام السنين
 ٣٧٧- تاريخ الأدب في إيران ج١
 ٣٧٨- المسافر
 ٣٧٩- ملك في العصبة
 ٣٨٠- حديث عن الفسارة
 ٣٨١- أساسيات اللغة
 ٣٨٢- تاريخ طبرستان
 ٣٨٣- هدية العجاز
 ٣٨٤- القصص التي يحكها الأطفال
 ٣٨٥- مشتري العشق
 ٣٨٦- دفاغاً عن التاريخ الأدبي النسوى
 ٣٨٧- أغنيات وسوناتات
 ٣٨٨- مواعظ سعدى الشيرازى
 ٣٨٩- من الأدب الباكستاني المعاصر
 ٣٩٠- الأرشيفات والفن الكبرى
 ٣٩١- الحافظة اليلكية
 ٣٩٢- مقامات ووسائل أندلسية
 ٣٩٣- في قلب الشرق
 ٣٩٤-قوى الأربع الأساسية في الكون
 ٣٩٥- آلام سياوش
 ٣٩٦- السافاك
 ٣٩٧- نيتشه
 ٣٩٨- سارتر
 ٣٩٩- كامي
 ٤٠٠- مرموم
 ٤٠١- الرياضيات
 ٤٠٢- هوكجع
 ٤٠٣- ربة المطر والملابس تصنع الناس
 ٤٠٤- تعويذة الحصى
 ٤٠٥- إيزابيل
 ٤٠٦- المستعربون الإسبان في القرن ١٩
 ٤٠٧- الأدب الإسباني المعاصر يتكلم كتابه
 ٤٠٨- مجمع تاريخ مصر
 ٤٠٩- انتصار السعادة
- وانغ مينغ
 أمبرتو إيكو
 أندره شميد
 ميلان كونديرا
 نخبة
 على أصوات حكمت
 محمد إقبال
 سنيل باش
 جونتر جراس
 ر. ل. تراسك
 بهاء الدين محمد إسفنديار
 محمد إقبال
 سوزان إنجليل
 محمد علي بهزاداد
 جانيت تود
 چون دن
 سعدى الشيرازى
 نخبة
 نخبة
 مایف بینش
 نخبة
 ثورة لروس ماسينيون
 بول بيفيز
 إسماعيل فصيح
 تقى نجارى راد
 لورانس جين
 فيليب تودى
 ديفيد ميرفوت
 مشيانيل إنده
 زيانون سارير
 ج. ب. ماك ايفلى
 توبور شتردم
 بيغيد إبرام
 أندره جيد
 مانويل مانتاناريس
 أقلام مختلفة
 جوان فوشترنكج
 برتراند راسل
- ت: وحيد السعيد عبد العميد
 ت: على إبراهيم على متوفى
 ت: حمادة إبراهيم
 ت: خالد أبو اليزيد
 ت: إيوار الفرات
 ت: محمد علاء الدين منصور
 ت: يوسف عبد الفتاح فرج
 ت: جمال عبد الرحمن
 ت: شيرين عبد السلام
 ت: رانيا إبراهيم يوسف
 ت: أحمد محمد فادي
 ت: سمير عبد الحميد إبراهيم
 ت: إيزابيل كحال
 ت: يوسف عبد الفتاح فرج
 ت: زيham حسين إبراهيم
 ت: بهاء جاهين
 ت: محمد علاء الدين منصور
 ت: سمير عبد الحميد إبراهيم
 ت: عثمان مصطفى عثمان
 ت: منى الروينى
 ت: عبد اللطيف عبد العليم
 ت: زينب محمود الخضيري
 ت: هاشم أحمد محمد
 ت: سليم حمدان
 ت: محمود سلامة عالى
 ت: إمام عبد الفتاح إمام
 ت: إمام عبد الفتاح إمام
 ت: إمام عبد الفتاح إمام
 ت: باهر الجوهري
 ت: معموح عبد المنعم
 ت: معموح عبد المنعم
 ت: عماد حسن بكر
 ت: ظبية خميس
 ت: حمادة إبراهيم
 ت: جمال أحمد عبد الرحمن
 ت: طلعت شاهين
 ت: عنان الشهابى
 ت: إلهامى عماره

- ٤١٠- خلاصة القرن
 ٤١١- محسن من الماضي
 ٤١٢- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مجلد ٢، ج ٢) ليف بروفنسال
 ٤١٣- أثنيات المنفى
 ٤١٤- الجمهورية العالمية للأدب
 ٤١٥- صورة كوكب
 ٤١٦- مبادىء النقد الأدبي والعلم والشعر
 ٤١٧- تاريخ النقد الأدبي الحديث جه
 ٤١٨- سياسات الزمر الحاكمة في مصر العثمانية جين هاثواي
 ٤١٩- العصر الذهبي للاسكندرية
 ٤٢٠- مكرر ميجاس
 ٤٢١- الولادة والتبايرة
 ٤٢٢- رحلة لاستكشاف أفريقيا ج ١
 ٤٢٣- إسراطات الرجل الطيف
 ٤٢٤- لوائح الحق ولوائح العشق
 ٤٢٥- من طاروس إلى فوج
 ٤٢٦- الخفاقيش وقصص أخرى
 ٤٢٧- بانديراس الطاغية
 ٤٢٨- الغزارة الخفية
 ٤٢٩- هيجل
 ٤٣٠- كانط
 ٤٣١- فوكو
 ٤٣٢- ماكيافللي
 ٤٣٣- جويس
 ٤٣٤- الرومانسية
 ٤٣٥- توجهات ما بعد الحداثة
 ٤٣٦- تاريخ الفلسفة (مجلد ١)
 ٤٣٧- رحالة هندي في بلاد الشرق
 ٤٣٨- بطولات وضحايا
 ٤٣٩- موت المرأة
 ٤٤٠- قواعد اللهجات العربية
 ٤٤١- وب الأشياء الصغيرة
 ٤٤٢- حتشبسوت (المراة الفرعونية)
 ٤٤٣- اللغة العربية
 ٤٤٤- أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة
 ٤٤٥- حول وزن الشعر
 ٤٤٦- التحالف الأسود
 ٤٤٧- نظرية الكم
- كارل بوير
 جينيفير أكرمان
 نظام حكم
 باسكال كازانوفا
 فريديريش بورنيمات
 أ. رنتشارizer
 رينيه ويليك
 جين هاثواي
 جون مايو
 فولتير
 بري متعددة
 نخبة
 نخبة
 نور الدين عبد الرحمن الجامي
 محمود طلوسي
 نخبة
 باي إنكلان
 محمد هوتك
 ليود سبنسر وأندرزنجي كروز
 كرستوفر وانت وأندرزنجي كليموفسكي
 كريس هورووكس وزدادان جيفتيك
 باتريك كيري وأوسكار زارييت
 ديفيد نوريس وكارول فلت
 بونكان هيث وجون بورهام
 نيكولاوس زيربرج
 فردريك كوبيلستون
 شibli النعماني
 إيمان ضياء الدين بيبرس
 صدر الدين عيني
 كرستن بروسناد
 أروندهاتي بري
 فوزية أسد
 كيس فرنستينغ
 لاوريت سيجورنة
 برويز نائل خائزري
 الكسندر كوكرين وجيفري سانت كلير
 ج. ب. ماك إيفري
- ت: النواوى بغوره
 ت: أحمد مستجير
 ت: نخبة
 ت: محمد البخارى
 ت: أمل الصبان
 ت: أحمد كامل عبد الرحيم
 ت: مصطفى بدوى
 ت: مجاهد عبد المنعم مجاهد
 ت: عبد الرحمن الشيخ
 ت: نسميم مجلى
 ت: الطيب بن رجب
 ت: أشرف محمد كيلانى
 ت: عبدالله عبدالرازق إبراهيم
 ت: وحيد النقاش
 ت: محمد علاء الدين منصور
 ت: محمود سلامة على
 ت: محمد علاء الدين منصور وبعد الحقيقة يعقوب
 ت: ثريا شلبى
 ت: محمد أمان صافى
 ت: إمام عبد الفتاح إمام
 ت: حمدى الجابرى
 ت: عصام حجازى
 ت: ناجي رشوان
 ت: إمام عبد الفتاح إمام
 ت: جلال السعيد الحفناوى
 ت: عايدة سيف الدولة
 ت: محمد علاء الدين منصور وبعد الحقيقة يعقوب
 ت: محمد الشرقاوى
 ت: فخرى لبيب
 ت: ماهر جويجاتى
 ت: محمد الشرقاوى
 ت: صالح عثمانى
 ت: محمد محمد يونس
 ت: أحمد محمود
 ت: مصطفى عبد المنعم

٤٤٨ - علم نفس التطور
 ٤٤٩ - المركبة النسائية
 ٤٥٠ - ما بعد الحركة النسائية
 ٤٥١ - الفلسفة الشرفية
 ٤٥٢ - لينين والثورة الروسية
 ٤٥٣ - القاهرة، إقامة مدينة حديثة
 ٤٥٤ - خمسون عاماً من السينما الفرنسية
 ٤٥٥ - تاريخ الفلسفة الحديثة (مجه)
 ٤٥٦ - لا تنسني
 ٤٥٧ - النساء في الفكر السياسي الغربي
 ٤٥٨ - الموريسكيون الأنجلسيون
 ٤٥٩ - نحو مفهوم لاقتراحات الوارد الطبيعية
 ٤٦٠ - الفاشية والنازية
 ٤٦١ - لكن
 ٤٦٢ - ط حسين من الأزهر إلى السوربون
 ٤٦٣ - الدولة المارقة
 ٤٦٤ - ديمقراطية القلة
 ٤٦٥ - قصص اليهود
 ٤٦٦ - حكايات حب وبطلات فرعونية
 ٤٦٧ - التفكير السياسي
 ٤٦٨ - روح الفلسفة الحديثة
 ٤٦٩ - جلال الملوك
 ٤٧٠ - الأرضي والجودة البنية
 ٤٧١ - رحلة لاستكشاف أفريقيا ٢
 ٤٧٢ - دون كيخوتي (القسم الأول)
 ٤٧٣ - دون كيخوتي (القسم الثاني)
 ٤٧٤ - الأدب والتسموية
 ٤٧٥ - صوت مصر: أم كلثوم
 ٤٧٦ - أرض العجائب بعيدة: بيرم التونسي
 ٤٧٧ - تاريخ الصين
 ٤٧٨ - الصين والولايات المتحدة
 ٤٧٩ - المقهى (مسرحية صينية) لاوش
 ٤٨٠ - تسأى ون جى (مسرحية صينية) كو موروا
 ٤٨١ - عبامة الثبي
 ٤٨٢ - موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية روبير جاك تيتو
 ٤٨٣ - النسوية وما بعد النسوية سارة چامبل
 ٤٨٤ - جمالية الثقل هاشمن روبيرت يابوس
 ٤٨٥ - التربية (رواية) تنير أحمد الداهلي

- ٤٨٦- الذاكرة الحضارية
 ٤٨٧- الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية
 ٤٨٨- العب الذي كان وقصائد أخرى
 ٤٨٩- فُسْرل: الفلسفة على دقيقًا
 ٤٩٠- أسمار البيفاء
- ٤٩١- نصوص قصصية من رواية الأدب الأفريقي
 ٤٩٢- محمد على مؤسس مصر الحديثة
 ٤٩٣- خطابات إلى طالب الصوتيات
 ٤٩٤- كتاب الموتى (الخروج في النهار)
 ٤٩٥- الليبي
- ٤٩٦- الحكم والسياسة في أفريقيا
 ٤٩٧- العلمانية والنوع والدولة في الشرق الأوسط
 ٤٩٨- النساء والتوع في الشرق الأوسط الحديث
 ٤٩٩- تقاطعات: الأمة والمجتمع والجنس
 ٥٠٠- في طقوسي (دراسة في السيرة الذاتية العربية)
- ٥٠١- تاريخ النساء في الغرب
 ٥٠٢- أصوات بديلة
 ٥٠٣- مختارات من الشعر الفارسي الحديث
 ٥٠٤- كتابات أساسية ج ١
 ٥٠٥- كتابات أساسية ج ٢
 ٥٠٦- ربما كان قديساً
 ٥٠٧- سيدة الماضي الجميل
 ٥٠٨- الملووية بعد جلال الدين الرومي
 ٥٠٩- المقر والإحسان في عبد سلطين المالك
 ٥١٠- الارملة الماكرة
 ٥١١- كوكب مرقع
 ٥١٢- كتابة النقد السينمائي
 ٥١٣- العلم الجسر
- ٥١٤- مدخل إلى النظرية الأدبية
 ٥١٥- من التقليد إلى ما بعد الحداثة
 ٥١٦- إرادة الإنسان في شفاء الإدمان
 ٥١٧- نقش على الماء وقصص أخرى
 ٥١٨- استكشاف الأرض والكون
 ٥١٩- محاضرات في المثالية الحديثة
 ٥٢٠- الواقع بمصر من الحكم إلى المشروع
- ٥٢١- قاموس تراجم مصر الحديثة
 ٥٢٢- إسبانيا في تاريخها
- ٥٢٣- الفن الطليطلني الإسلامي والمجنون
- يان أسمون
 رفيع الدين المراد آبادى
 نخبة
 مُسلّل
 محمد قادرى
 نخبة
 جي فارجيت
 هارولد بالمر
 نصوص مصرية قيمة
 إلوارد تيفان
 إيكابو بازولى
 نادية العلي
 جوديث تاكر ومارجريت مروينز
 نخبة
 بيتر رووكى
 أرش جولد هامر
 هدى الصدة
 نخبة
 مارتن هايجر
 مارتن هايجر
 أن تيلر
 بيتر شيفر
 عبد الباقى جلبتارلى
 أدم صبرة
 كارلو جولونى
 أن تيلر
 تيموثى كوريجان
 تيد أنتون
 چونثان كولر
 فنونى مالطى نوجلاس
 أرنولد واشنطنون - دونا باورنى
 نخبة
 إسحق عظيموف
 جوزايا رويس
 أحمد يوسف
 أرش جولد سميث
 أميركو كاسترو
 باستيليو يابون مالدونادو
- ت: عبدالحليم عبدالفتى رجب
 ت: سمير عبدالحميد إبراهيم
 ت: سمير عبدالحميد إبراهيم
 ت: محمود رجب
 ت: عبد الوهاب علوب
 ت: سمير عبد ربى
 ت: محمد رفعت عواد
 ت: محمد صالح الصالع
 ت: شريف الصيفى
 ت: حسن عبد ربى المصرى
 ت: مجموعة من المترجمين
 ت: مصطفى رياض
 ت: أحمد على بدوى
 ت: فيصل بن خفراه
 ت: طلعت الشايب
 ت: سحر فراج
 ت: هالة كمال
 ت: محمد نور الدين عبد المنعم
 ت: إسماعيل المصدق
 ت: إسماعيل المصدق
 ت: عبد الحميد فهمي الجمال
 ت: شوقى فهمي
 ت: عبدالله احمد إبراهيم
 ت: قاسم عبد قاسم
 ت: عبد الرائق عبد
 ت: عبد الحميد فهمي الجمال
 ت: جمال عبد الناصر
 ت: مصطفى إبراهيم فهمي
 ت: مصطفى بيهى عبد السلام
 ت: فنونى مالطى نوجلاس
 ت: صبرى محمد حسن
 ت: سمير عبد الحميد إبراهيم
 ت: هاشم أحمد محمد
 ت: أحمد الانصارى
 ت:أمل الصبان
 ت: عبد الوهاب بكر
 ت: على إبراهيم متوفى
 ت: على إبراهيم متوفى

- | | |
|--|-------------------------------|
| ٥٤٠- الملك لير | وليم شكسبير |
| ٥٤١- موسى صيد في بيروت وقصص أخرى | ديفيس جونسون روزفيز |
| ٥٤٢- علم السياسة البينية | ستيفن كرول ولويم رانكن |
| ٥٤٣- كافاكا | ديفيد زين ميروفنس وروبرت كرمب |
| ٥٤٤- تروتسكي والماركسية | طريق على وقبل إيفانز |
| ٥٤٥- بداعن العلامة إقبال في شعره الاردي | محمد إقبال |
| ٥٤٦- مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية | ريينيه جينو |
| ٥٤٧- ما الذي حدث في حادث ١١ سبتمبر؟ | چاك دوديا |
| ٥٤٨- المقامر والمستشرق | هنري لويس |
| ٥٤٩- تعلم اللغة الثانية | سوزان جاس |
| ٥٥٠- الإسلاميون الجزائريون | سيفرين لا با |
| ٥٥١- مخزن الأسرار | نظامي الكنجوي |
| ٥٥٢- الثقافات وقيم التقدم | صمويل هنتجنون |
| ٥٥٣- الحب والحرية | نخبة |
| ٥٥٤- النفس والأخر في فصل يوسف الشaroni | كيت دانيلر |
| ٥٥٥- خمس مسرحيات قصيرة | كاريل تشرشل |
| ٥٥٦- توجهات بريطانية - شرقية | السير وونالد ستورس |
| ٥٥٧- هي تغذيل وهلوس أخرى | خوان خوسه مياس |
| ٥٥٨- قصص مختارة من الأدب اليوناني الحديث | نخبة |
| ٥٥٩- السياسة الأمريكية | باتريك بروجان وكريست جرات |
| ٥٦٠- ميلانو كلابن | نخبة |
| ٥٦١- يا له من سباق محموم | فرايسيس كريك |
| ٥٦٢- ربموس | ت بـ وايزمان |
| ٥٦٣- بارت | فيليپ ثودي وان كروس |
| ٥٦٤- علم الاجتماع | ريتشارد أوزيزن وبورن فان لون |
| ٥٦٥- علم العلامات | بول كوبلي وليتاجانز |
| ٥٦٦- شكسبير | نيك جروم وبورو |
| ٥٦٧- الموسيقى والعلوم | سايمون ماندى |
| ٥٦٨- قصص مثالبة | ميجل دى موريانتس |
| ٥٦٩- مدخل للشعر الفرنسي الحديث والمعاصر | دانبال لوفرس |
| ٥٧٠- مصر في عهد محمد علي | عفاف لطفى السيد مارسوه |
| ٥٧١- الإستراتيجية الأمريكية للفتن الحادى والغزير | أناتولي أونكز |

رقم الإيداع / ٢٠١٢٣
I.S.B.N.
977-305-635-X
مطبع للمجلس الأعلى للآثار



ما المصير الذى ينتظر البشرية؟ تتوقف الإجابة على هذا السؤال اليوم - فى معظم جوانبها - على خطة سلوك الدولة العظمى الوحيدة في عالمنا المعاصر ألا وهى الولايات المتحدة الأمريكية؛ فهذه الدولة التى تفوقت على ما عدتها من الدول من النواحي العسكرية والاقتصادية والعلمية والتكنولوجية والإعلامية، ما تزال تمارس - يوماً بعد الآخر، وعلى نحو متواصل - التدخل فى شئون غيرها من الدول ، الأمر الذى انعكس أثاره على المناخ السياسى لوكبتنا بأسره . فى هذا الكتاب يقوم الدكتور أناتولى إيفانوفيتش أوتكين، العالم الروسي البارز فى مجال الدراسات الأمريكية ببحث إستراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية من خلال التوجهات الرئيسية لتطبيق مصالحها ، بما فى ذلك التوجهات نحو كل من المحيطين الأطلنطي والمادى، ونحو روسيا .

هذا الكتاب يخاطب ممثلى الدوائر السياسية والحكومية والعلماء والمتخصصين فى الشئون الدولية وعلماء السياسة والمؤرخين وعلماء الاجتماع والجغرافيا الإقليمية ، كما أنه يدخل فى دائرة اهتمام قطاع عريض من القراء .